مقــــــرر

الإستشراق والتنصير

لطلبة الجامعة المفتوحة

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعـد :

فإن الحرب على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ والمسلمين ، ليست بنت اليوم ، وإنما هى حرب صحبت الإسلام منذ إشراق نوره فى مكة المكرمة ، قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، وستظل دائرة الرحى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ذلك أنها حرب بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، وبين الخير والشر ، وبين العدل والظلم ، وبين الإنسانية والبهيمية ، ولو تمت المهادنة بين نور الحق وظلام الضلال ؛ لكان ذلك هو نهاية الدنيا ، وبدء عالم الأبدية ؛ ولكن الدنيا هكذا لابد فيها من عراك ، ومعتركين ، ولايمكن أن ينتهى التطاحن بينهما .

وما جاء الإسلام إلا لتنظيم الدفاع والمناضلة ، وتأييد القوى السامية التى تعمل على تحطيم الشر والفساد .

والمتتبع لعصور التاريخ الإسلامى فى كل قرن من القرون ، التى انسلخت من عمره ، يجد الحرب سجالا بين تيارات الإيمان ، وتيارات الإلحاد والكفر ، ولكن الدائرة والهزيمة ، هى على الكفر والباطل ولو بعد حين ، هكذا شاءت إرادة الله سبحانه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾[1]

---

(١) الرعد آية (١٧)

ولو أخذنا بمقاييس المنطق بالنسبة للحروب ، التى شنها أعداء الإسلام وحلفاؤهم ؛ من ملحدين وزنادقة ومشركين وصليبيين ، لكان الإسلام قد زال منذ زمن طويل ، ولكان أهله ومعتنقوه قد بادوا مع البائدين – ولكنه سلم وسلم أهله بل ثبتت جذوره ، وبسقت فروعه وظهرت نبالة تعاليمه ومتانة قواعده – ودارت الحضارات والمدنيات فى نطاقها قاصدة أو غير قاصدة .

كل هذه الخواطر دارت فى نفسى ، وأنا أتتبع المؤامرات التى يحيكها المبشرون والمستشرقون المسيحيون ، من أهل أوروبا وأمريكا وغيرهم ضد الإسلام والمسلمين وأرضهم ، منذ اتسعت رقعة الإسلام ، وحمل لواء ثقافته كثير من الأمم . فلم يأت عهد من العهود أو قرن من القرون إلا تمسكت بعلم الإسلام الخفاق دولة إثر دولة ، إذ قد تضعف أو تنشغل عنه إحدى دوله فتسلم العلم دولة أو دول أخرى فى مختلف الشعوب ، فهو كالشمس المشرقة إن غابت عن أفق طلعت فى أفق ، أو كنور البدر إذا انحسر عن موطن أشرق فى موطن آخر ، فلما أفلت شمس الإسلام فى أسبانيا فى القرن السادس عشر الميلادى أشرقت فى شرق أفريقيا وغربها ، وفى جنوب شرق آسيا وفى أندونسيا والملايو . ولقد عاشت الثقافة الإسلامية فى الحجاز حينا من الدهر ثم انتقلت إلى العراق ، ثم انتقلت إلى الشام ، ثم انتقلت إلى الأندلس ، ثم إلى المغرب ، ثم إلى مصر برعاية الأزهر . ومما يثير العجب هذا الاطراد طوال الحقب الماضية ، الأمر الذى يشير إلى دلائل الحفظ الإلهى لهذا الدين وهذه الشريعة مهما فكر أعداء الإسلام ومهما خطط المبشرون والمستشرقون . لأن الشريعة الإسلامية حفظها الله تعالى ، بقيامها على دعائم ثابتة لا تميل إلى باطل أو انحراف بمقتضى تكافل أحكامها ومبادئها على نفى كل باطل وانحراف ؛ فالله سبحانه وتعالى حفظها عن طريق إحكامها وإتقانها حتى لا يخالطها غيرها ولايداخلها التغيير والتبديل .

أما هؤلاء المبشرون والمستشرقون ، فإنهم لايرعون لله حرمة ، ولا يحفظون للشعوب التى يذهبون إليها ويعيشون بين أهلها أو يتكلمون ذمة ،

بل تراهم يحيكون المؤامرات والفتن ، ويثيرون العداوة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد ، فصدق عليهم قول الله جل جلاله : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾[1] والفصل بين التبشير والاستشراق عسير بالنسبة للباحث ، ذلك لأن كثيرا من المبشرين انتقلوا إلى ميدان الاستشراق بعد فترة من عملهم ، كما أن بعضا من المستشرقين – ليس بالقليل – كان يقوم بالتبشير ، وفى نفس الوقت يعمل أستاذا للدراسات الشرقية فى الجامعات الأوروبية أو الأمريكية .

ومع ذلك وحتى تتيسر الفائدة المرجوة من البحث ، تم – بقدر المستطاع – إبراز التبشير فى باب مستقل ، وفى باب آخر تناول البحث الكلام عن الاستشراق ، وفى باب ثالث تناول الآثار المدمرة ، التى علق ويعلق عليها المبشرون والمستشرقون آمالهم وفقا لخططاتهم وما يكيدونه للشرق ودوله ، والإسلام وشعوبه ، وفى الباب الرابع تناول البحث الكلام عن الكتب والموضوعات والمؤتمرات والقرارات والمجلات والصحف التبشيرية ، وفى الباب الخامس تناول البحث التعريف بالإسلام ، وفى الباب السادس تناول البحث التعريف بنبى الإسلام – صلوات الله وسلامه عليه – وفى الباب السابع تناول واجب المسلمين إزاء الحملات والمؤامرات التى حاكها ويحيكها أعداء الإسلام قديما وحديثا .

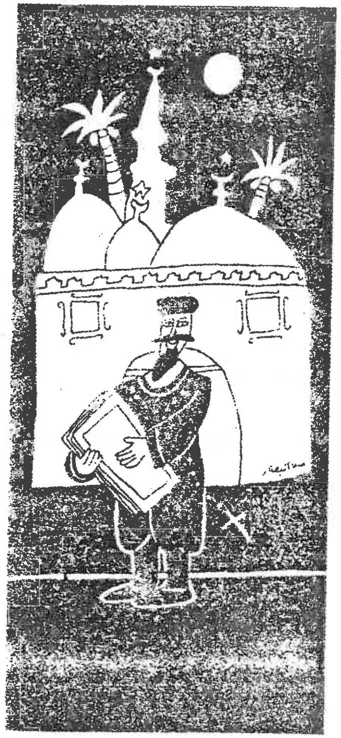
المؤلف : محمد عزت إسماعيل الطهطاوى

---

(١) الرعد : آية (٢٥) .

الباب الأول

التبشير



(١) التبشير

ماهو التبشير فى عرف المسيحية ؟

التبشير عند المسيحيين ، خصوصا الأوروبيين منهم ، هو هجوم المسيحية على الديانات[١] المستوطنة فى البلاد ، التى يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للتبشير فيها ، خصوصا الإسلام ، كما قال غاردنر : « إنه وإن كان قد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ، ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام » .

وقد أسس المبشرون المسيحيون تبشيرهم على أسس علمية استخلصوها بعد دراسة عميقة حسب الآتى :

١ – على المبشر أو المبعوث المسيحى ، أن يعرف لغة الشعب الذى سيتوجه للتبشير بين أفراده .

كما عليه دراسة عادات أفراده وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ومواطن الضعف فيهم وما ينفرهم وما يجذبهم ، ومن الأمور العجيبة أن يصور له الشرق ، مثلا ، بصورة من التأخر والسوء تحمل المبشر على أن يندفع فى مهمته اندفاعا أعمى .

٢ – أن يكون المبشر على دراية بكيفية الدعوة للمسيحية ، وكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى سيذهب إليه ، ونشر الأكاذيب على الديانة غير المسيحية ، ولا

---

(١) كتاب أوروبا والإسلام للدكتور عبدالحليم محمود .

حرج عليه فى التلون للوصول إلى قلوب بعض الناس ، لذلك كان لامانع لديه من مصادقة الشيوعيين لتحقيق أغراضه التبشيرية ، رغم أن الشيوعية عدوة للنصرانية .

٣ – لايفوت المبشر – إن لم يكن طبيبا – أن يكون ملما ببعض مبادىء التطبيب والتمريض والإسعافات العاجلة ، لذلك فإن الراهبات اللائى يقمن بخدمة المرضى لسن سوى مبشرات يعملن بجانب عملهن فى التمريض بمهمة التبشير .

وكما يقول اليسوعيون : « إنهن يعملن لضم الخراف الضالة أو المهملة إلى حظيرة المسيح الملك » : وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستارا يقتربون تحته من المرضى .

كما أنه لابد أن يسبق الإرساليات التبشيرية إنشاء المستشفيات والملاجىء فى البلاد التى يتوجهون إليها .

٤ – العمل الدائب على نشر الأضاليل عن الإسلام بالذات ، وتكرارها وتردادها فى صور مختلفة ، حتى لقد وصل بهم المكر والخداع إلى أن يعكسوا الحقائق الإسلامية ، ويشيعوا ذلك فى أوساطهم التبشيرية ، إما عن جهل ، أو عن سوء فهم ، أو عن سوء نية وقصد .

٥ – استغلال معاهد العلم وكراسى التدريس فى المدارس والكليات والجامعات فى غرض[1] التبشير ، وبذلك عملوا على انحراف العلم عن طريق الاستقامة والصدق ، وتزودوا بالأكاذيب حتى يميلوا بالنشء إلى الانسلاخ عن عقيدة الوحدانية الفطرية إلى عقيدة الثالوث والأقنوم والفداء ، مما لا يستسيغه عقل سليم من تلك الأفكار السقيمة .

والمتتبع لهذا النهج يتبين أنه فى عام ١٢٩٤ ميلادية ، اقترح المدعو رامون على البابا سلستين الخامس ، خطتين للتبشير بين المسلمين :

أولاهما : أن يُنصَّر المسلمون بالقوة إذا لم تنفع فيهم الجهود السلمية .

(١) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية تأليف الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ .

وثانيتهما : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير .

ويبدو أن خطة العلم والمدرسة لاقت قبولا من جانب الفاتيكان ، فعمل على تنفيذها طبقا للآتى :

١ – شجع غريغورس السادس عشر ، بابا روما منذ سنة ١٨٣١ اليسوعيين على المجىء إلى سوريا للعمل بها .

٢ – أعطى البابا ليون الثالث عشر فى عام ١٨٨١ اليسوعيين فى سوريا حق منح الشهادات بأنواعها .

٣ – لما ارتقى بيوس الحادى عشر عرش الفاتيكان سنة ١٩٢٢ زاد من تشجيعه أساليب التبشير عن طريق التعليم حتى سمى بابا التبشير .

لذلك لم يكن عجبا إذا رأى المبشرون أن التعليم هو أحسن الوسائل فى تنصير أبناء المسلمين ، إذ ينفذون منه إلى عقول الأطفال الغضة ، ويتعهدونها فى مراحل التعليم المختلفة ، حتى الكليات الجامعية والمعاهد العليا والتى فيها تتسرب الآراء المسيحية إلى مثقفى أبناء المسلمين ومنهم تتسرب إلى المجتمع الإسلامى ، فضلا عن أن هؤلاء المثقفين ستلقى إليهم مهام الأمور والسلطان فى المستقبل ، فيكونون أقرب إلى قلوبهم وأفكارهم وبذلك تتفكك الوحدة الإسلامية فى الأمم الإسلامية الشرقية ، ويسهل ابتلاعها ، أو السيطرة عليها سياسيا .

وللمبشرين غرض آخر خفى خلاف هدفهم الظاهرى ، وقد يكون هذا الهدف أهم بكثير من التبشير ، ألا وهو بسط سلطان دولهم الثقافى والسياسى والاقتصادى على البلاد التى يذهبون إليها .

فمثلا إيطاليا ، كانت تبنى جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين ، كما أن فرنسا كانت تستند إلى اليسوعيين فى مستعمراتها ، والولايات المتحدة غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى السلام والسمو الروحانى ، مع أنه تغلب على حياتهم النزعة المادية ، بما تهيأ لهم من ترف وغنى وقوة . هذا بالإضافة إلى أن المبشر الأمريكى لم يستطع أن يتحرر من نفوذ حكومته وأغراضها .

أما إنجلترا فقد نصحها العسكريون ببث مبشريها فى العالم ، حتى إن الجنرال هابغ طلب من الحكومة البريطانية ، أن ترسل مبشريها إلى شبه جزيرة العرب بالذات . وقد حدث فى عهد ستالين ، أن دعت روسيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى عقد مجمع مسكونى فى موسكو ، وحملت إليه المشتركين بطائرات روسية . ولم يفت ستالين أن يتقابل معهم ، ولاشك أن ستالين ، كانت له أغراضه السياسية فى ذلك ، رغم أن روسيا دولة لاتعترف بقداسة الأديان .

لذلك كان من أهم أهداف التبشير ، تحويل مجارى التفكير فى الوحدة الإسلامية ، حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين ، وتعمل على تفريقهم . وبالقضاء على الإسلام يمكن استعباد أهله والبلاد التى هو فيها .

والمبشرون عموما فى نظرتهم عداوة — للإسلام والمسلمين — طبيعية لايستطيعون إخفاءها ، فإنه لما حاول نفر من النصارى الدعوة إلى مصادقة المسلمين فى الصين أنكرها المبشر صموئيل زويمر ، لأنها تخلق فى نفس النصارى جبنا عن التبشير .

أما اليسوعيون فيملأ نفوسهم الحقد والضغينة والاستفزاز على الإسلام والمسلمين ، حتى لتراهم عندما يذكرون الحروب الصليبية ، يقولون : إن المبشر يأتى تحت علم الصليب ، يحلم بالماضى ، وينظر إلى المستقبل ، وهويصغى إلى الريح التى تصفر من بعيد من شواطىء رومية ، ومن شواطىء فرنسا . وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس ، وصرخة أسلافنا (أى الصليبيين) من قبل : « إن الله يريدها » — وهى العبارة التى كان الصليبيون يرددونها فى صرخة واحدة ، عندما جاءوا إلى الشرق — ، أى أن الله هو الذى أراد تلك الحرب الصليبية فى زعمهم .

ويبدو بوضوح أن إباء الإسلام حياة الاستعباد ، ورفعه من شأن أهله بإشعارهم بالعزة ، كل ذلك يقلق المبشرين والمستعمرين ، لذلك فهم يتمنون تنصير المسلمين كلهم ، ويوجهون إليهم جهودهم ، حتى يسهل ابتلاعهم بعد أن تموت فيهم روح العزة والكرامة .

ومع أن المبشرين يعترفون صراحة ، بأن جهودهم فى اكتساب المسلمين ،

إلى صفوف النصرانية قد خابت ، إلا أنهم قنعوا بأن يكون عملهم الإنسانى – كما يدعون – مقصوراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل ، وإفساد قيمهم الروحية الإسلامية .

ولم يفت المبشرين المسيحيين ، وقد فشلت جهودهم فى العمل على تنصير المسلمين بمعلوماتهم السقيمة ، أن يلجئوا إلى استغلال المال ، لذلك اتخذوا لهم سماسرة ، يجلبون لهم من يرضى تبديل دينه ، ولكن خاب ظنهم ، حتى إن السير ريدر بولارد ، الذى كان سفيرا لبريطانيا فى إيران من عام ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٤٦ ، يقول : « إن كثيرا من المسلمين ، يقدرون أعمال الجمعيات التبشيرية فى التعليم والتطبيب ، ولكنهم يصمون آذانهم عن دعوتها الدينية » .

ولقد كان للمنافسة بين الإرساليات التبشيرية للدول المختلفة ، أثره فى إضعاف جهودهم كما يزعمون ، مما دفعهم إلى التفكير فى توحيد جهودهم ، فعملوا على توحيد تلك الجهود ، وعقدوا لذلك مؤتمرهم بمدينة أدنبرة باسكتلندة عام ١٩١٠ حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية فى جميع أقطار العالم ، لكنه فشل ، لأن وراء التبشير غايات سياسية تختلف باختلاف أطماع كل دولة من الدول التى ترعى الإرساليات التبشيرية .

(ب) الوسائل التى استغلها المبشرون فى القيام بأعمال التبشير

الوسائل التى استغلها المبشرون فى التبشير :

أولا : المبشرون يستغلون حلول المرض فى التبشير

فلقد رأى الأمريكيون استغلال[1] مهنة الطب وجعلها معينا على التنصير ، بمعنى أن الطب مشروع مسيحى ، وركز المبشرون على ذلك فى مؤتمرهم ، الذى عقدوه فى القدس سنة ١٩٢٤ وما بعده من المؤتمرات فى (استانبول وحلوان بمصر ولبنان وبغداد) فذكروا أن التطبيب وسيلة إلى التبشير ، ولا أدل على ذلك من أن اليسوعيين فى سوريا أسسوا أكثر أعمالهم التبشرية إلى جانب مراكز التطبيب ، وبعضها بدأ مركزا للتطبيب ، ثم أفصح عن وجهه فى النهاية على أنه مركز تبشير ، وقلت أعمال التطبيب ، حتى أصبح فى النهاية لايعمل إلا للتبشير المحض .

وقد حدث مثل ذلك فى بلدة الناصر فى السودان ، كانوا لايعالجون المريض ، إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذى يشفيه هو المسيح . وفى الحبشة كانت المعالجة لاتبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم ، وإليك أيها القارىء بعضا من هؤلاء الأطباء المبشرين .

١ — بول هاريسون :

طبيب أمريكى ألف كتابه « الطبيب فى بلاد العرب » يقول فيه :

« إن المبشر يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى

---

(١) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، تأليف الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ .

منطقة عمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى » .

٢ – س . ا . موريسون :

حرر فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية يقول :

« نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية فى أعمال التنصير ، بين المرضى فى المستشفيات ، أن نأتى بهم إلى المعرفة المنقذة بمعرفة ربنا يسوع المسيح ، وأن ندخلهم أعضاء عاملين فى الكنيسة المسيحية ، وأن للتبشير بين هؤلاء المرضى طريقة حسنة ، هى أن يزور الطبيب المبشر المريض المسلم ، حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده فى انتظار زيارة الطبيب ، وحينئذ تكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين فى القرى الكثيرة فى طول مصر وعرضها » .

٣ – ايدهاريس :

تقول فى نصحها للأطباء : « يجب على الطبيب أن ينتهز الفرص ، ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم ، فعليك أيها الطبيب أن تكرر لهم بالإنجيل ، إياك أن تضيع التطبيب فى المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه » .

٤ – إن أكثر الأطباء البروتستانت ، الذين جاءوا إلى بلاد العرب والشرق الإسلامى ، لم يأتوا لأداء رسالتهم الإنسانية فى معالجة المرضى بل جاءوا حبا فى التبشير بالمسيحية ، ومن أمثال هؤلاء الأطباء ، آن أساوودج ، وفورست ، وكارنيليوس فانديك ، وجوج بوست ، وتشارلس كلهون ومارى أوى ، والدكتور طومسون . كانوا لايبدءون بعلاج المرضى ، إلا بعد أن يكرزوا عليهم ، ولايثنيهم عن عزمهم فى هذه العملية أى شيء ، حتى ولو توفى المريض قبل أداء الكرازة ، أو خلالها يستمرون فى أداء وظيفتهم الدينية ، ولم يفت المبشرين أهمية دور المرأة المسلمة ، لذلك أرسلوا إلى نساء المسلمين فى بيوتهن وقراهن ومدنهن ، طبيبات مبشرات للاتصال مباشرة بهن ، كما يذهبن إليهن

فى مستشفيات النساء وفى المستوصفات ، فضلا عن تشغيل الراهبات فى مهنة التمريض .

هذا الانحراف الجسيم فى مهنة الطب عن أداء مهمتها السامية ، ارتكب إثمه المبشرون ، خصوصا الأمريكيين منهم ، فهم الذين غيروا سنة أبقراط الحكيم فى قسمه الإنسانى وهاك صورته الجميلة :

« إنى أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم باسقليبوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا ، وأشهدهم جميعا على أننى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط ....

وأقصد فى جميع التدابير ، بقدر طاقتى منفعة المرضى . وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم ، فأمنع منها بحسب رأيى ، ولا أعطى — إذا طلب منى — دواء قتالا ولا أشير أيضا بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضا لا أرى أن أدنى من النساء فرزجة تسقط الجنين ، وأحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاء والطهارة . وكل المنازل التى أدخلها ، إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادى مقصود إليه فى سائر الأشياء ..

وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى ، أو أسمعها ، أو فى غير أوقات علاجهم فى تصرف الناس من الأشياء التى لاينطق بها خارجا ، فأمسك عنها وأرى أن مثالها لاينطق به .... » .

ثانيا : المبشرون يستغلون العلم فى التبشير[1]

إن هدف المبشرين فى إنشائهم للمدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا ، ليس العلم وحده ، ولكن خدمة التبشير والدعوة للنصرانية ، حتى ليقول بعضهم إن الغاية من كل ذلك ، هى قيادة الناس إلى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين ، وشعوبا مسيحية ، لذلك كان غالبية من قام بالتدريس فى هذه المعاهد من المبشرين ، كالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وأما مدارس اليسوعيين فلا يمكن أن يعين فيها مسلم أبدا ، وهم يضيفون إلى منهاج التدريس ، الكتب التى تشوه

(١) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، تأليف الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ .

الإسلام وتاريخه وشخصياته بالباطل والبهتان ، ولا يعوقهم شيء عن بناء كنيسة بجانب أى مدرسة لهم ، كما لم يفت المفكرين منهم أن يؤسسوا كلياتهم وجامعاتهم بجانب المراكز الإسلامية التى ينبعث منها النور والهدى إلى شتى العالم فأنشئوا الجامعة الأمريكية بالقاهرة حتى تكون قريبة من جامعة الأزهر العتيدة ، وأنشئوا كلية لهم فى لاهور عاصمة مقاطعة البنجاب فى باكستان ، وهى مدينة من المدن الإسلامية الكبرى هناك ، فضلا عن إنشاء مدارس دينية للبنات .

حتى إن المبشرين الأمريكيين طلبوا سنة ١٨٧٠ مبلغ ٣٠ ألف دولار لإنشاء مدرسة دينية للبنات فى بيروت ، وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة فى الحياة البيتية ، وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سوريا بأكملها فى المستقبل على زعمهم .

إلا أنه وإن كان المبشرون لم يستطيعوا إفساد المسلمين وبالقدر الذى تمنوه ، فإنهم قنعوا بإبعاد بعض الطلاب المسلمين عن تعاليم الإسلام هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يكلفون المدرسين الذين يعملون فى مؤسساتهم ، بأن يقسموا يمينا ، بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد ، هوالتبشير ، فكان هؤلاء المدرسون لايألون جهدا حتى فى الدروس التى لا صلة بينها وبين الدين أن يذكروا الطلاب بالمبادىء المسيحية ويعملوا على تحسينها وتحبيبها إليهم ، وذلك تطبيقا لما قرره مؤتمر القدس التبشيرى المنعقد سنة ١٩٣٥ ، بأن يستغل كل درس فى سبيل تأويل مسيحى لفروع العلوم ، كالتاريخ وعلم النبات حتى درس الإنجليزية ، كان يستغل فى ترجمة أجزاء من التوراة إلى اللغة العربية .

ولما احتج الطلبة المسلمون على إجبارهم على الدخول إلى الكنيسة فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، أصدرت تلك الجامعة منشورا جاء فيه : « إن هذه كلية مسيحية ، أسست بأموال شعب مسيحى ، هم اشتروا الأرض ، وهم أقاموا الأبنية ، وهم انشئوا المستشفى وجهزوه ، ولايمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده ، فتفرض منافع الدين المسيحى على كل تلميذ » .

وهكذا نجد أنفسنا ملزمين ، بأن نفرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ، وأن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا ، يجب أن يعرف سابقا ماذا يطلب منه .

وقد أعلن مجلس الأمناء ، أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلمانى ، ولا لبثّ الأخلاق

الحميدة ، ولكن من أولى غاياتها ، أن تعلم الحقائق الكبرى التى فى الإنجيل ، وأن تكون مركزا للنور المسيحى ، وللتأثير المسيحى ، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به .

وأما مدارس اليسوعيين فإنها توجه توجها دينيا من روما ، وتوجيها سياسيا من فرنسا ، وهؤلاء اليسوعيون تسربوا إلى سوريا منذ القرن ١٨ الميلادى ، حينما أنشئوا مدرسة غينطورة فى مقاطعة كسروات فى جبل لبنان فى عام ١٧٣٤ ، وكان اهتمامهم أساسا يقوم على التعليم الدينى ، لاعتقادهم أنهم بذلك يسيطرون على رجال الدين المسيحى ، وهم بذلك يسيطرون على القوى النصرانية كلها فى لبنان وحتى الآن فإن هؤلاء اليسوعيين ، لايزالون فى لبنان قوة تتحدى كل إصلاح فى التعليم الرسمى .

١ – يقول المستر نبروز :

عندما تسلم زمام الرئاسة فى جامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩٤٨ :

« لقد أدى البرهان ، إلى أن التعليم أثمن وسيلة ، استغلها المبشرون الأمريكيون فى سعيهم ، لتنصير سوريا ولبنان – وعلى ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية ، حيث أصبحت الجامعة الأمريكية اليوم من مبشرى الإرسالية السورية ، وهذه الجامعة ولاتزال مؤسسة تبشيرية ، بل إن التبشير كان المبرر الوحيد لتأسيسها ، لأن الغاية القصوى للكلية أن تحتضن التبشير المسيحى ، وتبذر بذور الحقيقة الإنجلية » .

٢ – دابى – مبشر مسيحى :

ألف كتابا يقول فيه : « كان التعليم وسيلة قيمة ، إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية فى نفوس الطلاب ، وإن المدارس التبشيرية تحاول أن تنقل الطلاب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هى » .

أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهيىء للطالب من أى مذهب كان جوا مسيحيا ، وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحى خصوصا مادام طفلا ، وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة .

أما رسالة المدارس المسيحية ، فهى أن تجعل الشعوب كلها فى المستقبل تابعة للكنيسة [١] .

٣ – جـون مـوت :

مبشر مسيحى يقول فى نصائحه عن تعاليم الصغار :

« يجب أن نؤكد فى جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار ، وأن نجعله عمدة عملنا فى البلاد الإسلامية ، إن الأثر المفسد فى الإسلام يبدأ باكرا جدا . وإن وجود التعليم فى أيدى المسيحيين لايزال وسيلة من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين » .

٤ – ا . البا :

حرر محاضرات ج . إيزاك للشرق الأدنى ، لطلبة الصف الخامس عن العصور الوسطى ، وطبعته مطابع الآداب الفرنسية فى بيروت فى كتاب ، وكان يدرس فى مدارس البطريركية فى بيروت ، ويقول فيه : « واتفق لمحمد فى أثناء رحلاته ، أن يعرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى ، ولما أشرف على الأربعين ، أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا » .

ويقول عن القرآن : « إنه مجموع ملاحظات ، كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة » .

ثم يقول عن فلسطين : « ودخلت فلسطين فى سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد . »

٥ – هـ . غبرمان وف لوستير :

ألف كتابا عن تاريخ فرنسا لصفوف الشهادة الابتدائية ، يدرس فى مدرسة

(١) المرجع السابق .

القديس يوسف للبنات فى بيروت ، وفى مدارس تلك الإرسالية فى بلاد أخرى ، وجاء فيه عن النبى محمد ﷺ :

« إن محمداً مؤسس دين المسلمين ، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم ، وأن يبدلوا دينه هو بجميع الأديان ، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى ، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس بيدهم وإحسانهم ، ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ، إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين » .

٦ – لويس ماسينيون :

كان داعية مبشرا فى قسم الشئون الشرقية فى وزارة المستعمرات الفرنسية ، رغم أنه أستاذ فى الجامعة بباريس ، ابتدع طريقة للتبشير بين الأميين ، وهى أن يعمد المبشر إلى الاتصال الشخصى بهم وأن يبدأ الكلام معهم عن مقام عيسى فى القرآن الكريم ثم ينتقل إلى أن المسيح روح الله كما جاء فى القرآن ، ولا حرج عليه أمام هؤلاء الأميين ، أن يقول القرآن الكريم ، وأن يذكر الشفاعة والجنة وما إلى ذلك من الألفاظ الإسلامية ، استمالة للسامعين فإذا ماوثق من آذانهم صب فيها تبشيره ، وبذلك يسهل على المسلمين ترك دينهم ، والانقياد بالتالى إلى الغرب .

٧ – أنا مبلغيات :

مبشرة مسيحية كانت بالقاهرة تقول : « فى صفوف كلية البنات بالقاهرة – بنات آباؤهن من علية القوم – وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام ، أقصر مسافة من هذه المدرسة » .

٨ – المبشر تكلى :

يقول : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس ، وأن نشجع على الأخص

التعليم الغربى . إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم ، حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرق مقدس أمرا صعبا جدا » .

٩ _ دانيال بلس :

يقول : « إن كلية روبرت فى استانبول كلية مسيحية غير متسترة ، لافى تعليمها ولا فى الجو الذى تهيئه لطلابها ، لأن الذى أنشأها مبشر ، ولاتزال إلى اليوم لايتولى رئاستها إلا مبشر ، وقد خطب فى نيويورك سنة ١٨٦٢ طالبا أن تكون التوراة هى كتاب التدريس الدائم . وأن يكون عمل كلية بيروت ، وضع كتب مسيحية تساعد على الاتصال بملايين الناس فى آسيا وفى أفريقيا وعلى إسباغ النعمة المسيحية عليهم » .

إن السنوات الأولى ، التى شهدت تطور كلية بيروت قضت أن تسير الكلية فى مجراها بهدوء قدر الإمكان ، فلا تلفت إليها نظر رجال الحكم قبل أن تثبت جذورها فى الأرض ، فلما ثبتت جذورها تركت التبشير وأصبحت لها اجتماعات دينية ظاهرة ، فأجبرت جميع الطلاب على حضور الصلوات فى الكنيسة كل يوم ، وأجبرت الطلاب الداخلين خاصة على أن يحضروا صلاة يوم الأحد أيضا – وبذلك يمكن القول : إنها مؤسسة دينية تبشيرية .

١٠ _ هوارد بلس :

نجل دانيال بلس ، نشأ فى الولايات المتحدة قسيسا راعيا ، وخلف والده بعد اعتزاله إدارة الكلية الأمريكية ببيروت – فظل قسيسا مبشرا ومعلما مبشرا بها ، وقد عمل على عقد مؤتمر الطلاب المسيحيين فى العالم فى كلية روبرت باستانبول سنة ١٩١١ ، وكانت غاية هذا المؤتمر الآتى :

توحيد حركات الطلاب المسيحيين ، ومنظماتهم فى العالم ، وجمع المعلومات المتعلقة بالأحوال الدينية للطلاب فى كل العالم ، وقيادة الطلاب حتى يصبحوا أتباعا ليسوع المسيح ، على أنه مخلصهم الوحيد وربهم ، ثم ضم جهود الطلاب للتعاون على مد مملكة المسيح فى جميع العالم وعلى الأخص فى البلدان غير المسيحية .

١١ – بيارد ضودج :

كان تلميذا لاهوتيا ، ونال شهادة الدكتوراه فى علم اللاهوت وتولى إدارة الجامعة الأمريكية فى بيروت منذ سنة ١٩٢٣ ، وفى عهده عمل على تشجيع النشاط اليهودى ، ومحاربة جهود القائمين على نصرة القضية الفلسطينية ، كما استغنى عن العدد الكبير من المدرسين المسلمين .

١٢ – الجنرال ساراى :

مفوض فرنسى دعا راهبات اليسوعيين إلى التنصير الجماعى ، فى بلاد العلويين بلبنان ، وفى سنة ١٩٣٥ ساعد اليسوعيين فى عملية التنصير الجماعية للجهل الذى كان فاشيا ، فجمعوا أنفارا من العلويين فى جنينة رسلان ، وحملوهم بالحديد وبالنار على اعتناق المذهب الكاثوليكى .

١٣ – الكاردينال لافيجيرى :

أسقف فرنسى بقى فى منصب الأسقفية فى الجزائر نحو أربعين عاما ، حتى أصبح كاردينالا ، ثم صاحب الولاية على جميع أساقفة أفريقيا ، استحال عليه وعلى المبشرين المسيحيين الفرنسيين ، أن ينصروا واحدا فقط من أهل الجزائر ولو بالقوة فاقترح أن يجعل من مدينة بسكرة ، فى منتصف الطريق بين جبال الأوراس وبحيرات شط الفرسة المتصلة بشط الجريد فى تونس زاوية مسيحية تشبه الزوايا الإسلامية المنتشرة هناك ، والتى يتمركز فيها رجال الطرق الصوفية المختلفة مرابطين عبادا هناك ، وفرسانا إذا دعت الحاجة . واقترح لافيجيرى أن تسمى الزاوية المسيحية بيت الله أيضا ، وأن يكون لباس الإخوة المسيحيين فى تلك الزاوية مشابها للباس الإخوان المرابطين المسلمين ما عدا لباس الرأس ، فإن المسلمين يعتمون فوق رءوسهم ، بينما أراد لافيجيرى أن يلبس الإخوة المسيحيون القبعة فوق رءوسهم واعتقد هذا الأسقف الفرنسى أنه بهذه الحيلة يتخلل الإخوة المسيحيون بين المسلمين تخللا سليما ، خصوصا فى مناطق البدو فيكتسبهم ويقدمهم هبة لفرنسا بعد تنصيرهم ، لكنه فشل فى ذلك فشلا ذريعا

بعد أن كانت أمانيه بعد إقامته فى مدينة الجزائر ، أن يحبب فرنسا إلى الجزائريين ، باسم المسيح .

١٤ – الأب اليسوعى ميز :

أجمل سياسة فرنسا الدينية فى الشرق من جميع جوانبها إذ يقول : « إن الحرب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا فى القرن السابع عشر ، لاتزال مستمرة إلى أيامنا ، إن الرهبان الفرنسيين والراهبات الفرنسيات لايزالون كثيرين فى الشرق » .

ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية ، وبالحنين إلى تلك الحروب حية فى نفسها – وكثيرا ما فكر ملوكها بحملة صليبية جديدة على الشرق – ولكن أوروبا المنشقة على نفسها ، كانت دائما تجعل من المستحيل على فرنسا أن تقوم بحملة بعيدة المدى ، وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائما ، أن تحتفظ فرنسا بالدور الذى يلعبه رهبانها وأن توسع ذلك الدور وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى . تلك المهمة الصعبة التى لم تخلع عليهم إلا شرف حضور القداديس فى الكنائس – ولقد كانوا يبذلون جهدا كبيرا ليهدئوا من ارتجاف المسلمين المتعصبين ، وليحموا أعمال المبشرين فى الإمبراطورية العثمانية – وكان ممثلو فرنسا يساندون أعمال مبشرينا – وكان لفرنسا فى أكثر الأحيان قصاد رسوليون فى أشخاص قناصلها ، خصوصا فى القرن السابع عشر ، وكثيرا ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين .

ثالثا : المبشرون يستغلون الأعمال الاجتماعية فى التبشير[1]

١ – جاء المبشرون إلى الشرق الإسلامى ، ومعهم أفكارهم عن بعض الأغراض الاجتماعية ، فأرادوا أن ينقلوها إلى المسلمين ، وفاتهم أن الإسلام نفسه ليس دينا فحسب ، بل هو عقيدة ونظام اجتماعى أيضا وكل ما جاء به المبشرون يوجد فى الإسلام وفى شكل أتم وأحسن ، ومع أن المبشرين رفعوا شعارات ضخمة مثل :

(ا) الرفق بالحيوان

---

(١) المرجع السابق .

(ب) الطفل للمدرسة لا للعمل

(ج) إنصاف العمال

إلا أن هذه الشعارات لم يكن هدفها الإصلاح الحقيقى بل قصد المبشرون بها التسلل بالتبشير إلى الجماعات المسلمة .

٢ – ورد فى كتاب تبشيرى اسمه مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين الآتى :

« نحن نعنى بالعمل الاجتماعى المسيحى ، تطبيق مبادئ يسوع المسيح فى جميع الصلات الإنسانية ، إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام مايلبى كل حاجة اجتماعية فى البشر ، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية ، فالنشاط الاجتماعى يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه ، فلنبدأ بالصلات اليومية تلك التى تتصل بالطفل والمرأة ، ثم نتوسع فى تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة ، التى أقرتها عصبة الأمم .

فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة للمبشر المسيحى أن يتصل برجال ونساء فى البيئة الإسلامية الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم ، ومن أجل ذلك فنحن ننصح بالسير فى الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية :

(ا) إيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث .

(ب) إيجاد الأندية .

(ج) الاعتناء بالتعليم الرياضى .

(د) الاعتناء بأعمال الترفيه وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال .

(هـ) وبما أن جمعية الشبان المسيحيين ، وجمعية الشابات المسيحيات ، قد نصبتا نفسيهما للوصول إلى الشباب المسلم فى النواحى الآنفة الذكر ، وفى غيرها أيضا ، فالواجب يقضى أن تشجعا لتتسع دائرة عملهما ، فتشمل الجماعات المسئولة من المسلمين ومن الذين يرحبون بمثل هذه الجهود (من غير أن يفطنوا إلى الغرض التبشيرى) .

(و) وعلى المبشرين أن يتعرفوا إلى أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ، ثم يسعوا إلى الإصلاح سعيا إلى التأثير فى الرأى العام بأن غايتهم شريفة مجردة من الغرض التبشيرى .

(ز) ومما يجب أن يهتم المبشرون به إصلاح الأحداث – الحيلولة دون الزواج المبكر (بين المسلمين طبعا) – الحيلولة دون تشغيل الأطفال – محاولة إصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل ، وبالأجور وبالأمور الصحية فى المعامل – الرفق بالحيوان .

٣ – ولقد أدرك المبشرون عدم ثقة المسلمين بهم فيما يقومون به من خدمات اجتماعية لاكرها فى هذه الأعمال ، بل لأنها تأتى ناقصة ومشوهة لأنها فى الحقيقة وسيلة إلى تبشير دينى هو بدوره وسيلة إلى استعمار اقتصادى وسياسى .

يقول المبشر و . رايد :

« إن الوصول إلى المسلمين صعب المنال ... ذلك لأن المسلمين يشكون فيمن يتبرع لهم من المبشرين ، ويعزون عمله إلى مأرب ما – إن هذا المبشر حاول أن ينقل المسلم من محمد إلى المسيح – ومع ذلك يظن المسلم أن للمبشر فى ذلك غاية خاصة ، وأنه لايحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ له فى الإنسانية ، ولولا أنه يريد ربحه إلى صفوف النصارى لما تعرض له أو قام بمساندته .

٤ – والمبشرون وإن اتفقوا على استغلال الطب والتعليم فى التبشير ، إلا أنهم نظروا إلى إنفاق الأموال بهدف الإحسان نظرة أخرى ، إذ قرروا أن هذه الأموال ، يجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق وتعطى إلا للبعداء ثم يقل دفعها تدريجيا كلما زاد اقتراب هؤلاء من الكنيسة ، فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير .

٥ – وكتب المردوفلاس مقالا عنوانه : « كيف نضم إلينا أطفال المسلمين فى الجزائر » ذكر فيه أن هناك ملاجىء قد أقيمت فى عدد من أقطار الجزائر وشمال أفريقيا ، لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا – لكن هذه السبل لاتجعل الأطفال المسلمين نصارى لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم .

٦ – وجاء فى نشرة الأخبار للمجلس المسيحى فى الشرق الأوسط أكتوبر سنة ١٩٤٥ مقال عنوانه : « جمعيات المتطوعين والخدمة الاجتماعية فى مصر » ، جاء فيه ذكر أشياء كثيرة عن استغلال الحاجة الاجتماعية لبعض أفراد من

الشعب المصرى ، بهدف التبشير والدخول فى المسيحية – لذلك اقترح كاتب المقال أن تستأثر الجمعيات التبشيرية بكل نواحى الخدمة الاجتماعية ، بدلا من أن تقوم بها الحكومة المصرية .

٧ – والإرساليات الكاثوليكية وإن كانت تستخدم أموال الإحسان بين المسلمين ، تحقيقا للسياسة التى يتبناها باباوات روما ، عندما رأوا أنها تقوم مقام التبشير غير المباشر ، وذلك بالإحسان المادى وعلى العناية بالمرضى والتعليم ، لأنه ظهر للمسئولين فى مقر البابوية بروما أن أسلوب التبشير المباشر ، وهو المخاطبة رأسا بأمور العقيدة وبالتعليم المسيحى ، غير منتج بين المسلمين .

٨ – أما الأمريكان فإنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأوا عدم الحاجة إلى الاستعانة بالتبشير فى صرف أموال الإحسان ، وأن بذل هذا المال أجدى عن طريق تسليمه للحكومات نفسها ، أى أن أمريكا استبدلت وسيلة بوسيلة أخرى .

(ا) ذكر مستر ترومان خلال حملته الانتخابية ، لرئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢ ، أن مشروع النقطة الرابعة يعنى بالنسبة لأمريكا توسيع نطاق التجارة وزيادة أسواق التصريف وتموين أمريكا بالمواد الأولية .

(ب) ذكر أحد أعضاء حزب ترومان ، فى المؤتمر نفسه ، أن مشروعات النقطة الرابعة من شأنها أن تضع البلاد المتخلفة فى خدمة الخطط العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها ستكون منابع للمواد الأولية الاستراتيجية .

(ج) وقد قرر المستر دين أنشنسون أن الدافع على الرغبة فى نجاح المشروع ليس حب أمريكا للنوع البشرى ، بل هو مصلحة أمريكا العملية[1] .

(د) أما المستر سنكر وزير التجارة الأمريكية فى حكومة الرئيس إيزنهاور فيقول عن أهداف مشروع النقطة الرابعة بأنه يرجح أن يرى رءوس الأموال الخاصة لا القروض الحكومية هى التى ستتدفق على الخارج ، وإذا ما ذهبت قروض

(١) كتاب : « الاستعمار عدو الشعوب » للأستاذ عبدالعزيز فهمى .

خاصة إلى الخارج فمن رأيه أنه يجب على الحكومة الأمريكية أن تسهر على تأمين نجاحها ، كما يجب أن تتمتع رءوس الأموال هذه بقسط من الحماية .

٩ – وقد أقام المبشرون جمعيات الشبان المسيحيين ، وجمعيات الشابات المسيحيات ، وعمل تلك الجمعيات فى الظاهر القيام بأوجه النشاط الاجتماعى ، ولكنها فى الحقيقة أنشئت لتكون عونا على تغلغل التبشير المسيحى .

(ا) يقول إديسون فى كتابه : « إن عوامل التعليم المسيحى فى مصر ، تزيد قوة على قوتها بمؤسستى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات – إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة خصوصا فى القاهرة والاسكندرية – هذه الفروع تقدم للمسلمين مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية وتهيىء فى المجتمع ألوانا من النشاط تندر فى الشرق ، وفى هذا اقتراب من المسلمين بالتبشير » .

(ب) أما ولبرت سميث فقد حرر مقالا عنوانه : « جمعية الشبان المسيحيين فى الشرق الأدنى » ، ذكر فيه الآتى :

إن جمعية الشبان المسيحيين ، قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية ، أما هدفها الرئيسى فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية . ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ولها اجتماعات تفرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير وهنالك أيضا سلسلة من الاجتماعات التبشيرية لها .

(ج) أما كورتيليوس باتوت فقد قال فى كتابه الإرساليات :
إن تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين فى حقل التبشير قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم ، أن يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل فى المدن ، خصوصا بين الطلاب والطبقات المثقفة فى المدن . إن هذه الجمعية تستطيع بواسطة نشاطها الجانبى فى الحياة الاجتماعية والرياضية ، أن تجتذب رجالا ليس بالإمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية .

١٠ – ويهتم المبشرون بكيفية الوصول بتعاليمهم التبشيرية إلى المرأة المسلمة ، لأن وصولهم إلى المرأة المسلمة ، يعنى وصولهم إلى الأسرة الإسلامية ؛ لما للمرأة من أثر فعال فى زوجها وأولادها ، ولهذا اتبع المبشرون الآتى :

أولا : جلب النساء الأجنبيات اللائى يعملن بالتبشير ليتصلن بالنساء المسلمات .

ثانيا : إنشاء جمعيات الشابات المسيحيات بفروعها ، حتى تلجها النساء والفتيات المسلمات .

ثالثا : إنشاء معاهد التبشير الخاصة بالفتيات أو الدور لإقامتهن .

رابعا : يرى المبشرون أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ، ذكورا أو إناثا ، حتى السنة العاشرة من عمرهم ، بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة ، فإنهم يعتقدون أن الهيئات التبشيرية ، يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية .

خامسا : وقد وضعت الأعضاء المبشرات فى مؤتمر القاهرة التبشيرى الذى عقد سنة ١٩٠٦ النداء الآتى :

« لاسبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح . إن عدد النساء المسلمات عظيم جدا لايقل عن ١٠٠ مليون ؛ فكل نشاط للوصول إليهن ، يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن . نحن لانقترح إيجاد منظمات جديدة ، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائى على العمل ، واضعة نصب عينيها هدفا جديدا هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل » .

سادسا : ويرى أحد المبشرين أن تدرب المبشرات الأجنبيات نساء وطنيات ، ثم على هؤلاء الأجنبيات أن ينسحبن من ميدان التبشير ، ويتركن مكانهن لمبشرات وطنيات من أبناء البلاد ، ومع ذلك فإن المبشرات الأجنبيات يجب أن يبقين مديرات للعمل ، ومبشرات من وراء الستار لأن المبشرة المسيحية على كل حال امرأة ذات شخصية مسيحية مشعة موحية .

ثم لخص مؤتمر قسطنطينة فى الجزائر ، وقت احتلالها قبل الاستقلال ، طريق التبشير بين الفتيات والنساء ، اللائى يقعن تحت تأثير الحاجة والضرورة فيقرر الآتى :

« إن الحاجة الملحة المستعجلة ، إنما هى إلى إنشاء بيت أو بيوت للفتيات المطلقات ، وللأرامل الصغار ، ويجب ألا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة ، بل أماكن يخيم عليها الجو العائلى ، ثم تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن –

وكذلك مكث هؤلاء النسوة فى تلك البيوت ، يجب أن يطول أو يقصر ، حسب المقتضيات الشخصية لكل واحدة منهن ، ثم إن كل فتاة يجب أن تعلم من الصناعات المحلية ما يمكنها من العيش ، بعد أن تغادر تلك البيوت ، وأخيرا ترى أن أمثال هؤلاء النسوة ، يكن فى أثناء مكثهن فى هذه البيوت تحت تأثير الإنجيل ، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتى يرجى أن يمرنّ أكثر من سواهن ، ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن .

سابعا : تشجيع الشبان المسلمين بالزواج بالفتيات الأجنبيات المسيحيات ، مستغلين الرخصة الإسلامية فى إباحة زواج المسلم بالكتابية ، والمعلوم عادة أن زواج المسلم بالأجنبية الكتابية ، يسلب البيت الإسلامى جوه الروحانى المسلم ويضفى على البيئة الطابع الأجنبى ، خصوصا فى اللغة الأجنبية التى تتكلمها الأم ، فيتكلمها الأطفال منذ صغرهم دون اهتمام ما باللغة العربية التى هى لغة القرآن والدين والصلاة .

١١ — إقامة الأندية الاجتماعية ، التى تلقى فيها المحاضرات ، أو تضم بيوتا للشباب يتمكن بمقتضاها المبشرون من إيواء الصبيان ، الذين لامأوى لهم حتى يدربوا على الأساليب المسيحية ، وقد نشرها المبشرون فى شمال أفريقيا وجنوب الجزائر ، ومن هؤلاء الصغار تتكون نواة النوادى الكاثوليكية .

١٢ — نشر التعليم الذى يظهر عليه طابع الإحسان ، أى التعليم المجانى بجانب التعليم ذى النفقات ، لذلك كان المبشرون يقيمون إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها المصروفات المدرسية ، مدرسة للفقراء بجانبها لا لتعليمهم كهدف بل لحفظ المظهر التبشيرى ، لأن الفقراء أكثر انقيادا لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء .

رابعـا : إنشاء المكتبات التبشيرية لبيع الكتب فى الظاهر ، ولتكون فى الخفاء قائمة بإدارة أعمال التبشير بتوزيع النشرات المسيحية ، والمبشرون يرون أن أشد الوسائل أثرا فى المجتمع الإسلامى هى إنتاج النشرات المسيحية ، وتوزيعها بين المسلمين كالآتى :

(ا) ينشرون فى الابتداء الأناجيل الأربعة .

(ب) ثم يتبعونها بنشر أشياء من التوراة .

(ج) ثم يتطرقون فى نشراتهم إلى مختلف الموضوعات ، والتى يفرغونها فى قالب مسيحى بمعرفة مبشرين من نفس الإقليم والبيئة ، التى توزع فيها ، لأن هؤلاء أقدر على فهم عقلية جماهيرهم .

(د) وفى بعض الأحيان يختار المبشرون شيئا من الموضوعات الإسلامية ، التى لها مقابل فى الديانة المسيحية ، ثم يموهون الحقيقة فيها لخدمة أغراضهم ؛ فمثلا ورد بالقرآن الكريم عن السيد المسيح أنه كلمة الله ، قال تعالى :

﴿ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[1]

ومعنى ذلك أنها هى الأمر الإلهى « كن » بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز فى التاريخ[2] ، أى إثر الكلمة ، لأن الكلمة معنى من المعانى ، ولايقال إن الله كلمة بل ذاته متصفة بالكلام ، ولكن المبشرين يأخذون الكلمة ليفسروها التفسير النصرانى ، من أن المقصود بها المسيح عيسى بن مريم وحده ، وأنها دالة على الألوهية فى ذاته ، رغم أنه من البشر كما ورد بالأناجيل المتداولة بين المسيحيين ، إذ كان يأكل ويشرب ، ويفرح ويحزن ، ويغضب وينام ، وهذه كلها صفات البشر[3] .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[4] .

(هـ) ويرى المبشرون ، أن يتوجهوا بنشراتهم وكتبهم التبشيرية ، إلى طبقتين من المسلمين على الأخص :

١ — إلى طلبة الأزهر فى مصر ، باعتبار أن الأزهر معقل مهم من معاقل الإسلام ، وإنه إذا فرض أن صبأ أحد الأزهريين ، فإنه يكون عونا كبيرا للمبشرين على زيادة تغلغلهم فى العالم الإسلامى ، لذلك فإن المبشرين يلقون أهمية كبرى على فن الجدل

(١) آل عمران آية (٤٥) .
(٢) انظر معنى الكلمة فى كتابنا محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ١٢٤ . ١٢٥
(٣) انظر ص — ١٣١ فى كتابنا محمد نبى الإسلام ، السابقة الإشارة إليه ، والصفحات التى تليها .
(٤) آل عمران آية (٥٩ — ٦٠) .

والمناظرة ، انتظارا لهذه الفرصة مع الأزهريين للتغلغل المنتظر فيهم ، ثم فى العالم الإسلامى كما هو أملهم .

٢ – وضع كتب تبشيرية إلى طبقة النساء ، لأنهم يعتقدون أن المرأة المسلمة محجوبة عن العالم ، وعن المجتمع ، لذلك كان من الأوفق أن توضع لها كتب تبشيرية ، تتفق مع عقليتها ودرجة تفكيرها .

خامسا : استغلال الصحافة بشكل واسع لتخدم أهداف التبشير ، لأن المبشرين رأوا أن المسلمين لهم شغف بقراءة الصحف ، لذلك رأوا استغلال هذه الفرصة فى التعبير عن الآراء المسيحية والتطرق إلى الأبواب التبشيرية خصوصا فى مصر .

ويقرر المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر ، فضلا عن الصحف التى أصدروها بمعرفتهم ، أو بتشجيعهم ، وهى معروفة على كل حال مثل جريدة مصر ، والتى حلت محلها – جريدة وطنى ، وجريدة التبشير فى بيروت وكانت كاثوليكية تقدم أخبار روما ، بالإضافة إلى ثلاث صحف أخرى هناك بروتستانتية .

وقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم ، هما القاهرة وبيروت .

(ا) أما القاهرة ، فقد اتخذها المبشرون البروتستانت ، مركزا لتوزيع المنشورات المسيحية فى مصر وفى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

(ب) وأما بيروت ، فقد أقام بها المبشرون المطبعة الأمريكية ، والتى أصبحت تقوم بطبع المنشورات والكتب التبشيرية فى ربوع الشرق كله ، كما أقام بها اليسوعيون مطبعة كاثوليكية منذ سنة ١٨٧١ ، لتيسير جهودهم فى أعمال التبشير الكاثوليكى .

سادسا : التوسع فى إنشاء مخيمات الكشافة للفتيات ، وإرسال القسس للإشراف على تلك المخيمات وتوجيهها توجيها مسيحيا ماهرا دون استحياء ، وقد شجعت فرنسا سنة ١٩٣٥ مثل هذه المخيمات ، فتعاونت اللجنة التبشيرية لشبان فرنسا مع مؤسسة الخدمة العربية ، واشترك فى هذه المؤتمرات ستون من زعماء خدمة التبشير فى فرنسا وسويسرا ، حيث عقدت بعض دوراته فى جنوبى الجزائر وقت الاحتلال .

سابعا : مشروع إنعاش القرى عن طريق التبشير ، إذ تجمع الاموال عن طريق الحفلات والتبرعات ، ثم ينتقل المبشرون إلى القرى للتبشير بين النساء هناك ، حتى لايكون مقصوراً على سكان المدن ، والعجيب أنك ترى هؤلاء المبشرين يعيشون مع الفلاحين عيشتهم من غير أن يبلغوا إليهم أنهم يقومون بالتبشير ، لكن يصبغون حياتهم بالشخصية المسيحية ، على أمل أن ينتقل التأثير المسيحى منهم إلى الفلاحين المسلمين انتقالا هادئا دون أى ملاحظة .

ثامنا : التغلغل فى المجتمعات الصناعية الإسلامية ، فيخالط المبشرون عمال المسلمين فى المصانع ويعيشون معهم ، حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية الإسلامية بروح نصرانية ، وعلى المبشرين استغلال وسائل التأثير فى المسلمين من هؤلاء العمال وذلك بأن :

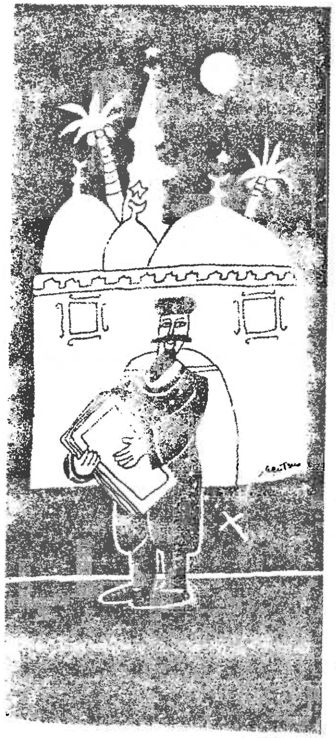
(ا) يمثلوا لهم بأقوالهم وأفعالهم أن التقدم الصناعى أساسه مسيحى .

(ب) أن الاختراعات والاكتشافات الفضل فيها للمسيحية .

(ج) أن الطرق الحديثة فى الصناعة من مبتدعات المسيحية .

الباب الثانى

الاستشراق



الاستشراق

المستشرقون :

هم طوائف وأصناف من دول وأجناس مختلفة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية ، من علوم وآداب خاصة بالعالم العربى والصين والفرس والهند ، لكن غلب إطلاق هذا اللفظ على المسيحيين أو النصارى ، الذين أرادوا أن يتثقفوا فى الدراسات الإسلامية واللغة العربية .

والاستشراق عملية قديمة ، بدأت منذ عدة قرون ، من قوم متعصبين للنصرانية واليهودية أشد التعصب ، أرادوا أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العبرية ، فتعلموا اللغة العربية ، لأن العربية قنطرة للعبرية — وهم فى طريقهم على هذه القنطرة ، وجدوا أنهم يجب أن يشككوا المسلمين فى دينهم ، فأخذوا فى هذه الدراسات يعملون بمقصدين ، حتى إنك لاتجد لهم بحثا حول القرآن إلا كان إيهاما وتشكيكا ، وإن لم يسعفهم اللفظ المشكك قالوا عبارات عائمة موهمة لكل مايثيره الشك :

المقصد الأول :

هو معرفة اللغة العبرية عن طريق اللغة العربية ، ولذلك لاتكاد تجد مستشرقا ، إلا أجاد اللغة العبرية واللغة العربية معا .

المقصد الثانى :

هو تشكيك المسلمين فى دينهم ، وهو أقوى من الأول وقد وجدوا أنفسهم أحوج إليه فى دينهم .

ولم يكن المستشرقون هم أول المشككين للمسلمين فى عقائدهم بل كان لهم إخوان من قبل طبقا للآتى :

أولا : فى بلاط خلفاء الأمويين ، كان يوحنا الدمشقى وإخوانه من النصارى ، يعملون على إدخال الآراء المشككة المحيرة بين المسلمين ، ولقد لقن يوحنا طائفة كبيرة من أنصاره قصصا وأخبارا مزورة عن النبى ﷺ ، وطلب منهم أن ينشروها ويروجوها بين المسلمين ، كالقصة التى زعموها عن عشق النبى ﷺ لزينب زوجة زيد بن حارثة ، ومما يقطع بكذبهم فيها أنها ابنة عمة النبى ﷺ ولو شاء لتزوجها ، وقد زوجها بزيد ، لأنه كان قد تبناه قبل تحريم التبنى ، فكان يدعى زيد بن محمد ، ثم نسخت شرعة التبنى ، فنسب زيد إلى أبيه حارثة ، فنشأ خلاف بينها وبينه ، بسبب اختلافهما فى الحسب والنسب ، فكان كلما شكاها إلى النبى ﷺ ، قال له : « أمسك عليك زوجك واتق الله » ؛ فلما طلقها زيد بعد اشتداد الخلاف بينهما ، تزوجها النبى بأمر الله له ، تأكيدا لنسخ شريعة التبنى ، وفى ذلك يقول الله تعالى :﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا** ﴾[1] ولو كان الأمر كما زعم المفترون ، لتزوجها النبى وهى بكر ، بدلا من أن يزوجها متبناه ، ثم يتزوجها بعد أن يطلقها ، ولكن الأمر جرى بمشيئة الله وحكمته ﴿ **لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا** ﴾ كما جاء فى بيانه الحكيم : ﴿ **وكان أمر الله قدرا مقدورا** ﴾[2] ومن الحكم فى تزوجه بها أنه تعالى أراد أن يجعله جبرا لخاطر زينب بعد فشل زواجها بزيد ، الذى كان الرسول ﷺ سببا فيه .

ونظرا لأن يوحنا الدمشقى المذكور ، افترى هذه الفرية الأثيمة وأمثالها ، اعتبره النصارى قديسا من قديسيهم — لعنه الله .

(١) الأحزاب آية (٣٧) .
(٢) الأحزاب آية (٣٨) .

ثانيا : فى بلاط خلفاء الدولة العباسية ، قام ابن بختيشوع النصرانى ، بما قام به يوحنا النصرانى فى الدولة الأموية ، فعمل على تشكيك المسلمين وقتئذ فى بعض أمور دينهم بما كان يخترعه ويروجه هو وأنصاره .

تطور الاستشراق :

ثم طرأ على الاستشراق التطور ، واستعمل من الأساليب المتنوعة والدوافع المتباينة ، ما تحركه العداوة المترسبة فى نفوس أهل أوروبا من آثار هزيمتهم فى الحملات الصليبية أمام المسلمين بالمشرق العربى فى القرون الوسطى[1] .

لذلك اندفعت رغبات المستشرقين الجامحة ، فى الكتابة ضد الإسلام والطعن فيه بروح الغيظ والتشفى والنيل من مكانة رسول الله ﷺ ، دون سند من الحقيقة أو الواقع ، حتى لقد تعدى إلى أدب القرون الوسطى فنشر الأوروبيون وقتئذ ، أن المسلمين يعتقدون بألوهية محمد لذلك فهم وثنيون ، ولقد ظهرت بعض الأغانى كأغنية « رولان » تصور المسلمين بأنهم يعبدون مجموعة من الآلهة ، هى ما هولت أى محمد وأبو ليق وترافاجن وأن لهذه الآلهة تماثيل مصنوعة من الذهب والفضة خصوصا بالنسبة لمحمد ، ويعنون باسم أبو ليق (الله) ويعنون بترافاجن (القرآن) .

ومن أمثال هؤلاء المستشرقين يوليوس القرطبى ، الذى كان يعيش فى أسبانيا وقت أن كانت تدين بالإسلام (بلاد الأندلس وقتئذ) حرر معلومات عن الإسلام كلها تشويه وافتراء وكذب وخيانة للعلم والحقيقة .

كذلك المستشرق يوحنا الدمشقى حرر كتابا دعاه « حياة محمد » ، قدم الإسلام فيه على أنه فرقة مسيحية مارقة ، ظهرت فى عهد الامبراطور هرقل الرومانى بفعل متنبئ من العرب يدعى حامدًا (أى محمد) وأن حامدا هذا كان قد اطلع على كتب العهد القديم والجديد ، ثم اتصل بأحد أتباع آريوس المتوحد ، والذى طردته الكنيسة لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله ، فعرف منه نحلته الوحدوية ، فأسس دعوة الإسلام على أساسها ، وقد استطاع هذا المتنبئ أن يكتسب قلوب

(١) المستشرقون والإسلام ، للدكتور إبراهيم اللبان ، بحث ملحق بمجلة الأزهر ، صفر سنة ١٣٩٠ ، ابريل سنة ١٩٧٠ م .

قومه وأن يقدم لهم كتابا ، زعم أنه أنزل عليه من السماء ، ووضع فيه فرائض مضحكة على أنها الشريعة : أ هـ .

وهذا الذى قاله جهل فاضح ، وتعصب أعمى ، والحق يعلو ولايعلى عليه ، ولهذا اهتم الأوروبيون بالعلوم العربية والإسلامية فى القرن العاشر للميلاد ، وزاد اهتمامهم بها فى القرن الثانى عشر ، فدرسوها بالمعاهد والجامعات الأوروبية ، خصوصا فى مدن الأندلس ومملكة صقلية .

أما فى مملكة قشتالة فقد اتجه الاستشراق وجهة الترجمة البحتة ، لأن الفونس ملك قشتالة دعا إليه ميشيل سكوت ، وكلفه هو وبعض سكان الأندلس بترجمة الكتب العربية فانعزلوا فى بعض الأديرة بالقرب من طليطلة ، حيث ترجموا كثيرا من الكتب العربية ، وعندما قدموا تلك الكتب إلى ملك صقلية ، استنسخ منها نسخا بعث بها هدية إلى جامعة باريس ، والتى كانت هى الأخرى ، قد بدأت فى الاهتمام بالاستشراق وتعليم اللغة العربية واللغة العبرية منذ سنة ١٥١٩ ، كما أنشئوا العديد من المطابع العربية هناك .

اختلاط الاستشراق بالتبشير :

إلا أن بابا الفاتيكان فى روما وغيره من أساقفة المسيحية ورؤسائها ، نزلوا أيضا إلى ميدان الاستشراق ، بقصد التبشير وإرسال المبشرين إلى بلاد الشرق ، لهذا كان لابد من تكليف مبعوثيهم بتعلم اللغة العربية لذلك انتشر تعليمها فى المعاهد الدينية وبعض الجامعات . كما أنشئت مطابع عربية وجمعت لهم الكتب حتى أن مكتبة الفاتيكان ضمت إليها مجموعات ضخمة من الكتب العربية المختلفة .

وقد سلك نهج الفاتيكان فى الاستشراق ، سبيل التبشير كما قدمنا ، أى طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات كما نهج سبيل العمل الخيرى ، بإرسال الراهبات ، تقمن بالتمريض فى المستشفيات وملاجىء الأيتام اللقطاء والعجزة وكبار السن فى الدول الإسلامية والعربية .

الدعوة إلى الاستشراق المجرد فقط :

وأخيرا ظهرت النزعة إلى تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية والاتجاه

به إلى البحث العلمى المستقل ، استهدافا للمعرفة وحدها ، وأنشئت كليات اللغات الشرقية فى عواصم أوروبا ، مثل لندن وباريس وغيرهما وظهرت فيها أقسام قيل إنها خاصة لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية ويدرس فيها طلاب مبعوثون من البلاد الإسلامية مما يؤثر فى التفكير الدينى والعربى فى العالم الإسلامى والدول العربية ، فيظهر على مسرح الحياة بعيدا عن روحه الإسلامية ، مستغربا فى حياته وتفكيره ، وتخف فى نفوس هؤلاء المبعوثين موازين القيم الإسلامية ، ولقد تسلل المستشرقون إلى المجمع اللغوى فى مصر والمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع العلمى فى بغداد ، وهم يعقدون المؤتمرات العامة منذ سنة ١٧٨٣ لتنظيم نشاطهم ، وفى العصور الحديثة تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم الملوك والأمراء به فى الماضى من الإغداق على المستشرقين وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق .

وإذا حاول أحدهم أن يبدو محايدا أو يتخفف من أثقال التعصب ، تجد بقية المستشرقين يهبون فى وجهه يطالبونه بأن يكون موضوعيا وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ إلى النقد ذى المستوى العالى ، ولايعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون ، من تحريف للتاريخ الإسلامى ، وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله [1] .

لذلك يقتضى الأمر ضرورة الاحتراس الشديد ، مما يكتبه المستشرقون ، والشك الملح فيما يأتون به من الآراء للأسباب الآتية :

١ – جميع المستشرقين هم تبع لوزارات الخارجية فى كل البلاد القائمة على الاستعمار ، مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست ثقافية ، فإذا هم خدام الاستعمار ، عن طريق تشكيك العالم الإسلامى فى عقيدة أهله .

٢ – قلة فهمهم الصحيح للنصوص الإسلامية من قرآن وحديث .

٣ – سوء نيتهم فى تصيد الآراء الضعيفة فى الكتب التى لا اعتماد عليها فى المصادر

(١) كتاب (المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام) ، للأستاذ الدكتور محمد البهى .

الإسلامية ، أو خطؤهم فيما يتوصلون إليه من نتائج ، بسبب جهلهم بأحكام اللغة العربية والشريعة الإسلامية .

٤ ـ إخفاء الأسانيد الصحيحة وتشويهها إذا وقعت تحت أيديهم .

كل هذه الأسباب كافية فى وجوب رفض أقوالهم ، والرد عليها وعدم الثقة فيما يسمونه بالتجديد والابتكار .

الفصل الأول

استاذ الاستعمار إلى الاستشراق

استاذ الاستعمار إلى الاستشراق :

١ – وكان من ضمن أغراض إنشاء هذه الكليات التى سبقت الإشارة إليها ، أن تكون فى خدمة الحكومات المستعمرة ، لتحقيق أهدافها فى البلاد الإسلامية والوطن العربى ، حتى إن رجال السياسة هناك كانوا على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات ، وإلى آرائهم يرجعون قبل البت فى المسائل السياسية المتعلقة بالأمم العربية والإسلامية ، بل إن بعض أولئك الأساتذة ، كان يستغل صداقته بالبارزين من رجال تلك الدول فيتخذ منها ستارا يقوم من ورائه بأعمال التجسس فى السلم والحرب وأكبر شاهد على ذلك أن المستر إيدن لم يكن ليضع قرارا سياسيا فى شئون الشرق الأوسط ، قبل أن يجتمع وأساتذة من المستشرقين فى جامعة أكسفورد وكلية العلوم الشرقية ، وأخصهم مستر مارجليوث أستاذ اللغة العربية فى جامعة أكسفورد .

٢ – أنشأ الاستعمار عدة مؤسسات فى البلاد العربية الإسلامية لخدمة الاستشراق ظاهريا لكن هدفها فى الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكى والبروتستانتى ، فمثلا فى مصر بوصفها قاعدة من قواعد الإسلام الثابتة ، أنشأ المعهد الشرقى بدير الدومينكان بشارع مصنع الطرابيشى ، والمعهد الفرنسى بالمنيرة ، وندوة الكتاب بشارع طلعت حرب ، ودار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة وهذه المؤسسات لها مسحة كاثوليكية ، والجامعة الأمريكية لها مسحة بروتستانتية .

وفى لبنان جامعة القديس يوسف وهى جامعة بابوية كاثوليكية ، وتعرف الآن

بالجامعة اليسوعية ؛ والجامعة الأمريكية ببيروت وكانت من قبل تسمى الكلية السورية الإنجليزية أنشئت سنة ١٨٦٥ وهى بروتستانتية .

٣ – ثم دأب القائمون على الاستشراق إلى عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ سنة ١٨٧٣ ، ونشر المقالات فى الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية ، وتأليف الكتب التى تطفح حقدا وسما على الإسلام ونبيه ، وتوهين القيم الإسلامية ، وتفتيت وحدة الشعوب الإسلامية .

لذلك فإنهم وإن كانوا قد غلفوا الاستشراق بطابع البحث العلمى الأكاديمى ، إلا أنه فى الحقيقة يحمل فى جنباته سموما ضد حقائق الإسلام الثابتة ، من قبل أدعياء المعرفة بالإسلام ، حتى يمكن القول بأن الاستشراق فى الوقت الحاضر ما هو فى الحقيقة إلا لون من التبشير ، لاءم نفسه مع ظروف الحياة المعاصرة .

وكثير من المستشرقين لم يستطيعوا أن يخلعوا عن أنفسهم رداء التعصب الشديد للمسيحية ، فأصبحوا يمارسون الاستشراق بروح العداء للإسلام وتعاليمه ونبيه ﷺ . وقد دفعهم إلى الانحراف والتخلى عن مبدأ الحيدة التامة فى البحث أمران[1] :

أولهما : أنه كان من العسير على الأوروبيين وخلفائهم من الأمريكيين ، وهم يدينون بالمسيحية أن ينسوا فى دراستهم للإسلام إنكاره للعقائد التى أسست عليها المسيحية مثل : عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء .

ثانيهما : كان من الصعب عليهم ، أن يتغافلوا عن انحسار المسيحية عن كثير من بلاد الشرق ، كالشام وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا أمام الدعوة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، ثم حلول الإسلام عقيدة راسخة لأهل تلك البلاد .

٤ – ولم يكتف المستشرقون بما قاموا به ، بل رددوا ما أثاره المبشرون الأوروبيون والأمريكيون ، إذ أثاروا النزعات الشعوبية فى الأمم الإسلامية ، بقصد إضعاف

(١) المستشرقون والإسلام ، بحث ملحق بمجلة الأزهر ، صفر سنة (١٣٩٠) ، أبريل سنة (١٩٧٠) للدكتور إبراهيم عبدالمجيد اللبان .

وحدتها مثل الدعوة البربرية فى شمال أفريقيا والفرعونية فى مصر ، والفينيقية فى ساحل فلسطين ولبنان ، والآشورية فى العراق .

وقد عاب هذا الانحراف العلمى بعض المستشرقين ، وهم مع الأسف أقلية قليلة .

١ – فمثلا يقول المستر مونتجمرى واط :

جد الباحثون منذ القرن الثانى عشر فى تعديل الصورة المشوهة التى تولدت فى أوروبا عن الإسلام ، وعلى رغم الجهد العلمى الذى بذل فى هذا السبيل ، فإن آثار هذا الموقف المجافى للحقيقة التى أحدثتها كتابات القرون المتوسطة فى أوربا مازالت قائمة .

٢ – ويقول الأستاذ برنار لويس :

لاتزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة وراء الحواشى المرصوصة فى الأبحاث العلمية .

٣ – ويقول الأستاذ جيب :

لقد قامت فى صفوفهم فى السنوات الأخيرة محاولة إيجابية ، تحاول النفوذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الدينى للمسلمين ، بدل السطحيات التى اصطبغت بها دراساتهم السابقة .

٤ – ويقول الأستاذ نورمان دانيل :

على رغم المحاولات الجدية المخلصة ، التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة ، للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام ، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجردا تاما كما يتوهمون .

أما الأمثلة عن المستشرقين ، الذين انحرفوا عن الجادة العلمية فى بحثهم فنذكر بعضا منهم حسب الآتى[1] :

(١) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام ، الأستاذ الدكتور محمد البهى .

١ – و . س نلسون :

يقول فى كتابه التبشير والاستعمار : « وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا ، شعبا بعد شعب ».

٢ – أديسون :

يقول أديسون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

« محمد لم يستطع فهم النصرانية ، ولذلك لم يكن فى خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذى جاء به للعرب » .

٣ – جورج سيل :

يقول فى مقدمته عن ترجمة القرآن :

« أما أن محمدا كان فى الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسى له فأمر لايقبل الجدل ، وإن كان من المرجح أن المعاونة التى حصل عليها من غيره فى خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة » .

٤ – تشارد :

ألف كتاب مقدمة القرآن ، يقول فيه « إن الرسول قد استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء فى القرآن ، وبخاصة القصص ؛ فالجانب الأكبر من المادة التى استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها ، قد استمده من مصادر يهودية ومسيحية ، وإن كان بعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود ، مستمداً من مصادر عربية ، وأنه لما هاجر إلى المدينة حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس ، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التى كانت دون شك تضم ربانيين ومثقفين ، وهناك دلائل على أنه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة – بكتب موسى على الأقل . إلى غير ذلك من الأكاذيب التى قالها المستشرقون ولا سند لها إلا التعصب الأعمى » ، ولو تجرد هؤلاء من تعصبهم ، لتفتحت قلوبهم للحق ، ولندموا على عمرهم الضائع فى التقليد الأعمى .

ولما كنا لانحب أن نسوق مثل هذه المفتريات ، غير مقترنة بتفنيدها بما يلقم

من يرددها حجارة من نار فى جوفه ؛ فلذلك ندعها إلى فرصة أخرى ، وشعارنا فى الرد عليهم قوله تعالى : ﴿ **قل موتوا بغيظكم** ﴾[1] .

ولقد بلغ حقد هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين ، أن يلقنوا أطفالهم العداوة للإسلام ، حتى فى الأناشيد التى تعلم لصغارهم فى المدارس ، وهاك مثلا فى إحدى الأناشيد الإيطالية : (إنى ذاهب ياأمى إلى الجهاد لمحو القرآن ، وإذا مت فلا تحزنى علىّ ، وإن سئلت عن السبب فى عدم حدادك علىّ فقولى – وأنت فرحة – لقد استشهد فى سبيل القضاء على الإسلام) .

والنتيجة التى نستخلصها مما يكتبه المستشرقون ضد الإسلام ، أنهم إنما يكتبون عنا بروح التعصب والتقليد الأعمى لأسلافهم والمناهج العدائية للإسلام ، التى تربوا عليها ونشئوا فى جوها ، ومن هنا لايجوز للعاقل أن يقابل ما يقولونه ضد الإسلام إلا بما يستحقه من الاستهجان والرفض ، لأنه لايقوم على أساس ، ولا يصدر إلا عن نفوس طحنها البغض والتعصب الأعمى ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[2] .

ولايفوتنا أن نختم هذا الفصل ، دون أن نشير إلى أن من اليهود من قام بالاستشراق أيضا لأغراض دينية ، محاولين إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه ، بادعاء أنه مقتبس من اليهودية ، وإنما يفعلون ذلك لخدمة أغراضهم الصهيونية ، ولو على حساب الحق ، وسنذكر فيما يلى نماذج من مفترياتهم .

١ – بندلى جوزى :

مستشرق يهودى ماركسى أصدر فى القدس سنة (١٩٣٨) كتابا بعنوان (من تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام) ويمكن اعتبار هذا الكتاب أحد المصادر الأساسية للمدرسة المادية فى فلسفة أحداث التاريخ الإسلامى ، عند عرضه لبعض وقائع الإرهاب الدموى فى تاريخ أحد زعماء القرامطة من الفرس ، وهو سعيد بن بهرام الجنابى من خلال تصويرها المفتعل بصورة العمل الثورى المشروع ، ويقول

(١) آل عمران ، من آية (١١٩) .
(٢) سورة التوبة آية (٣٢) .

فى وصف واحدة من حوادث ذبح جماهير عزلاء من السلاح من العرب وغير العرب فى موسم الحج ونهب أموالهم ، والتمثيل بهم وبالأماكن المقدسة ، واختطاف الأسرى من النساء والصبيان :

« دخلت سنة ٣١٧ هجرية – سنة ٩٣٠ م وليس فيها ما يدعو إلى القلق ، فأخذت ألوف الحجاج ترد بيت الله آمنة ، لا هم لها إلا قضاء شعائر الحج والعودة إلى بلادهم سالمين مطمئنين .

ولكنهم لم يكادوا يتمون الشعائر حتى جاءتهم الأخبار ، بأن أبا طاهر سعيد ابن بهرام الجنابى زعيم البحرين زاحف على مكة فى جيش مؤلف من ٦٠٠ فارس ، و ٩٠٠ راجل ، ولم يمض على شيوع هذه الأخبار بضعة أيام ، إلا وكان أبو طاهر وأصحابه على أبواب مكة ، وأميرها وجماعة كبيرة من أعيانها يستعطفونه ، ويحاولون أن يقنعوه بالرجوع إلى بلاده مزودا بالمال والهدايا الثمينة ، فلم يوفقوا إلى ذلك ، فدخل أبو طاهر وأصحابه مكة ، وأخذوا يقتلون أهاليها ومن كان فيها من الحجاج ، من رجال ونساء ، وهم متعلقون بالكعبة وردم بهم زمزم وفرش بهم المسجد الحرام وما يليه وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا ، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك ، وأقام بمكة ستة أيام ولم يقف أحد تلك السنة بعرفة ولا أوفى نسكا .

وكان أشد الناس قسوة وأقلهم رحمة ، أبو طاهر سعيد بن بهرام نفسه ، فكان يتنقل من مكان إلى مكان آخر فى الكعبة ومكة ، ومن جماعة إلى جماعة أخرى ، وهو يدعو أصحابه وقد شغلوا بما غنموه من المال والحلى ، أن أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار ودكوا أركان الكعبة » .

فهذا المستشرق يعتبر القرامطة والإسماعيلية هم الشيوعيين الأوائل فى الإسلام ، ويقدم هذه الصورة الدموية لسفاح من زعماء القرامطة الشيوعيين الأوائل ، وهو يضرب الجماهير بالسيف غدرا ويسرقها ويهتك حرماتها ، هادما بذلك أساس الثورة المشروعة ، معلنا عن الزندقة المستمدة من منابعها المزدكية القديمة ، وعن بطولة اللصوص التى تستند فى أبشع جرائمها إلى غياب الحارس ووهن العقيدة وشتات الجماهير .

هذه الصورة الصارخة لإنسانية القرامطة الممزقة ، وأطماعهم الخيالية فى حكم أرض العرب ، مدفوعين إلى الاستخفاف بهم وبدينهم – لحظة ضعف – بإيحاء زعمائهم المجهولين من اليهود وغيرهم هى الصورة نفسها لأخلاط العصابات الصهيونية المعاصرة ، التى تقودها حكومة خفية من المردة والشياطين المعبودة من هذه العصابات .

بل هى الصورة نفسها للزعماء الظاهرين من قادة إسرائيل الذين لايزالون على طريق طويل ومظلم ، يدفعون عصاباتهم فى سكرة الفوز الرخيص – وشجاعة اللصوص إلى أبشع الجرائم الوحشية والدموية التى تستهدف اغتيال شعب بأسره على أرض وطنه هو الشعب الفلسطينى .

٢ – يورى إيفانوف :

مستشرق ماركسى وضع كتابا عن الصهيونية ، يسرد فيه — بعيدا عن التاريخ الإسلامى — كثيرا من الأفكار العدوانية والمضادة لأى اجتماع إنسانى ، بحيث يبدو التطابق تاما بين زعماء الصهاينة وبين زعماء القرامطة ، ولكن دون قصد منه ، فيقول :

فى (٢٨ أكتوبر من عام ١٩٥٨) أعلن الزعيم الصهيونى مناحم بيجن أمام ممثلى الجيش الإسرائيلى قوله : أنتم أيها الإسرائيليون يجب ألا تكونوا رءوفين عندما تقتلون عدوكم – عليكم ألا تشفقوا عليه مادمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية التى سنبنى على أنقاضها حضارتنا[1] .

(١) بحث الصهيونية وراء المنهج العصرى الذى قلب حقائق التاريخ الإسلامى ، للأستاذ أحمد موسى سالم ، منشور بمجلة الأزهر ذو الحجة سنة ١٣٩٢ هـ يناير سنة ١٩٧٣ م .

الفصل الثانى

المفكرون والمستشرقون الذين لم ينحرفوا عن جادة الحق فى المسيح والنبى محمد عليهما السلام

هناك مفكرون ومستشرقون :

مهدوا شهادة الحق فى المسيح والنبى محمد عليهما السلام ، لأن أمانة البحث العلمى تقتضينا أن نشير إلى أن كثيرا من المفكرين وبعض المستشرقين فى أوروبا ومصر ، لم يغمضوا أعينهم عن الحق الأبلج ، فشهدوا فى كتبهم بعد البحث والمدارسة ، أن المسيح مجرد بشر وأنه إنسان مثل بقية خلق الله ، وأن النبى محمدا صلى الله عليه سلم صادق فى رسالته التى بعث بها من الله سبحانه وتعالى .

ومن أمثال هؤلاء المفكرين والمستشرقين الآتى ذكرهم :

١ - رينان :

كتب رينان عن المسيح عليه السلام كتابا ، أثبت فيه أنه لم يكن إلها ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامى وبالروح الكريمة ، وأن السير العربية للنبى محمد صلى الله عليه وسلم كسيرة ابن هشام ، لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى .

٢ - الأستاذ بلييه :

أثبت فى أحد مؤلفاته أن السبب الوحيد الذى جعل الإمبراطور قسطنطين الرومانى يتخذ المسيحية دينا رسميا ، إنما هو ما رآه فيها من التعصب الذى لا يوجد فى غيرها من الأديان التى كانت منتشرة إذ ذاك فى روما — ورأى أن هذا التعصب نفسه هو الذى سيربط الإمبراطورية برباط من حديد ، فيكون ذلك مقاوما لعوامل

التفكك التى تسرى فى شرايين الإمبراطورية – وما كان ليختار المسيحية لولا ما رآه فيها من التعصب الشديد ، والاستعداد المهيأ فى رجالها للتنكيل بالمخالف .

٣ – الأستاذ لويس :

وهو عالم من علماء تاريخ الأديان فى النصف الأول من القرن العشرين وتخصص فى كتب العهد القديم .

أثبت بالطريق العلمى الصحيح ، أن هذه الكتب نالها التحريف .

٤ – الأستاذ جنى بير :

أستاذ تاريخ الأديان بجامعة السوربون ، حرر كتابا ضخما عن العصر الذى نشأ فيه المسيح عليه السلام .

وكتب كتابا آخر فيما يقرب من خمسمائة صفحة عن المسيح أيضا ، وكتب كتابا ثالثا عن تطور العقائد ، وكتابا رابعا عن المسيحية القديمة ومسيحية العصور الوسطى ، والمسيحية الحديثة وأثبت فى كل هذه الكتب الآتى :

(ا) أن المسيحية الحالية ، ليست هى مسيحية المسيح ، بل ولاتمت إلى مسيحية المسيح بصلة ، اللهم إلا الصلة الاسمية ، وأن المسيحية الحالية نشأت منفصلة عن المسيح ، ثم تطورت إلى أن أصبحت فى الوضع الحالى .

(ب) كشف أثر القديس بولس الذى أثر وغير المسيحية إلى الحالة التى هى عليها حاليا ، إذ كان يهوديا متعصبا لليهودية ، ثم كان وثنيا شديد التعصب للوثنية ، ثم زعم أنه كان مسافرا ذات ليلة ، فرأى المسيح فاهتدى إلى المسيحية ، ثم أخذ يخترع وينظم وينسق إلى أن أقام مسيحية تدين له أكثر مما تدين للمسيح عليه السلام :

وخلص الأستاذ جنى بير بأن المسيح ما أتى إلا مبشرا بالرحمة والإشفاق والتعاون والمحبة .

أما التثليث :

وأما فكرة الألوهية التى تمشى على الأرض متمثلة فيه أو البنوة للإله – أما

هذه العقائد المعقدة التى لايستسيغها عقل ، ولا يطمئن إليها فؤاد ، فقد كانت بعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح .

ول دورانت .

يذكر فى كتابه قيصر والمسيح ص ٢٧٦ الآتى :

إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها – ذلك أن العقل اليونانى المحتضر ، عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قرونا عدة صاحبة السلطات على السياسة أداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان فى هذه أو تلك ومنها جاءت عبارة أم الطفل والاتصال الصوفى بالله ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاأدرية وطمس العقيدة المسيحية .

وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم .

يقول سالى مترجم القرآن إلى الإنجليزية :

« أسرف المسيحيون فى عبادة القديسين والصور المسيحية ، حتى فاقوا فى ذلك الكاثوليك فى هذا العصر .

ونتيجة لما ذكره أولئك المفكرون يتبين الآتى :

إن المسيحية تحولت إلى مجموعة ضخمة من الخرافات اليونانية والوثنية الروحية ، ومسحة يسيرة[1] من تعاليم السيد المسيح ، وأصبحت بزيادة المخرفين وتأويل الجاهلين بعيدة كل البعد عن الفكر والعلم ، ثم صارت إلى وثنية قبيحة ، لقد تسربت إلى المسيحية عقيدة التثليث من عقيدة قدماء المصريين ، ومن الهندوكية والبوذية ، وجعلت من المسيح عيسى بن مريم قربانا للتكفير عن خطايا البشر ،

(١) كتاب قيم حضارية فى القرآن الكريم للأستاذ توفيق محمد سبع من سلسلة البحوث الإسلامية .

وسرت إليها تلك الفكرة من ديانة الهندوكية والبوذية ومن القبائل المتوحشة ، التى كانت تقدم القرابين إلى معبوداتها لرفع الضر أو جلب الخير ، وبذلك انعدمت فيها قاعدة الجزاء وصار من حق الخاطئين ، أن يطرحوا خطاياهم على القربان المقدم فوق مذابح الخرافة .

وقد انفصلت المسيحية عن الكتاب المقدس (وهو الإنجيل) كما انفصلت اليهودية قبل ذلك عن التوراة ، وكلتاهما أدارت ظهرها لوحى أنبيائها وأخذتا تتراشقان التهم ، وتتبادلان السباب ، وتتباريان فى الكذب على الله ورسله ، وتتنكران لمبادىء الوحى المقدس ، وتزعم كل منهما أن الله يحبها وينظر إليها نظرة خاصة مما دفع بهما إلى ممارسة أقبح ألوان التفرقة العنصرية قديما وحديثا .

قال تعالى فى سورة البقرة – آية (١١٣) :

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب ﴾ .

وقال تعالى فى سورة التوبة – آية (٣٠) :

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة المائدة – آية : (٧٣) : –

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾ .

وقال تعالى فى سورة المائدة أيضا – آية (١٨) :

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ... ﴾ .

* وما أصاب اليهودية والمسيحية جعلهما معا عاجزتين عن النهوض بتبعات تصويب ماهم عليه وأصابهما بالعقم والعجز وحولهما إلى طلاسم ورموز ، ونقلهما إلى كهانة وجباية ، مع أن أديان السماء ما أتت إلا لتكون للهداية ، لكن اليهودية والمسيحية اتخذتا من البشر إلها يعبد من دون الله .

قال الله تعالى فى سورة التوبة – آية (٣١) :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ﴾ لقد نقلت المسيحية أتباعها إلى الأوهام والخرافات ، والضباب ، وتحولت إلى رهبنة قاسية عنيفة ترى فى الأديرة المهجورة والأماكن النائية ملاذا لإنعاش الروح ، فأثبتت بذلك إفلاسها فى قيادة الحياة إذ تركتها لزبانية البشر ، يصوغونها كما تشاء أهواؤهم الضالة ونفوسهم الشريرة ، وشهواتهم الرعناء لأنه ما بالروح وحدها يحيا الإنسان ؛ لأن الإنسان جسم وروح فباتجاهها للروح فقط أهملت المادة فى الحياة ، والإنسان إنسان مهما تحاول المسيحية ، برأه الله مادة وروحا فلابد من احترام ملكاته وإقرار رغباته ، أما محاولة سحق تلك الغرائز الإنسانية ، لعمل عدوانى ضد الفطرة التى فطر الناس عليها ، إذن لابد من الملاءمة بين المادة والروح فى الحياة ملاءمة دقيقة ، كما لابد من الملاءمة فى كيان الإنسان ؛ وطغيان أحد العنصرين على الآخر فى نظام الفطرة خطر يهدد الإنسان والحياة فى وقت واحد طبقا للآتى :

(ا) لو طغت الروحية ، لتحول الإنسان إلى راهب وانسحب من نظام الحياة .

(ب) ولو طغت المادية ، لتحول إلى حيوان يعيش لشهواته ، وينطلق على هواه ، إذا لابد من التوازن بين العنصرين ؛ حتى يتسق خطو الإنسان على درب الحياة ، والدين عمله تنظيم الشهوات لاسحقها ، لأن محاولة سحقها غير ممكن بل إنه يؤدى إلى أسوأ العواقب .

ونظام الرهبنة الذى لجأت إليه المسيحية بعيد عن الطبع الإنسانى وله آثاره المدمرة ، ونتائجه السيئة ، فمن خلال الكبت ، تتكون العقد وتحدث الانفجارات العاتية ، وتنشأ العلاقات المشبوهة حيث تنقلب الرهبنة على الرغم من أصحابها إلى نظام حيوانى جامح ، وما هكذا يكون تهذيب الغرائز ، لأن فى نظام الرهبنة محاربة للحياة ، وتعطيلا لقانون العمل وتخليا عن واجبات الفرد فى المجتمع ، ونفاقا فى تهذيب الشهوات تحت زعم التدين .

يقول الفيلسوف ناومان فى كتابه بحوث الدين : « إن المسيحية لم تجعل قيمة ما لحفظ كيان الدولة ، ولم تحفل بالتشريع والتنظيم والإنتاج ، بل لم تفكر فى أحوال المجتمع الإنسانى قط ، ومن ثم فإما أن نتجه إلى أن نكون من غير حكومة ، فنلقى

بأنفسنا بين براثن الفوضى متعمدين ، وإما أن نجعل لأنفسنا عقيدة سياسية إلى جانب عقيدتنا الدينية .

وهناك كتاب ومفكرون فى أوروبا ومصر أحبوا الإسلام ومدحوه[1] :

بعضهم أعلن إسلامه والبعض الآخر لايعلم عقيدته شهدوا بصدق النبى صلى الله عليه وسلم وحقيقة الرسالة الكبرى التى بعث بها من الله سبحانه وتعالى ، منهم ؛

١ – اللورد هيدلى :

يقول : إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير جعلاهم يمتنعون عن إظهار معتقداتهم .

ولقد أسلم اللورد هيدلى لما أحس به من عقيدة سهلة خالية من التشويه ، وكانت زيارته للشرق قصة ، إذ يقول عنها : إنها ملأته احتراما عظيما للدين الإسلامى السلس ، الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة حياته لافى أيام الآحاد فقط ، إنه ليس هناك فى الإسلام إلا إله واحد ، نعبده ونتبعه وليس هناك قدوس آخر يشركه معه .

٢ – كارلايل :

أحد كبار كتاب الإنجليز ، متحرر من الرياء والخبث ألف كتابه « الأبطال » ذكر فيه فى فصل مستفيض حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان مما قاله : « من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين ، إن دين الإسلام كذب وإن محمدا لم يكن على حق . فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ، ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس » .

وما الرسالة التى أداها محمد إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت حق

(١) كتاب أوروبا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود .

صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٣ – تولوستوى :

أديب وكاتب روسيا العظيم ، فإنه حينما رأى الحملة الظالمة على الإسلام ورسول الإسلام ، كتب رأيه فى هذا الدين ، الذى أعجب به وتحدث عن المسيح عليه السلام فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح ، وخلص فى أبحاثه إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للعقيدة غموضا وإخفاء ، ومن أقواله : إنه ينبغى لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقى كما كان يفهمه ، أن تبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التى شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم أو رسول الجدال والمنازعات الدينية ، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية ، فأدخل ميوله هذه على الدين المسيحى ، فأفسده ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس .

وأما تعليم المسيح الأصلى الحقيقى فخسر صفته الإلهية الكمالية ، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحى ، التى أولها منذ ابتداء العالم وآخرها فى عصرنا الحالى والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وأن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أقوال وردت فى خمسة أسفار ، موسى والزبور وأعمال الرسل ورسائلهم وتآليف آباء الكنيسة ، مع أن تلك الأقوال لاتدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله » .

فتولستوى ينكر ألوهية المسيح ، وينكر ألوهية روح القدس ، ويعتقد أن الله واحد[1] فرد صمد ، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بإلهام ، ويعلن فى شجاعة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل فيقول فى صراحة : « إن المسيحيين

(١) محاضرات فى النصرانية للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

واليهود والمسلمين يحقد جميعهم بالوحى الإلهى ، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ، ولكنهم يعتقدون كما أعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه قد أوضح فى قرآنه تعاليم موسى وعيسى كما قالاها دون زيادة ولا نقص ، وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه ولا يعترف بغيره من الكتب ، مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمى المسلمون ديانتهم بالمحمدية ، لأن محمدا جاء بها ، بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تآليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من الروح القدس ، فكان الأحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية .

وتحدث عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حديث الإكبار والتعليم ، فكان جزاؤه على كلمة الحق التى قالها أن حرمه البابا من الرحمة ، وكان مما قاله تولستوى : « لاريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال » .

٤ – أتينيه دينيه :

فرنسى نشأ من أبوين مسيحيين ، وتلقن عقائد المسيحية من تثليث وصلب وفداء وغفران وتعميد ، لكنه شعر بالقلق ففكر وتأمل فى المسيحية وفى الكنيسة وفى البابا المعصوم ، وفى المسيح ! ! على مايقولونه من أنه ابن الله ! – وأنه هو الله وهو بشر ؟ ثم صلب ليطهر بنى البشر من اللعنة ، كيف تجمع كل ذلك وفى شخص واحدا فتدور رأس أتينيه دينيه أمام هذه التناقضات فلم ير بدا من هذا اليأس إلا بقراءة الأناجيل ، ويخرج من بحثه بأن الإنجيل أوحى إلى عيسى عليه السلام بلغته ولغة قومه ، لكن هذا الإنجيل ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر فجعلوا توليفات أربعا مشكوكا فى صحتها وفى نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهى لاتتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية ، التى هى لغة سامية وهى اللغة الآرامية لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود .

ثم سافر دينيه إلى الجزائر ، وتنقل فيها وفى بلاد المغرب ، وحيث عاش مع المسلمين هناك وخالطهم وسمع منهم وناقشهم ، ثم فكر وتأمل وانتهى تفكيره إلى أن العقيدة الإسلامية لاتقف فى سبيل التفكير وبرز له الإسلام كضوء وفكرة تفاعلت لها نفسه كما تفاعل لها عقله ، وأثبت ذلك فى كتابه الحج إلى بيت الله الحرام ، فقال بعد أن أشرق الإسلام فى قلبه وتسمى باسم « ناصر الدين » :

(لو كان الإسلام الحقيقى معروفا فى أوروبا ، لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أى دين آخر من العطف والتأييد من جراء روح التدين ، التى نجمت عن الحرب الكبرى ، إنه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب إليه المعتزلة ، واشتماله على روح التصوف كما يذهب إليه الصوفية ، يهدى علماء أوروبا وآسيا إلى الطريق المستقيم ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة فى آرائهم وأفكارهم ، كما أنه تعزية وهدى لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية ؛ ثم أخذ يوازن بين الإسلام والمسيحية ، فرأى الآتى ولنقتطف بعض أقواله فقط)[1] .

أولا : فيما يتعلق بالإله :

رأى أن الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا ، أوما إلى ذلك من الأشكال ، أما فى المسيحية فإن لفظة الله تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ عليه دلائل الشيخوخة والانحلال .

وفى اليهودية ترى ياهو الذى يمثلون به طهارة التوحيد اليهودى يجعلونه فى مثل تلك المظاهر المتهالكة كما تراه فى متحف الفاتيكان وفى نسخ الأناجيل المصورة القديمة .

لكن الله فى الإسلام كما تحدث عنه القرآن ، فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته أزميله ، ذلك لأن الله لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه أن تكون له صورة ولا حدود محدودة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

---

(١) كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبدالحليم محمود .

ثانيا : فيما يتعلق بالصلاة :

إن الحركات والإشارات فى الصلاة الإسلامية ، ذات بساطة ولطافة ونبالة ، لم يسبق لها مثيل من نوعها فى صلاة غيرها ، وهى خالية من تلك الأمور الشائنة التى خصها المسيحيون بالصلاة المسيحية مما جعلها فى غير جمال ولا جلال ولا وقار .

والأقوال والحركات التى فى الصلاة الإسلامية ، هى ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان ، خالية من تكلفات الخضوع ومن مبالغات الورع ، لأن الله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور وهو الغنى الحميد .

ثالثا : فى التسامح :

يقول القس « ميشون » فى كتابه سياحة دينية فى الشرق : إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة ، وهى أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم .

رابعا : فى العلم :

رفع النبى محمد صلوات الله وسلامه عليه قدر العلم وجعله من أول واجبات المسلم ، وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام « اطلبوا العلم ولو بالصين » « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » « وفضل العلم خير من فضل العبادة » .

خامسا : فى الفروسية :

ينظر المسيحيون إلى « سان لويس » على أنه النموذج الأعلى للثمرة المسيحية الناضجة ، غير أن الوثائق التاريخية تثبت فى وضوح وسهولة أن خصمه صلاح الدين الأيوبى ، كان أرفع منه قدرا فى الحضارة وفى الشجاعة وفى معاملة الخصوم .

وقد ذكر العالم المسيحى المتدين (بارتلمى سان هيلار) فى سياق حديثه عن القرآن أن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل على سادات أوربا وفرسانها فى القرون

الوسطى ، فى تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها ، ثم تعليمهم رقة العاطفة ، وتهذيب نفوسهم ، والرفعة بها إلى حيث الإنسانية ، والنبالة ، وكل ذلك دون أن يصيبهم ضعف يفقد من فروسيتهم وشجاعتهم شيئا .

سادسا : بالنسبة للدين والكتاب والمسيح :

إن دين الله واحد ، وإن الإسلام أتى مصدقا لما سبقه مصححا لما نال الكتب السابقة من تحريف ، مهيمنا على تلك الكتب بكتابه العظيم ، وهو « القرآن الكريم » الذى وعد الله بحفظه قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١) ورغم هجومه على الكنيسة ورجالها ، كان يعلن احترامه للمسيح بوصفه رسولا من قبل الله ، واحترامه للمسيحية الصحيحة التى يتحدث عنها القرآن لاتلك التى ابتدعها رجال الكنيسة .

٥ – رينيه جينو :

هو علم من أعلام الفكر وفيلسوف من الحكماء ، أراد أن يعتصم بنص مقدس لايأتيه الباطل ، فلم يجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن الكريم ، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل ، لأن الله تكفل بحفظه ، وحفظه حقيقة مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٢) .

لذلك اعتصم هذا الفيلسوف بالقرآن ، وسار تحت لوائه فغمره الإيمان وغشيته رحمات منزل القرآن ، فاهتدى بهديه وأسلم ، وحسن إسلامه ، وتسمى بالشيخ عبد الواحد يحيى ، وألف كتبا كثيرة للتعريف بالإسلام والدفاع عنه ، ورغم أن الكنيسة حرمت قراءة كتبه بوصفه من كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم ، بل حرمت حتى الحديث عنه ، ومع ذلك فقد انتشرت كتبه فى جميع أرجاء العالم وطبعت مرات عديدة وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة ، بل ترجمت بعضها إلى لغة الهند الصينية .

٦ – الدكتور جرينييه :

فرنسى كان عضوا فى مجلس النواب الفرنسى .

(١ ، ٢) الحجر آية (٩) .

قصده الرحالة السيد محمود سالم فى مدينة « بونتارليه » وسأله عن سبب إسلامه فقال له : « إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية ، والتى درستها من صغرى وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح ، من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا ، لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض . »

٧ – واصف باشا نجل بطرس غالى باشا :

مصرى ألف كتابا عن فروسية العرب المتوارثة ، جاء فيه « كان محمد يحب النساء ويفهمهن ، وقد عمل جهد طاقته لتحريرهن ، وربما كان ذلك بالقدوة الحسنة التى استنها فوق ما هو بالقواعد والتعاليم التى وضعها – كذا قال – وهو يعد بحق من أكبر أنصار المرأة العمليين ولم يكن ذلك خاصا منه بزوجاته ، بل كان ذلك شأنه مع جميع النساء على السواء ، فهل نستطيع أن نقول شيئا من هذا عن الكثيرين من رجال الكنيسة ، وقد كان أحدهم وهو القسيس سان بونا فنثور يقول لتلاميذه : إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنا بشريا ولا كائنا وحشيا ، وإنما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفير الشيطان .

٨ – الكونت هنرى دى كاستر :

فرنسى درس الإسلام دراسة عميقة ، رغم تمسكه الشديد بديانته المسيحية ، فإنه يقول فى مؤلفه الممتاز عن « الإسلام سوانح وخواطر » الإسلام هو الدين الوحيد الذى لاتجد فيه مرتدين ، ومن العسير بل من المحال أن تتصور صورة دقيقة للحال النفسية التى يكون عليها المسلم ، إذا ما حاول أحد المسيحيين ، أن يقنعه باعتناق المسيحية ، لعلنا نجد صورة مقارنة شيئا ما لهذا إذا ما تخلينا عن إحساسات وشعور رجل مسيحى مستنير ، يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلى اعتناق خرافاته المرذولة .

وقد بين فى مؤلفه السابق الإشارة إليه صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وسمو رسالته وجلال التوحيد المجرد لله .

٩ – الدكتور نظمى لوقا :

مصرى مسيحى ذكر فى كتابه محمد الرسالة والرسول[1] :

(ا) إن أول الأديان الكتابية ، هو دين بنى إسرائيل ، فهو وإن كان دين توحيد وتنزيه ، بيد أنه اختص به شعب معين دون سائر الشعوب ، فهو إذن ليس الذى يهتدى به الناس كافة ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة ، لأن بنى إسرائيل كانوا من قبل قوم أوثان وتعدد وتجسيم ، وكانوا أشتاتا فى الأرض ينزلون هنا وينزلون هناك على شعوب غريبة ، فيدعون على البلاد والأصلاء أن لهم فيها وطنا وبأسا وسيادة وغلبة ، فلما انتقلوا إلى عبادة التوحيد لم يتجردوا مما كان عالقا فى وثنيتهم القديمة ، مما كان الناس يلتمسون فى أربابهم النقمة وقوة السلطان فالتمسوا فى الإله الواحد أن يختص بهم ، لايعبده أحد سواهم ، وأن يغلبهم على من عداهم من الخلق ، وأن يمكن لهم فى أرض العباد ورقابهم ، وكانت آفاق الدنيا فى نظرهم حقا لهم فعبدوا فى الإله الواحد مصدر المعاش وسند الملك ، وجبروت الانتقام ومناط المعاملات بين الأفراد ، وانتظروا منه أن يكون لهم عونا على جبروتهم ، وذهبوا إلى حد الاعتقاد بأن الحق والعدل مما شرع الله ، غير مطلوبين من العبرانى إلا نحو عبرانى مثله ، أما مع غير العبرانى فلا حق له عندهم ولا شرع ولا عهد .

ثم بلغ الإسفاف بشعب بنى إسرائيل ، أن جعلوا الأوثان فى بيوتهم يسمونها « الطرافين » وأقاموا للبعل وغيره مذابح فى قلب هيكل النبى سليمان .

وشعب هذا شأنه لايصد عن إسفافه وانتكاسته إلى عبادة الأوثان ، إلا بالتخويف وهزيم النذير بين يدى عذاب شديد ، فامتلأت أقوال أنبيائهم المتعاقبين بالتهديد والتحذير ، حتى صارت الصفة الغالبة للإله الواحد عند بنى إسرائيل ، أنه رب الجنود ، وأنه القوى المنتقم الجبار الغضوب .

(ب) ولكن العقيدة حاجة روحية أصلا ، فلن تطول القناعة أمام البشر بعقيدة يختص بها فريق من الناس دون فريق فليس للروح والضمير وطن ولا جنس ، والعقيدة

---

(١) محمد الرسالة والرسول للدكتور نظمى لوقا – بتصرف .

التى يقنع بها الضمير ويطمئن إليها ، لابد أن تفتح الباب لجميع الشعوب ، حتى تتجه الروح إلى الله لا لأنه المرهوب ذو المنة فحسب ، بل لأنه مصدر الحياة والوجود والمثل الأعلى والمطلب الأسمى للاعتقاد ، تتجه إليه النفوس مشوقة غير مسوقة ، وبهذا كان الطور الطبيعى للإنسانية أن تطلب الهداية فى رسالة المسيحية ، التى لاتدعو إلى التوحيد والتنزيه فحسب ، بل تجعل الله المشوق إليه الأسمى الذى يتجه إليه وجدان كل إنسان ، فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه ، فلا يبقى للحس وجاهه سلطان ، ولا للطقوس قيمة ، على قلب المحب ، والمسيحية فيما تعنيه هنا هو ما جاء به المسيح من نصوص كلامه ، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل ، ولذا كانت دعوة المسيح خالية من المراسم والطقوس ، كما خلت من تشريع المعاملات ، لأن موضوع المعاملات والحياة الدنيا برمتها لم تدخل له فى حساب يشقيها من مال وقصاص .

إلا أن عقيدة القلب الخالص من كل علائق المادة هى بطبعها عقيدة الأفراد والأفذاذ ، أما السواد من الناس فللحس على قلوبهم أبدا سلطان غير مجحود ولا مردود . لهذا بقيت المسيحية فى حقيقتها بين قلة من الأفراد ميسرين لها ، وكانت نتيجتها المنطقية ، تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا ومعاناتها ، أما عامة الناس فراحوا يلبسون أوثانهم الحسية وعقائدهم المادية طيالس العبادة الجديدة ، فلم يستطيعوا الارتفاع إلى المستوى الروحى العالى الذى هو مضمون دعوة السيد المسيح .

(جـ) و لم يزل الناس بحاجة إذن إلى عقيدة جديدة ، يجتمع إليها العقل والقلب جميعا وتصحح ما ترددوا فيه من الأخطاء فى تفهم ما سبق من عقائد ورسالات فالناس كانوا بحاجة إلى دين يؤكد وجود الله وأنه خالق الخلق وأنه الكامل المتفرد بالكمال ، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير ، حتى تنتهى دعاوى قدم المادة وتفردها بالوجود ابتداء ، ويؤكد وحدانية الله توكيدا يقضى على عقابيل التعدد فى تصور الإله .

ويلزم كذلك أن يؤكد هذا الدين التنزيه لله ، حتى لايتزلق الناس إلى التجسيم الذى طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد ، بسبب غلبة الحس عليهم ، هذا من جهة مضمون العقيدة الجديدة .

أما من جهة موقعها من الناس ، فينبغى أن يتجه الدين الجديد إلى الناس كافة ، لافرق فيهم بين شعب وشعب ، ولابين جيل وجيل ، ولا بين طبقة وطبقة ، كما ينبغى أن يكون فى هذا الدين الجديد مقنع للمتاز الميسر لأشواق الروح ، وأن يكون فيه كذلك لصاحب الدنيا ملحظ يلفته إلى آفاق الروح .

لن تكون الحياة الدنيا فى هذا الدين الجديد رجسا ، بل هى من ملك الله وطيبات نعمائه ، فالله صاحب الدنيا كما هو صاحب الآخرة .

وهكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة ، العامة منهم والخاصة ، يشعر كل منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا وبالآخرة ، بالله والإنسان ، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين الجديد ، هذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذى انبرى للنهوض برسالة هذا الدين ، طبقا للآتى :

أولا – وحدانية الله :

قال تعالى فى سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

فى هذه السورة نقض لعقائد الشرك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى التى انحرفت ، فقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته ، وأنه ابن الله ، وأن الإله الواحد جوهر واحد ، له ثلاثة أقانيم الله الأب ، الله الابن وهو المسيح ، والروح القدس ، وشبهوا ذلك السر الإيمانى المسيحى بالشمس ، وكيف أنها حقيقة واحدة ، تقع على الحواس قرصا ، ونورا ، وحرارة ، ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة فى بشارات حوارييه ، وهى الأناجيل ، أى إشارة إلى شيء من ذلك ، بل كان يدعو نفسه على الدوام « بابن الإنسان » .

وأما البنوة لله عز وجل ، فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز [1] المطلق ، وبمعنى يشمل البشر كافة حين أوصى أن يكون صلاة الناس إلى الله بادئة بقولهم « يأبانا الذى فى السماء » وحين طالب أتباعه وجميع الناس أن يسلكوا طريق البِرّ كى

(١) انظر معنى البنوة الوارد فى الكتب المقدسة فى الباب الخامس مناقشة بعض المفاهيم فى الديانة المسيحية والديانة اليهودية فى كتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة ، والإنجيل والقرآن للمؤلف .

يكونوا جديرين بنسبهم إلى الله ، فالمسيح رفع خصوصية البرعن اليهود ، الذين قالوا : إن أبناء إبراهيم وحدهم هم الناجون الظافرون برضوان الله ، لأن الناس كافة أبناء الله ، أى أحبابه ، ما سلكوا طريق البر وأحبوا الله وأحبوا إخوانهم فى الله حتى أعداءهم .

بل إن المسيح وعظ الناس فضرب لهم المثل برعاية الله وعنايته بما يتيحه من الرزق لطيور السماء ووحش الفلاة ، وما يتيحه من الزينة لزنابق الحقل ، فلا ينبغى أن يكون حرصهم كله على مال الدنيا وقوتها ، وجاهها وزخرفها ، وما أقرب أن يجعل الأبوة رعاية مطلقة شاملة لجميع الكائنات ، وما أبعد أن تكون البنوة ذلك السر أو اللغز المعقد ، الذى اختلفت فيه أقوال المفسرين ، من أساطين الكهان وعلماء اللاهوت المسيحى .

وقد أدى هذا اللبس إلى فتنة ، بل فتن بين صفوف أتباع المسيح والمنتسبين إليه ، وجمعت المجامع المسكونية ، ووقعت المذابح ، وصار الإيمان سبيلا إلى اللدد والفرقة ، لا إلى الألفة واجتماع العقول والقلوب على عقيدة يطمئن الجميع إليها ، وناهيك بعقيدة لبابها المحبة حتى للأعداء تكون مثار ذلك كله ، حتى لقد انزلقت المعتقدات المسيحية إلى الشرك من باب هذا السر الذى ابتدعوه ، وجعل من الواحد الفرد ثلاثة أقانيم ، وإزاء هذا اللبس وشوائب الريب التى رانت على عقيدة التوحيد فى المسيحية ، تعين أن يأتى الدين الجديد حاسما لهذا الخلاف الذى طمس ضياء الوحدانية ، لذلك كانت سورة الإخلاص ، هى السراج المنير الذى أزاح الظلمات عن قدسية الوحدانية وجلالها ، وقررت ضمن ما قررت أن الله لم يلد ولم يولد ، وأقرب إلى العقل أن من يلد أحرى أن يولد ، وما كان الله سبحانه فردا فى جنس ، وواحدا فى سلالة من نوعه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فضلا عن اتصاف الذات الإلهية بكل صفات الكمال منزهة عن كل نقص ، وهكذا بدت العقيدة الإلهية فى الإسلام ناصعة الصفاء ، متجردة من الشرك وشبهاته ، ومن النقص وشوائبه على نحو حاسم كانت البشرية قد باتت فى حاجة ماسة إليه ، بعد الذى انتاب المؤمنين بالأديان من اختلاف وبلبلة ، وعندما يحار البشر فى الذات الإلهية يأتى القرآن فيقضى على تلك الحيرة بقوله الفصل ﴿ ليس كمثله شىء[1] ﴾ وعندئذ تنبعث الطمأنينة

(١) الشورى ، آية (١١)

فى كل نفس ، وباب العقيدة فى الإسلام مفتوح لكل إنسان لايصد عنها أحد بسبب جنسه أو لونه .

قال تعالى فى سورة الأعراف : آية (١٥٨) :

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الحجرات : آية (١٣) :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارفوا إن أكرمكم عند الله أَتْقَاكُم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

ثم يذكر الدكتور نظمى لوقا موقف الإنسان بعد الديانة اليهودية والمسيحية ، فيقول : إنه كان فى موقف لايحسد عليه ، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم فى خطيئته الأولى ، بعد أكله من شجرة المعرفة ، والتى اعتبرت خطيئة باقية موروثة لابد لها من كفارة وفداء ، حتى لايذهب بجريرتها أبناء الجنس البشرى كافة .

وقد ركب الفزع والهول نفسية الدكتور نظمى لوقا وهو صغير من جراء تلك الخطيئة التى اقترنت فى ذهنه بوصف مثير لجهنم ، لتحرق أبناء البشرية جزاء وفاقا على تلك الخطيئة التى ارتكبها أبوهم آدم وبإيعاز من حواء ، وأنه لولا النجاة على يد المسيح ، الذى فدى البشر بدمه الطهور ، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين ، مع أنه فى الحقيقة لاذنب لهم .

لذلك كان لابد من عقيدة جديدة تدفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطمئنهم إلى العدالة التى لاتأخذ البرىء بذنب المجرم ، أو تحمل الولد أوزار أبيه ، لذلك كان الإسلام هو هذه العقيدة الجديدة . ولقد حسم القرآن هذا الأمر حين تعرض لقصة آدم ، فيقرر أن الله تاب عليه .

قال تعالى فى سورة طه : آية (١٢١ ، ١٢٢) .

﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة : آية (٣٧) :

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

وتكون النتيجة من كل ذلك أن أبناء آدم لا علاقة لهم بخطيئة قيل إن أباهم قد ارتكبها ، لأن هذه الخطيئة انتهى أمرها فى حينها ، بتوبة آدم واجتباء ربه له ، أما الأبناء فحساب كل منهم على ما اقترفته ذاته فقط .

قال تعالى فى سورة الإسراء : آية (٧٠) :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ .

ويقول فى سورة النجم : آية (٣٩ ، ٤٠) :

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى ﴾ .

والحق أنه لايمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة ، إلا من نشأ فى ظل تلك الفكرة القائمة ، التى تصبغ بصبغة الخجل والتأثيم كل أفعال المرء ، فيمضى فى حياته مضى المريب المتردد ، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث . ففكرة الخطيئة الموروثة ، تسمم ينابيع الحياة كلها لمعتنقيها ، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى ، وهذا ما قام به الإسلام فى عقيدته الواضحة الناصعة : أ هـ .

ولنا تعليق على هذه الخطيئة التى قيل [1] : إن آدم أبا البشر ارتكبها وهو النبى المعصوم ، فهى فى الحقيقة وواقع الأمر ليست معصية متعمدة ؛ وإنما وقعت بسبب النسيان ، والنسيان لا يعتبر خطيئة ، وإنما هو عصيان فى الظاهر ، وإنما سماه الله معصية على حد قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ويؤكد هذا الرأى قوله سبحانه وتعالى فى سورة طه . آية (١١٥) :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ .

---

(١) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار ، أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر .

١٠ – الدكتور ماركس دوردذ[1] يقول فى كتابه : محمد وبوذا والمسيح :

« أليس محمد نبيا على وجه من الوجوه ؟ ثم أجاب قائلا : إنه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الأنبياء ، فقد عرف حقيقة عن الله لم يعرفها الناس من حوله ، وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لاتقاوم لنشر تلك الحقيقة ، وإنه لخليق فى هذه الفضيلة ، أن يسامى أوقر الأنبياء شجاعة وبطولة بين بنى إسرائيل ، لأنه جازف بحياته فى سبيل الحق ، وصبر على الإيذاء يوما بعد يوم عدة سنين ، وقابل النفى والحرمان والضغينة ، وفقد مودة الأصحاب بغير مبالاة ، فصابر على الجملة أقصى ما يصبر عليه إنسان دون الموت الذى نجا منه بالهجرة ، ودأب مع هذا جميعه على بث رسالته ، غير قادر على إسكاته وعد ولا وعيد ، ولا إغراء ، وربما اهتدى إلى التوحيد أناس آخرون بين عبادة الأوثان إلا أن أحدا آخر غير محمد لم يقم فى العالم مثل ما أقام من إيمان بالوحدانية دائم مكين ، وما أتيح له ذلك إلا بمضاء عزمه أن يحمل الآخرين على الإيمان ، فإذا سأل سائل ما الذى دفع بمحمد إلى إقناع غيره ، حيث رضى الموحدون بعبادة العزلة ؟ فلا مناص لنا أن نسلم أنه هو العمق والقوة فى إيمانه بصدق ما دعا إليه » .

١١ – المستشرق والفيلسوف الألمانى (لايبنتز)[2] :

شق هذا الفيلسوف أمام أبناء جلدته من المستشرقين الألمان ، طريقا مستقيما لدراسة شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل والمنطق ، وبأسلوب العالم الذى يتحرى الموضوعية والإنصاف فيما يكتب عن الإسلام ورسوله ، وكان ذلك سنة (١٧١٠) إذ يقول : « إن محمدا لايبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة الحقيقية الأصلية ، وقد قام أتباعه بنشر هذه التعاليم إلى أقصى شعوب آسيا وأفريقيا ، وفى كثير من البلاد قام الإسلام بالقضاء على المعتقدات الوثنية التى وقفت أمام التعاليم الصحيحة عن وحدانية الله وخلود الروح » .

---

(١) عبقرية محمد ، للأستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) مجلة الوعى الإسلامى ربيع الأول سنة ١٣٩٢ ، ابريل سنة ١٩٧٢ ، بحث للشيخ طه الولى .

١٢ - ليسنغ أكبر الشعراء والنقاد الألمان فى زمانه يقول :

إننى أعتقد أن كل مفكر يوافقنى على أن كل المبادىء الرئيسية فى تعاليم محمد ، تنبع من الديانة الفطرية الطبيعية .

١٣ - الدكتور جوستاف فايل :

من مستشرق الألمان فى القرن التاسع عشر ، أصدر دراسة كاملة تناول فيها السيرة النبوية الشريفة ، حرص فيها على تقديم صورة يركن إلى صحتها عن المرحلة الأولى لظهور الإسلام ، ومن حسن الحظ فى دراسته أنه أعتمد على مصادر ، كانت أفضل بكثير من تلك التى اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبله ، وقد انتهى فايل من دراسته المذكورة إلى الاقتناع بأن محمدا ، يمكن أن ينظر إليه من جانب غير المسلمين على أنه بالفعل « رسول الله » .

١٤ - شاعر الألمان الكبير جوته :

وضع الأنشودة الثنائية بين على بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى اشتهرت بعد ذلك باسم (أنشودة محمد)وفيها يصور هذا الشاعر الرسول الأعظم ، ﷺ ، بأنه النموذج الأعلى للإنسان الذى ملأ الله عليه قلبه وحياته ، وأنعم عليه وطهره وأصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى .

وتدور أحداث هذه الأنشودة حول النبى ﷺ وهو فى صباه يقف على ملتقى الطرق بين الأفكار الدينية المختلفة ، ويكافح من أجل الإيمان والاعتقاد بإله واحد ، وجوته يشبه فيها النبى ﷺ : بنهر عارم مطرد ، يجرف أمامه كل شىء ، ويقتلع ما يصادفه ، ويندفع به بقوة إلى الإله الأبدى .

وقد شغلت شخصية الرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه شاعر الألمان الكبير جوته طوال حياته ، فعندما صنف كتابه (الديوان الشرق للمؤلف الغربى) ضمن هذا الديوان أكثر من اثنتى عشرة قصيدة تدور كلها حول محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

١٥ ــ جوزيف فون هامر - بورشتال :

من مستشرق الألمان فى القرن الماضى أيضا ، وضع فى سنة ١٨١٨ كتابا جمع فيه سير الخلفاء والأمراء والملوك الكبار ، ونشر فى نحو خمسين مقالة تحت عنوان (إيوان الصور لحكماء المسلمين الكبار فى القرون السبعة الأولى للهجرة) وفى هذه المقالات عالج فون هامر سير الملوك المشهورين فى بلاد الإسلام مبتدءا بسيرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، إذ قال فيه ضمن ماقاله الآتى : « يجب أن تتمسك بوجهة نظر أن محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلك الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة إخراج قوله من ضلال تعدد الآلهة وهداية هؤلاء القوم إلى الصراط المستقيم وإعادتهم إلى الإيمان بالإله الواحد بل إنه كان يتملكه أيضا شعور دينى حى ، واقتناع ذاتى بالوحى الإلهى الذى ينزل به الروح الأمين على قلبه ، وكان على إيمان عميق ، شأنه فى ذلك شأن سابقيه من الأنبياء الآخرين ، بأنه إرادة السماء يأخذ أمته فى طريق الهدى والصراط المستقيم ، إنه واحد من مؤسسى الأديان الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وسوريا والجزيزة العربية ، وانتشرت فوق سطح الكرة الأرضية بكاملها وهو خاتم النبيين » .

كما ألف فون هامر كتبا أخرى فى الإسلام والنبى محمد ﷺ ، من ذلك كتاب القصائد الشعرية التى نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفير الجهاد » وصور فيها النبى الكريم داعية عظيما للجهاد فى سبيل الله – وفى سنة ١٨٢٣ قام بالرد على ما جاء فى مسرحية فولتير من تهجمات على شخصية النبى عليه الصلاة والسلام ، فألف كتابا تحت عنوان « محمد أو محاضرة مكة » تحدث فيه عن فتح الرسول عليه السلام لمكة المكرمة .

١٦ - دوامر من شعراء الألمان ومستشرقيهم :

ألف فى سنة ١٨٤٨ ديوانا أسماه (محمد وأعماله) حاول فيه المقارنة بين كبرياء المسيحية وترفعها الروحى ، وبين بساطة الإسلام ويسره واتفاقه مع الطبيعة السمحة .

١٧ ــ دوالمر من مستشرق الألمان وأدبائهم :

كتب قصصا تاريخية ونشرها فى سنة (١٨٤٤) تحدث فيها عن نشأة النبى

صلى الله عليه وسلم وتطوره حتى مرحلة النبوة ، وذلك بأسلوب رومانتيكى جذاب .

١٨ – شافهايتين ، وفون ديربفوردتن :

من كتاب الألمان ومستشرقيهم ، أصدرا كتبا وقفا فيها موقفا إيجابيا ، مؤيدا للنبى ﷺ .

١٩ – فرديناند وستينفيلد :

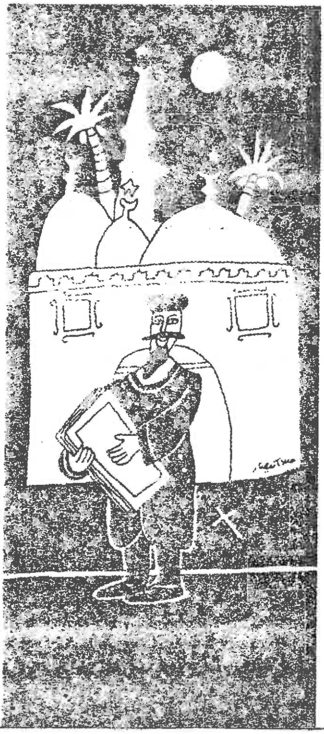
مستشرق ألمانى أيضا أصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن هشام ، بنصها العربى ، وقد تمت ترجمة هذه السيرة من العربية إلى الألمانية بمعرفة المستشرق الألمانى فابل سنة ١٨٦٤ .

٢٠ – المستشرق الألمانى يتودور نولدكه :

أصدر كتابا قائما بذاته ، تناول فيه شخصية النبى ﷺ ، ودعوته ، وأطوار حياته تحت عنوان (حياة النبى محمد) كما شارك فى الإشراف على طبع تاريخ الطبرى ، وترجمته إلى الألمانية ، ومن أقوال نولدكه فى كتابه عن سيرة النبى الكريم ﷺ : إننا لكى نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد ، يجب ألا نتأمله قط فى حياته كنبى وداع وحاكم ، بل نتأمله أيضا فى حياته ، ومعاملاته مع أتباعه ، وأصدقائه ، وفى حياته اليومية ، فإن عددا لايحصى من الشواهد والأدلة الصادقة ، يبرز صورته فى ضوء بهيج ، وأنه كان يملك أنبل الخلق والإيمان برسالته فى العودة بالناس إلى الدين الصحيح ، ينجيهم من العذاب المقيم ، ويمكنهم من نعيم السماء .

والنتيجة من كل ذلك أنه لم يعد النبى محمد ﷺ فى نظر العلماء والمستشرقين ، الذين تبرءوا من التعصب والحقد والضغينة مجرد وثن أسطورى يعبده المسلمون ، ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحق والصواب ، كما كان يصوره أحبار الكنيسة والدائرون فى فلكها المتزمت سابقا من المبشرين والمستشرقين ، بل أصبح النبى عليه الصلاة والسلام إنسانا جديرا بكل احترام وتبجيل ، لأنه جاء بدين ينطوى على أجود الآراء وأحسنها ، فهو نور الله الداعى إلى الحق والهدى .

الباب الثالث
آثار المبشرين والمستشرقين فى المشرق العربى وبلاد الإسلام



آثار المبشرين والمستشرقين

فى المشرق العربى وبلاد الإسلام

الفصل الأول

آثار المبشرين

عمل المبشرون على خلق الأسباب التى تدعو إلى الحرب بين الأمم الإسلامية ، التى يعملون بين شعوبها ، وبين الحكومات الأوربية التى يعتنقون سياستها ، بل وتشجيع الحرب المستمرة على الأمم الإسلامية بأمل إضعافها ، كما حدث فى تركيا إبان الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، لأن أوربا وأمريكا تنظر حتى اليوم إلى جميع حروبها نظرة دينية[١] .

١ – فقد حاربت روسيا تركيا عدة قرون ، حروبا تكاد تكون متصلة حتى أضعفتها ، واستولت منها على بلاد القوقاز وبلاد القرم ، وحاربتها رومانيا واليونان والصرب وأهل الجبل الأسود وبلغاريا حتى خرجت من تحت سلطة الدولة العثمانية .

٢ – كما عملت النمسا وفرنسا على تهييج أمم البلقان ضد السلطان العثمانى .

٣ – أما إنجلترا فكانت تظهر بمظهر الود ، ثم تكيد الدسائس لها ، فهى التى أهاجت الأرمن والدروز وأهل كريت ، ثم حصلت على قبرص بدعوى مساعدة تركيا فى مؤتمر برلين ، ثم دفعت روسيا إلى حرب تركيا .

ولنستشهد بأقوال هؤلاء الذين عملوا لتنفيذ تلك السياسة[٢] .

---

(١) كتاب المسألة الشرقية تأليف الزعيم الوطنى مصطفى كامل .

(٢) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية تأليف الدكتور مصطفى خالدى والدكتور عمر فروخ .

١ – المسيو أوجين يونج :

وكيل حكومة التونكين الفرنسية فيما سبق ، حرر كتابا بعنوان (استعباد الإسلام – الحرب الصليبية الجديدة) ذكر فيه أن الفاتيكان وهو المركز الرئيسى المقدس ، حيث يوجد بابا الكاثوليك الحبر الأعظم للكاثوليكية ، يخطط دون ملل وكلل لحروب صليبية جديدة ، دون أى تهاون أو كسل ، وذلك من وراء ستار المداهنة وفى ثوب من الرياء يشف عما تحته فهو يهيىء مقدمات حرب دينية شديدة الفزع والهول .

٢ – لورنس براون يقول :

وكذلك شنت الدول الأوربية حروبا عدوانية على الحكومات المسلمة ، ثم انتزعت منها أراضى ضمتها إلى سلطانها هى .

ولقد كانت النتائج فى أحوال كثيرة غير سارة لبعض الشعوب التى استعبدت ، وخصوصا من المسلمين ، ولكن هذه الشعوب لم تصل بعد ، إلى درجة تشعر فيها أنها أصبحت أقليات مضطهدة ، أو أنها تعيش فى حابورات (والحابورة كلمة عامية معناها حى اليهود) فكأن هذا الأوربى يتمنى أن يجعل المسلمين مضطهدين كاليهود ، يعيشون فى أحياء عليها سمة الذل والاضطهاد .

٣ – وليم كاش :

مبشر ألف كتابا دعاه العالم الإسلامى فى ثورة ، وذلك عندما ثار الأمير عبد الكريم الخطابى فى بلاد الريف من أرض المغرب على أسبانيا ، لأن هذه الثورة أقلقت جميع دول الغرب ، فأسرعت بمساعدة أسبانيا ، على التغلب على الأمير عبد الكريم وثورته ، ويقول هذا المبشر فى كتابه :

« لقد التقى الأسبان بالحماسة العربية القديمة ، واضطروا إلى أن يخلوا من مناطق نفوذهم موقعا بعد موقع حتى أصبحوا يحاربون وظهورهم إلى البحر مباشرة ، وعلى وشك أن يخرجوا من شمال أفريقيا مرة واحدة ، وهكذا نجد للمرة الثانية منذ الحرب العظمى الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) أن دولة أوروبية يتغلب عليها جيش

مسلم ، فلقد اتفق أيضا لثلاث سنوات خلت ، أن مصطفى كمال طرد اليونان من آسيا الصغرى ، وتحدى بذلك سلطان أوروبا القوى .

٤ – أشعيا بومان :

كتب فى مجلة العالم الإسلامى بنيويورك مقالا عنوانه الجغرافية السياسية للعالم الإسلامى ، ذكر فيه أن شيئا من الخوف ، يجب أن يسيطر على العالم الغربى .

لهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا ، بل هو دائما فى ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب ، بل إن من أركانه الجهاد ، ولم يتفق قط أن شعبا دخل فى الإسلام ، ثم عاد نصرانيا .

وأن الصحراء كانت للمسلمين حصنا منيعا ، ذلك لأن البدو تكون نسبة مئوية كبيرة فى المسلمين – وأنه ما من دولة حاولت التغلب على المسلمين ، واتفق أن ظفرت إلا خسرت أضعاف ما خسره المسلمون فى ذلك الكفاح .

ويقترح هذا الكاتب المسيحى أن تتفق بريطانيا وفرنسا على سياسة السيطرة على الشواطىء ، حيث تصلها السفن الحربية محملة بآلات القتال لحرب العرب والمسلمين .

ثانيا : أثار المبشرون[1] الاضطرابات المختلفة ، وذلك بإزكاء نار العداوة والبغضاء ، بين الفئات التى كانوا يقومون بالتبشير بينها فى مختلف الدول ، حتى يكون ذلك ذريعة للتدخل فى شئونها بهدف حماية الأقليات النصرانية ، ولما فشلوا فى التأثير فى البيئة الإسلامية ، أثاروا الخلافات بين طوائف المسيحيين المختلفة ، وكان يزعجهم أى تقارب بين معتنقى الأديان الأخرى ، ولقد دفعوا الأقلية الأرمنية على الثورة ضد الحكومة العثمانية مرارا ، وكما أثاروا طائفة الأشوريين فى العراق على حكومة العراق والأشوريون طائفة مسيحية قليلة

---
(١) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للدكتور مصطفى خالدى والدكتور عمر فروخ

العدد ، تعيش فى شمال العراق ولا علاقة أو صلة بينهم وبين الأشوريين ، الذين كانوا يقطنون العراق قبل الميلاد ، وقد عمل المبشرون يؤيدهم الاستعمار البريطانى على ضم أفراد هذه الطائفة فى صيف سنة ١٩٢٠ إلى القوات البريطانية ، لمقابلة ثوار العراق المسلمين ، والانتقام منهم .

ولنستشهد ببعض أقوال المبشرين أنفسهم .

١ – جيب :

يقول إن الأكليروس المارونى ، يحث أتباعه على الابتعاد عن البروتستانت ، واضطهاد أهل المذاهب النصرانية الأخرى ، خصوصا بعد أن طمع البطريرك المارونى فى سلطة زمنية على جبل لبنان .

ولقد خلقت المنافسة بين المبشرين البروتستانت ، والمبشرين اليسوعيين فتنا واضطرابات فى سوريا ولبنان ، حتى أن بعض المدن مثل زحلة ، سبحت فى المناقشات الدينية والفوضى والاضطرابات ثلاث سنوات فى أواخر القرن الماضى .

٢ – جان يانكى :

قسيس فرنسى يدين بالمذهب البروتستانتى ، كان يعمل أستاذا فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، يزعم أن الاضطرابات التى حدثت فى لبنان سنة (١٨٦٠) بأنها مذبحة ، قام بها الدروز لقتل النصارى الأرثوذكس والموارنة ، مع أن الحقيقة أن فرنسا هى التى قامت بتسليح الموارنة ، وإنجلترا هى التى قامت بتسليح الدروز ، ثم قام المبشرون بإزكاء نار الفتنة والاضطرابات بينهما ، بل إن بعضا منهم اشترك فيها وقتل مثل الراهب اليسوعى فرديناندو بوتاشيتا فى مدينة زحلة .

٣ – يوليوس رشتر :

مبشر ألمانى يقول : إن مذبحة لبنان التى حدثت سنة (١٨٦٠) قد

أثارت رحمة قوية فى العالم المسيحى ، وعن هذا الطريق بدأ هذا العام فصلا جديداً فى تاريخ الجهود البروتستانتية فى الشرق الأدنى .

ويرى هذا المبشر أن وزر هذه المذبحة يقع على الموارنة فهم مخطئون لأنهم نتيجة للهزائم التى منوا بها فى عام ١٨٤٢ – ١٨٤٥ فإنهم ظلوا تواقين إلى إذلال جيرانهم ، ومن غير سبب سقط الموارنة عام ١٨٦٠ على بضع قرى درزية ، ولكن الدروز نهضوا إليهم نهضة رجل واحد ، ويود هذا المبشر أن توالى الدول الأجنبية تدخلها بالقوة كلما لزم الأمر ، توسيعا لحركة التبشير بين المسلمين خاصة .

٤ – المبشر دانيال بلس :

يدعى أن التبعة تقع على المسلمين ، إذ قيل : إن اتفاقا عقد بين دروز الجبل ، وبين قسم من النوع السافل فى المسلمين لمهاجمة المدينة فى ليلة ما ، ثم إن جميع السكان المسلمين من ذلك النوع السافل ، كانوا فى كل مكان يلوحون بعصيهم ونبابيتهم .

ثالثا : العمل على منع انتشار الإسلام ، واضطهاد المسلمين ، ومساعدة الإرساليات المسيحية ، ونشر الفساد ، فإذا لاحظ المبشرون عدم إقبال الوثنيين على المسيحية ، كما حدث فى جنوب السودان ، كان على المبشرين أن يقصروا همهم على منع انتشار الاسلام ، وهذا ما حدث هناك إذ برزت مشكلة جنوب السودان ، بعد استقلاله واختلف مع الحكومة المركزية ، حتى وصل الأمر إلى الثورة والقتال ضدها ، رغم أن نسبة المسيحيين هناك نسبة قليلة جدا .

١ – فالمبشر وطمرن :

يقترح أن تتعاون الحكومات الغربية عسكريا فى سبيل منع انتشار الإسلام ، بين القبائل الوثنية فى أفريقيا ، حتى تكون مهمة المبشر أهون لفقدان المنافسة الإسلامية ، لأن المبشرين عامة يخشون منافسة الإسلام خشية شديدة .

٢ – فاروتر :

يقول : إن نزول الإرساليات المسيحية على ساحل غانة ، من نهر غامبية ، إلى

نهر النيجر على ساحل أفريقيا الشمالى للتبشير بين الوثنيين من أهل أفريقيا ، ثم احتلال الدول الأوروبية لهذه المناطق ولما وراءها ، هما اللذان أقاما الإسلام والنصرانية وجها لوجه فى تلك الأصقاع ، كل دين يحاول أن يجتذب إليه أولئك الوثنيين ، ولم يكن فى الأمر منافسة لو لم تقف الدول الأوروبية بجانب مبشريها .

٣ – المبشر كنيث لا تورث :

نشر مقالا فى المجلة الدولية للإرساليات عنوانه (الجماعات النصرانية القديمة فى آسيا ومقامها فى خطط بعد الحرب العالمية الثانية) فيقول : كيفما اتفق لنا أن نفكر فى الشرق الأدنى ، وفى غرب آسيا ، فإن الكثرة من الصابئين قبل الحرب العالمية الثانية على يدى الإرساليات البروتستانتية أو الكاثوليكية ، كانت من أبناء الكنائس الشرقية ومعنى هذا – مالم تكن الولادات قد زادت على الوفيات ، فإن عدد النصارى فى العالم لم يزد .

أما الانتقال من النصرانية إلى الإسلام ، فقد كان كما يظهر أكثر من الانتقال من الإسلام إلى النصرانية – على أن ثمة تأثيرا مسيحيا كبيرا فى حياة المسلمين وسلوكهم قد جاء على يدى هذه الإرساليات نفسها ، ولكن يجب أن نذكر على كل حال أنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية فى قطر ما ، إلا بعد تبدل ذلك الد..ر بحكومته الإسلامية إلى حكومة غربية مسيحية ، وذلك فقط إذا كانت هذه الحكومات الغربية المسيحية ، تنهج سياسة فعالة فى مساعدة الإرساليات .

وتأسّف هذا المبشر على انسحاب بريطانيا من الهند ، لأن ذلك سيؤدى إلى تبدل أساسى فى مشروع التبشير فى الهند نفسها ، إذ كان الموظفون فى أثناء الحكم البريطانى ، يؤخذون من النصارى بن : لاتتفق مع عددهم بالإضافة إلى المسلمين أو الهندوس .

أما النصارى فسيفقدون بعد الاستقلال هذا الامتياز ، وربما دفعهم فقرهم حينئذ وقلة عددهم إلى أن يفقدوا أثرهم فى المجتمع .

٤ – مساعدة فرنسا الاستعمارية للمبشرين فى تونس والمغرب :

(١) فى عام (١٩٣٠) أراد بابا روما ، أن يقيم عيدا لمناسبة مرور (١٦٠٠)

سنة على موت القديس أغسطينوس ، فاختار أن يدعو إلى مؤتمر كاثوليكى عام ، يجتمع فيه الكهان والعوام ، وينصبون مذبحا بالعراء خارج الكنائس ، للقيام بالعبادة وهداه تفكيره إلى إقامة هذا المؤتمر ، وهو ما يسمونه افخارستى فى مدينة قرطاجة قرب تونس ، لأن القديس أغسطيوس كان من البربر ومن تلك الناحية وأرغمت فرنسا حكومة تونس وقتئذ على عقد المؤتمر بأرضها ، وليس ذلك فقط بل أن تدفع أيضا من خزينتها مليونين من الفرنكات – وحتى ينام الرهبان الوافدون ، وهم كثيرون وقتئذ ، أمرت بوضع الأسرة فى المساجد الإسلامية ، دون أى مراعاة للشعور الإسلامى والكرامة الوطنية ، ولما أراد بعض الشباب التونسى الاحتجاج على ذلك ، أمرت فرنسا بالقبض عليهم وزجتهم فى السجون .

٥ – وفى نفس عام ١٩٣٠ أرغمت فرنسا سلطان مراكش على أن يصدر مرسوما سمى بالظهير البربرى ، لأنه ينص على معاملة البربر بنظام قضائى خاص ولاتسرى عليهم قوانين الشرع الإسلامى بل قواعد العرف العشائرى البربرى .

لمحة عن الظهير البربرى :

عندما احتل الفرنسيون المغرب العربى ضغطوا على ملك المغرب ، حتى وقع على مرسوم عرف باسم الظهير البربرى فى (١٦ مايو سنة ١٩٣٠) وذلك لفصل السكان الذين هم من أصل بربرى عن العرب ، على أن يكون للبربر مدارسهم الخاصة تعلمهم اللغة البربرية والفرنسية دون اللغة العربية ، وأن يكون لهم محاكمهم العرفية ، التى تتكون من شيوخ البربر والضباط الفرنسيين ، للحكم فى منازعات البربر ، طبقا للعرف والقانون الفرنسى وطرح أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية ، ثم قامت السلطات الفرنسية بإغلاق جميع الكتاتيب القرآنية ، كما أبعدت معلمى القرآن من المناطق التى يقيم فيها البربر ، وروجت السلطات هناك أن أصلهم آرى من نسل قبائل البربر ، التى نزحت من قارة أوربا وليسوا ساميين كالعرب ، ونتيجة لذلك أوحت سلطات الاستعمار الفرنسى إلى المبشرين ، بأن ينتشروا فى كل قبائل البربر ، متخفين تحت ستار الإحسان إلى الفقراء ، وإنشاء الوحدات والمكتبات العلمية ، بقصد تغيير عقيدة البربر الإسلامية وتنصيرهم ، تمهيدا

لإقامة دولة نصرانية منهم ، تشطر المغرب العربى إلى نصفين متعادلين ، إلا أن علماء المسلمين تنبهوا سريعا إلى ما يكيد الاستعمار ، فقاموا بحركة توعية للشعب العربى ، خصوصا لقبائل البربر ، واتحدت نتيجة لذلك كلمة العرب والبربر ، فقاموا بنشاط كبير ضد سلطات الاستعمار ، ولم يكتف البربر المغاربة بذلك ، بل قاموا بالاعتداء على المبشرين المسيحيين الذين وفدوا إليهم مما اضطرهم إلى إغلاق مراكزهم التبشيرية والابتعاد عن البربر ومناطقهم .

٦ – عمل الاستعمار بجهود المبشرين على إبعاد المسلمين عن الوظائف فى البلاد المستعمرة وبخاصة الرئيسية فيها .

(ا) فمثلا كان لدى الدوائر العقارية فى الجزائر وقت احتلالها من فرنسا قبل الاستقلال (٢٠٠٠) ألفان من الموظفين ، منهم ثمانية فقط من المسلمين يعملون حجابا .

(ب) ولما استقلت المغرب ، وانتقلت الإدارة من فرنسا إلى أبناء هذا الإقليم ، كان فى وزارة الشئون الاجتماعية (٢٥٠) موظفا ، منهم أربعة فقط من المسلمين يعلمون حجابا فقط .

(جـ) كان الجهاز الإدارى فى حكومة الهند قبل الاستقلال ، مليئا بالموظفين النصارى ، ولا يتفق عددهم بالنسبة ، لسكان الهند من هندوس ومسلمين .

٧ – ولا يكتفى الاستعمار بارتكاب كل ما سبق ، بل نراه يعمل على نشر الفساد بجميع صوره ، خصوصا التوسع فى فتح الحانات وبيوت الدعارة ، وتهريب المخدرات فى الأوساط الإسلامية .

رابعا : عمل المبشرون على تأييد الدول التى وفدوا منها واحتضان سياستها ، والتجسس على الشعوب التى يعملون بالتبشير بينها ، لحساب الدول التى يتبعونها سياسيا وعسكريا ، وحتى لايشتد الخلاف ، بين الدول التى وفد منها المبشرون ، لأنه ذو فائدة ومصلحة سياسية لها ، عقدت فيما بينها المعاهدات ففى ٤ من نيسان سنة ١٩٢٤ وقعت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بعد احتلال فرنسا لسوريا ولبنان اتفاقا فيما بينهما ، جاء فى مادته العاشرة : إن إشراف الدولة المنتدبة على

الإرساليات الدينية فى سوريا ولبنان ، يجب أن يقتصر على حفظ الأمن والإدارة الحسنة ، وإن أوجه نشاط هذه الإرساليات الدينية يجب ألا يخضع لتدبير يضيق مجال عملهم بسبب اختلاف جنسيتهم ، على شرط أن ينحصر أوجه هذا النشاط فى حقل الدين .

وظلت هذه المعاهدة سارية على سوريا ولبنان حتى سنة (١٩٤٣) ، عندما استقلت سوريا واستقل لبنان ، فألغت سوريا فقط هذه المعاهدة مقررة أن الحرية يجب أن تتساوى بين الداعى والمدعو ، فلمبشر بروتستانتى مثلا أن يناظر فقيها مسلما ، ولرجل كاثوليكى أن يخاطب رجلا مسلما ، أما أن يترك الأطفال الأبرياء فى صفوف المدارس الابتدائية تحت رحمة المبشرين ، فهذا يتنافى مع أبسط قواعد الحرية .

ثم سنت حكومة سوريا القوانين التى أحكمت رقابتها على التعليم الخاص ، وحالت بين دور العلم وبين النفوذ السياسى الأجنبى ففقدت بذلك مدارس التبشير نفوذها على الطلبة الصغار ، خصوصا فى المراحل الابتدائية ، فثارت ثائرة اليسوعيين فى لبنان ، واحتجوا بأن هذه الإجراءات التى اتخذتها حكومة سوريا وقتئذ تفيد أنها تنظر إلى الرسالة الكاثوليكية نظرة إلى مؤسسة غير مرغوب فيها ، وقد استعانت الدول بالمبشرين على إفساد روح الشرق القومية ، وتفكيك عرى وحدته الوطنية ، وبذلك يسهل عليهم بسط نفوذهم عليه ، ولقد قال رشتران : إن أساس الاستعمار مسيحى .

ويقولون : إذا كانت المقاييس تنبىء بأن الحرب مع العالم الإسلامى مفرقا أو مجتمعا تؤدى إلى خسائر جسيمة ، فإن على الدول الأوربية تنفيذ سياسة قديسهم القديم ، والذى وقع أسيرا فى يد المصريين إبان الحروب الصليبية ألا وهو لويس التاسع ، فلقد اقترح نهجا فى السياسة الأوربية التزمه ودعا باقى الدول الأوربية إلى التزامه ، وهو أن يشلوا حياة المسلمين بإبعادهم عن الشواطىء وحصرهم فى الداخل خصوصا فى الصحراء ، وهذا ما فعلته إيطاليا عند احتلال طرابلس الغرب ، إذ سلمت الشواطىء لرعاياها وطردت العرب إلى الداخل – ونفس ذلك حدث عند تقسيم فلسطين ، فدفعت هيئة الأمم المتحدة العرب إلى الداخل خصوصا إلى ماوراء نهر الأردن .

١ – والرهبان اليسوعيون لايألون جهدا فى التدخل فى السياسة المحلية وحبك المؤامرات حتى فى الدول الغربية نفسها مما اضطر :

١ – البرتغال فى وقت ما هو سنة ١٧٥٧ إلى إخراجهم من بلادها ومن مستعمراتها ، ومرة أخرى طردتهم سنة (١٨٣٤) .

٢ – كما طردتهم فرنسا سنة (١٧٦٥) كما طرد نابليون باقى الرهبان اليسوعيين المدعوين باسم رهبان القلب المقدس سنة (١٨٠٤) ، ولما عادوا إلى فرنسا أعادت طردهم مرة أخرى سنة (١٨٨٠ وفى سنة ١٩٠١) .

٣ – وطردتهم أسبانيا سنة (١٧٦٧) ، ومرة أخرى سنة(١٨٢٠) ، ثم أخرجتهم نهائيا من بلادها سنة (١٨٣٥) .

٤ – وفعلت روسيا نفس الشىء مع هؤلاء الرهبان ، فأخرجتهم من جميع أنحاء روسيا سنة (١٨٢٠) .

٥ – وفعلت ذلك هولندا وسويسرا وألمانيا سنة (١٨١٦ ، وسنة ١٨٤٨ ، وسنة ١٨٧٢) .

٢ – لما تعرض البروتستانت للتبشيرين الأرثوذكس والتبشيرين الكاثوليك نشبت العداوة بين تلك الكنائس ، ولكن الدول الأجنبية راجعت نفسها ، وضغطت على مبشريها حتى لايختلفوا فيما بينهم ، لأنهم لم يأتوا إلى الشرق لمهمة التبشير المجرد فقط ، بل جاءوا للسيطرة السياسية ، والتبشير وسيلة هذه السيطرة ، لذلك وحد المبشرون عملهم تحت اسم النصارى ، وعلى أساس هذا التفاهم بدأت الدول الأجنبية تقتسم مناطق النفوذ فيما بين مبشريها ، ليشقوا لها الطريق إلى الاستعمار السياسى أو الاقتصادى .

٣ – لما عقد المبشرون مؤتمر لكنو ببلاد الهند سنة (١٩١١) درسوا الأحوال السياسية المضطربة فى العالم الإسلامى ، لذلك قال قائلهم وهو المبشر زويمر :

« إن الانقسام السياسى الحاضر فى العالم الإسلامى ، دليل بالغ على عمل يد الله فى التاريخ ، واستثارة للديانة المسيحية كى تقوم بعمل ، إذ إن ذلك يشير إلى كثرة

الأبواب التى أصبحت مفتحة فى العالم الإسلامى على مصاريعها ، إن ثلاثة أرباع العالم الإسلامى ، يجب أن تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الإرساليات التبشيرية ، إن فى الإمبراطورية العثمانية وفى غربى شبه جزيرة العرب ، وفى إيران والتركستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش ، سدودا فى وجه التبشير ولكن هناك ١٤٠ مليون من المسلمين فى الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر ، يمكن أن يصل إليهم التبشير المسيحى بشىء من السهولة » .

٤ – وكانت إيطاليا ترمى إلى بلوغ أغراضها السياسية فى الشرق فزرعت البلاد بمدارسها الدينية ، مع أنها كانت قد صادرت أموال الأديرة فى إيطاليا نفسها .

٥ – وفرنسا كانت تطرد الرهبان من أرضها ثم تحتضنهم فى الخارج ليحققوا لها أغراضها الاستعمارية ، وانفقت على مدارسها وتعليم اللغة الفرنسية ، وقام اليسوعيون بتحبيب الانتداب الفرنسى إلى النفوس .

٦ – وكانت المطبعة الأمريكية والمدارس الأمريكية فى سوريا ، كما يقول جيب وسيلة لإعداد رجال ونساء كثيرين ، ليكونوا مواطنين أمريكيين .

٧ – والمبشرون يخشون ويقاومون القومية الوطنية فى كل بلد شرقى إسلامى ، لأن الدين الإسلامى أصبح عنصرا هاما من عناصر القومية فى الوقت الحاضر .

(ا) فعندما دوى النداء فى مصر إبان احتلالها (مصر للمصريين) أجفل المبشرون ، وقالوا : إن هذا يعنى أن مصر للمسلمين ، لذلك رجا المبشر صموئيل زويمر من بريطانيا وقتئذ ، أن تفتح مصر للتبشير بالقوة .

(ب) ولما خاب أمل المبشرين فى إيقاف تيار القومية الإسلامية الصحيحة عمدوا فى كل بلد إلى إيقاظ القوميات الوهمية ، فبشروا فى مصر بالقومية الفرعونية ، وبالقومية الفينقية فى سوريا وبالآشورية فى العراق ، والبربرية فى المغرب ، ومن الطبيعى إذا استيقظت هذه القوميات الوهمية ، فإن المبشرين يرون أن تكون المسيحية عنصرا هاما من عناصرها ، وذلك بمساعدة المدارس التبشيرية ، والصحافة التبشيرية ، والكنيسة المسيحية ، التى أفلحوا فى إقامتها وتشييدها .

(جـ) ولما فشلت جهود المبشرين فى إيقاظ القوميات الوهمية ، شجعوا الحركات

القومية ، التى ترمى إلى إضعاف الشعور الإسلامى بين البلاد الإسلامية ، وقصر الصلة بين هذه الدول الإسلامية على العنصر القومى وحده ، دون اعتداد بالإسلام كلية ، فإذا كانت هناك صلة بين مصر وسوريا ولبنان والجزائر والمغرب والعراق ، فلن تقوم هذه الصلة إلا على عنصر العروبة واللغة العربية وشىء من التاريخ المشترك بينهما — ولا صلة البتة بين هذه البلاد العربية وبين تركيا وإيران وأندونسيا وباكستان ، فهى أشبه بالدول الأجنبية كانجلترا أو فرنسا والولايات المتحدة والأرجنتين والمجر .

بل إن بعض الأحزاب مثل حزب الكتائب اللبنانى ، ينظر إلى البرازيل فى أمريكا الجنوبية وفرنسا نظرة أقرب إليه من نظرته إلى مصر واليمن وتونس والمغرب والجزائر — كذلك الحال بالنسبة لبعض الأحزاب الأخرى فى الدول العربية تبتعد بتفكيرها كلية عن الجانب الإسلامى إذ تسقط الدين من حسابها ، لأنها لا ترى الدين من مقومات الحياة السياسية ، ويخاصمونه ويناصبونه العداء إن كان هذا الدين هو الإسلام .

وإذا فرض أن قام قطر إسلامى بثورة للمطالبة باستقلاله ، هاجت عليه الدولة المستعمرة له ، بحجة أن الإسلام هو الذى يحركه ، وهذا ما حدث فعلا فى الجزائر ، فالإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين البواسل إلى طلب الاستقلال ، وانتزاعه من براثن فرنسا ، وقد اعتصم به الجزائريون منذ وطئت جيوش فرنسا أرضهم الطاهرة ، ولطالما عمل الفرنسيون للقضاء على الإسلام ، فلما فشلوا أفلح الجزائريون فى التخلص منهم ، وبلغ من نتيجة فزع الفرنسيين من الإسلام أن جى موليه رئيس الوزارة الفرنسية وقت اندلاع ثورة الجزائر سنة (١٩٥٤) والعدوان الثلاثى على مصر سنة (١٩٥٦) ، ذكر أن الحركة الإسلامية التى تتسع فى أفريقيا ، هى التى تهدد الإمبراطورية الفرنسية فى الغرب .

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام ، أنه إذا كان الرأى العام الأمريكى ، يقف من قضايا الشرق والأمم الإسلامية موقف العداء فإن المسئولية فى كل ذلك ، تقع على المبشرين الأمريكيين الذين قاموا بتغذيته بالمعلومات العدائية الخاطئة ضد الشرق والمسلمين قرابة مائة عام ، حتى حيل بينه وبين النظر إلى الحقيقة ، ولندلل على ذلك بما جاء بخلاصة مقال كتبه الأستاذ إدوارد ميدايرل أحد أساتذة التاريخ فى جامعة

كولومبيا فى الولايات المتحدة ، وقد نشر فى مجلة العالم الإسلامى سنة ١٩٤٠ وجاء فى هذا المقال (بتصرف) :

« ماذا يمكن أن يقال عن أعمال التبشير الأمريكى فى الشرق الأدنى ، بعد قرن كامل من الدهر ؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات ، وبألوان النفوس التى ضحيت فى هذا السبيل . ولكن هذه أيضا ليست هبة كافية توازى النتائج التى حققت على أيدى الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكيين فى هذا المركز المهم من الشرق .

إن نفراً من هؤلاء الرجال والنساء — ، أمثال سبرس هملن ودانيال بلس (أول رئيس للجامعة الأمريكية فى بيروت) ومارى ميلر باتريك كانوا علماء وضباط ارتباط بين الشرق والغرب ، وكذلك كان نفر آخرون منهم معلمين كبارا وأطباء محبوبين ، يشترط فيهم طول الأناة والصبر ، إن جميع هؤلاء قد حملوا معهم من أمريكا جرأة نادرة ، لولاها لما أمكن كتابة الجزء الأوفر من تاريخ الجهود الأمريكية فى الشرق الأدنى ، ولكن الجرأة وحدها ليست كافية كما أن الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ماحققه المبشرون عموما .

هناك وجه واحد من هذا الموضوع نحب ألا يهمل بحال من الأحوال هو أن الرأى العام الأمريكى فيما يتعلق بالشرق قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل ، فإذا كان الرأى العام الأمريكى قد طويت عنه بعض المعلومات ، أو غذى بمعلومات خاطئة ، أو دفع إلى موقف عدائى ، فإن المبشرين هم الملومون فى ذلك ، لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية ، قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا فى الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة أو ساخرة فى بعض الأحيان للمسلمين وللإسلام ، وبينما كان المبشرون يدعون فى تبشيرهم إلى التسامح ، كانوا أحيانا ومن غير أن يشعروا ، يزرعون بذور سوء التفاهم ، حتى أصبح الشعب الأمريكى لايستطيع أن يميز بين الظالم والمظلوم . »

علاقة الكنيسة بالشعوب المسيحية فى الدول النامية وخدمتها حاليا للسياسة الاستعمارية[١] :

إن الدول الاستعمارية فى الوقت الحاضر ، أوحت للكنائس ، بمبادىء جديدة

(١) مقارنة الأديان — المسيحية — للدكتور أحمد شلبى .

لتضعها الكنيسة ضمن المعتقدات المسيحية بالنسبة للدولة النامية وحدها ، حتى تحافظ على مايمكن الحفاظ عليه من تسلط الغرب على تلك الدول .

ويُدهش الباحث عندما يرى كبار رجال الكنائس ، يتناسون المسيحية ومبادئها الأصلية ، ويجندون أنفسهم لخدمة الاستعمار — وهم يتخذون الدين المسيحى وسيلة للضغط على الشعوب المسيحية النامية حتى لا تتطور وحتى تبقى بمنأى عن الرق والتصنيع والتقدم ، وإذا كانت الكنيسة فى الغرب تقر مبدأ فصل الدين عن الدولة ، فإنها لاتقر ذلك المبدأ بالنسبة لبلاد الشرق ، ليظل رأى الكنيسة مسلطا على الرقاب .

١ — وإذا كانت الكنيسة فى الغرب تبارك التصنيع ، فإنها تعارضه فى الشرق ، لأن العامل فى زعمها يعتبر نفسه خالقا فيستغنى عن أى إله آخر .

٢ — والكنيسة ترى أن الثروة التى ستعود على البلاد النامية من التصنيع ، تجلب الشر على المسيحيين فيها ، لأن ارتفاع مستوى المعيشة تصحبه كثرة الخطايا والشرور .

٣ — وترى الكنيسة أن التقدم لن يتم إلا بالتضحية بالتراث والتقاليد الموروثة ، ولذلك فهى تقرر أن الاحتفاظ بالتراث والتقاليد خير من التقدم الاقتصادى .

ما الدليل على ما تقترفه الكنائس المسيحية فى حق الشعوب النامية :

الدليل على ذلك هو ما ذكره الدكتور رمزى فهيم ، وهو مسيحى مثقف هاله ذلك الدور السيىء الذى تقوم به الكنيسة فى هذا المجال فكتب فى صحيفة الأخبار بتاريخ (١١ إبريل سنة ١٩٦٦) يقول : منذ عدة سنوات أقرأ عن اجتماعات وقرارات مجلس الكنائس العالمى وقد فوجئت حين وجدت أن ما يتعرض له من مسائل ليست من الموضوعات الدينية ، التى ننتظر أن تكون هى موضوع اهتماماته .

١ — فمثلا عقد المجلس مؤتمرا فى مدينة سالونيك باليونان سنة (١٩٥٩) قرر فيه أن السياسة هى المجال الذى يتحتم على الكنيسة فى دول إفريقيا وآسيا وأمريكا أن تعمل فيه ، والغريب أن المجلس يقرر فى نفس المؤتمر أن المبدأ الغربى الذى يقضى بفصل الدين عن الدولة لايمكن اقتباسه فى الدول النامية ، وهنا يثور

التساؤل هل هناك نوعان من المسيحية أحدهما تطبقه بلاد الغرب والآخر (يفبرك) حاليا بواسطة الخبراء ليعمل به فى الدول النامية ؟

٢ — ويتابع هذا المؤتمر قراراته ، فيطالب الكنائس فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطط التنمية فيميز فيها بين ما يتفق وإرادة الله وبين عمل الشيطان ، وأن تكون رقيبة تعلن للقوم أنى يقف الله ، ومن أين يطل إبليس العدو ، أما كيف يمكن أن يكون فى خطط التنمية مكان للشيطان فإن المجلس يعثر على إبليس فى عملية التصنيع بالذات ، التى تقوم بها حاليا الدول النامية ، فهو يرى أن الإنتاج الذى يحققه التصنيع ، يملأ النفس غرورا ، فيعتبر العامل نفسه أنه الخالق الذى يستغنى عن كل إله آخر أما الله فإن مكانه فى نظر مجلس الكنائس العالمى ، هو فى الحقل — وفى القرية ، بحيث إن الانتقال من العمل الزراعى إلى الصناعة ، وهو الأمل الذى تحاول الدول النامية الوصول إليه لحل مشكلاتها الاقتصادية ، هذا الانتقال يترتب عليه أفدح الأضرار بالإيمان الدينى وبالعائلة .

٣ — بل يصل استخفاف مجلس الكنائس العالمى بوطنية المواطنين ودينهم فى البلاد النامية إلى الحد الذى يقرر فيه مؤتمر نيودلهى الذى عقد سنة (١٩٦١) أن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة ، فى أى وطن وتحت أى نظام سياسى .

٤ — والواقع أن المجلس يحاول فى النصف الثانى من القرن العشرين أن يقنع المواطنين فى الدول النامية بالمحافظة على مستواهم الاقتصادى الذى حددته لهم الدول التى كانت تستعمر بلادهم وتستغل مواردهم فبعد أن يعدد المجلس سوءات التصنيع وخطط التنمية مثيرا كل ما يخطر على البال من صعوبات ومعوقات فى طريق تنفيذها يعود للقول بأنه حتى بفرض إمكان تحقيق ما تصبو إليه هذه الدول فإن التقدم الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة ، تأتى معها بالضرورة كثرة من الخطايا والشرور ، فنحن مدنسون بالشر ، حتى إننا نجد صعوبة فى التعرف على ما يريد الله أن نعمل بمستوى المعيشة العالى حين نصل إليه .

٥ — بل إننا نقرأ فى كتابات أقطاب هذا المجلس أنهم يحاولون وضع التقاليد والتراث الشعبى فى مواجهة التقدم الاقتصادى والسياسى ، ويقولون إن التقدم لن يتم

إلا على حساب التراث ، وإن الشعوب حين يطلب إليها أن تختار بين التقدم والمحافظة على القديم ، تختار دون تردد قديمها بسبب ما يتطلبه التقدم الاقتصادى من جهود .

خامسا : تعاون المبشرين مع الصهيونية :

(أ) اتفقت أهداف المبشرين مع الصهيونيين على إنشاء دولة إسرائيل وطنا قوميا لليهود فى أرض فلسطين العربية ، لأن فى قيامها إضعافا شديدا للعرب ، ومنها يثب المبشرون على العالم الإسلامى وبلاد الوطن العربى .

فلقد حدث أن أسس الإنجليز فى سنة (١٨٠٩) الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود ، ويبدأ عملها بأن يساق اليهود المتفرقون فى شتات الأرض إلى ولاية فلسطين ، وشجع الفكرة اللورد شافبرى وشجع لها لورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية .

(ب) التحالف بين اليهود والمسيحيين :

ولقد كان أول تحالف رسمى بين اليهود والمسيحيين عام (١٥٠٥) ميلادية ، وذلك بهدف القضاء على الكيان الإسلامى فقد كتب دافيد روبنس مشروعا وقدمه إلى البابا فحواه :

١ – احتلال العالم الإسلامى .
٢ – انتزاع الأرض المقدسة من المسلمين .
٣ – احتلال اليهود لفلسطين .

الفوائد التى جنتها الدول الأوروبية المسيحية من هذا التحالف :

قدم اليهود إلى الدول الأوروبية المسيحية ، كل ما عرفوه عن المسلمين من مواطن الضعف والقوة ، إذ كان اليهود يقظين فى جمع تلك المعلومات إبان اختلاطهم وتغلغلهم فى الدول الإسلامية فسهل على الدول الأوروبية بذلك ابتلاع الدول الإسلامية دولة بعد دولة ، واحتلال الشعوب الإسلامية شعبا بعد شعب .

الفوائد التى جناها اليهود من هذا التحالف :

١ – نجح اليهود فى إقناع المسيحيين بأنهم أقرب الناس إليهم ، لذلك تم الاتفاق بينهم على ضم التوراة إلى الإنجيل ، باعتبار أن التوراة هى كتاب العهد القديم ، والإنجيل هو كتاب العهد الجديد ، وسمى الاثنان بالكتاب المقدس . وبذلك أفلح اليهود فى جعل المسيحيين تبعا لهم ، يأتمرون بأمرهم فى أمور الدين ، فسهل عليهم التسلط عليهم فى أمور الدنيا .

٢ – أشبع اليهود نهمهم فى الحصول على الذهب من وراء القوة المسيحية من الشعوب التى استعمرت العالمية عامة والشعوب الإسلامية خاصة ، دون أى عوائق من جانب الدول المسيحية .

٣ – تحقيق هدفهم الأكبر ، وهو الاستيلاء على فلسطين التى اغتصبوها من أهلها قديما بحد السيف وسفك الدماء – كما اغتصبوها حديثا بالمكر والخديعة تاره ، وبالسيف والقهر تارة أخرى .

(جـ) أسس الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا ، خلال مدة حكمه فى منتصف القرن التاسع عشر الأسقفية الإنجليزية البروسية مركزا بروتستانتيا لإصلاح الكنائس الشرقية عامة ولتنصير اليهود خاصة ، فرأى المبشرون أن فى جمع اليهود فى فلسطين ما يسهل عليهم مهمتهم فى الوصول إلى المسلمين ، لذلك كثرت الجمعيات التبشيرية وقتئذ حتى وصلت فى عددها إلى (٢٧) جمعية مختلفة الجنسيات ، وكانت تعمل بلا ملل أو توقف فى فلسطين .

(د) وهدف المبشرون من وجود اليهود فى فلسطين إلى أنهم سيعملون على إثارة القلاقل السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وبذلك تتمكن الدول الأوربية من التدخل بين وقت وآخر للسيطرة على الخصمين المتنازعين فى هذه المنطقة .

(هـ) تضافرت جهود المبشرين المسيحيين واليهود فى فلسطين على تشجيع الروح الرياضية بين العرب واليهود والتسامح فى ميادينها تسامحا يراد به قتل الشعور القومى ، ولقد قال البرت سميث : إن الألعاب تبرهن على أنها من أحسن الوسائل ، لتقريب وجهات النظر بين المختلفين ، بل بين المتعادين ، فرغم أن العرب أعلنوا إضرابهم العام

فى القدس (١٩٢٩) احتجاجا على تحيز إنجلترا لليهود ، قامت جمعية الشبان المسيحيين بعمل مباراة فى لعبة التنس بين المسلمين واليهود وكان اليهود يحيون فوز اللاعبين العرب ، فيرد عليهم هؤلاء إذا أحرزوا الفوز أيضا .

(و) وكان تأسيس دولة إسرائيل أمرا مقررا عند المبشرين بدليل أن المبشر جون فان أس ذكر حدودها سنة (١٩٤٣) ، بأنها – ستؤلف من معظم أراضى اليهود (الجليل) جنوبا إلى خليج العقبة ثم أراضى شرق الأردن .

(ز) والمبشرون لايخافون اليهود ، ولكنهم يخافون من المسلمين ، لأنهم كما يقول لورنس : إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية ، وإن المسلمين يختلفون عن اليهود ، فى أن دينهم دين دعوة ، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى ، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل فى أوروبا فأخضعوها فى مناسبات كثيرة ، لقد كنا نُخوَّف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى والخطر الأصفر (وهو اليابان والصين) ، وبالخطر البلشفى إلا أن هذا التخويف كله لم يتحقق كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفراءُ ، فإن هنالك ، دولا ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها .

ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى .
ويقول بعض المبشرين أيضا : إن المسلمين لم يكونوا يوما ما أقلية موطوءة بالأقدام ، ولايوجد مكان هم فيه أقلية حاليا خلاف فلسطين ، سوى بلاد الهند .
ويقول دكتور بيارد ضودج رئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت (من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٤٨) فى مقال له : إن اليهود فى فلسطين يحتفظون بوطن قومى واسع جدا ، يستطيعون به لتفوقهم الفنى الحديث أن يتولوا بالخطى الاقتصادية السلمية ، زعامة الشرق الأوسط كله .

(ح) وقد أقر اليهود والصهيونيون بفضل المبشرين والصليبيين فها هى بربارة توخمان ، وهى يهودية من الولايات المتحدة ، ألفت كتابا سمته (التوارة والسيف)

أو إنجلترا وفلسطين منذ العصر البرونزى إلى بلفور ذكرت فى مقدمته :
وهكذا دخل الجنرال اللنبى إلى القدس عام ١٩١٨ ، فنجح حيث كان ريتشرد ريكاردوس قلب الأسد قد أخفق ، ولولا الانتصار من جانب اللورد اللنبى ، لما كانت إعادة إسرائيل الآن ، والتى أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللورد اللنبى أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، قلب الأسد (القديمة) أى لو لم تكن النصرانية قد أقامت فى الأصل الأساس الذى يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة لما نجح اللورد اللنبى ، وإن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما بفضل الدين الذى أعطوه للأميين (وهم غير اليهود من الشعوب) .
وإن الانتداب لا وعد بلفور ، هو الذى أفسح فى القانون العام مجالا لإعادة إسرائيل إلى فلسطين ، إن وعد بلفور كان إعلانا لسياسة فقط ، وكان بإمكان كل وزارة بريطانية تالية أن تتجاهله أو أن تدع الزمن يمر عليه ، أو أن ترفضه ، ولكن الانتداب كان التعهد الدولى الذى وقعته دول الحلفاء الكبرى التى كانت تعمل باسم عصبة الأمم ، ثم أكدته فرفعته بذلك — بعد أن وضعته فى صلب صك الانتداب — إلى مستوى المعاهدات ، ويشترك مع انجلترا فى خلق إسرائيل فرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، كل هذه الدول تواطأت ضد العرب .
(ط) وهذا الوطن القومى اليهودى لم يكن يعنى ملجأً لليهود المضطهدين فى أوروبا ، كما كان يدعى الصهيونيون ومن لف حولهم ، بل كان يعنى إقامة دولة على غرار دول العصر الحديث ، ويتضح ذلك بجلاء عندما استفهم روبرت لانسنغ الوزير الأمريكى لوزارة الخارجية فى الولايات المتحدة من وايزمان أمام المجلس الأعلى لمؤتمر باريس ، عما يعنى تماماً بالوطن القومى ، فرد عليه بجوابه المشهور : أن تتاح لنا الفرصة ، لنبنى بالتدريج قومية فى فلسطين ، هى لليهود بمقام الأمة الفرنسية للفرنسيين والأمة الإنجليزية للإنجليز .

(ى) وحقد المبشرين على المسلمين ، دفع بهم إلى التجسس خدمة لإسرائيل ، ولقد نشرت مجلة الشرطة والأمن العام بدمشق فى كانون الأول (١٩٥٣ م – ٩ ربيع الآخر ١٣٧٢ هـ) مقالا عن داعية ومبشر أمريكى ، اسمه والف بانى ، يّدعى أنه يدير جمعية للتقارب المسيحى ، مع أن اسم جمعيته الحقيقى جمعية التقارب المسيحى

أصلها فى السماء .. حين قرأ علماء الإسلام هذا القول ، شكوا فى قيمته وحقيقته ، وقالوا على لسان البيرونى لابن سينا متسائلين : « ما الصحيح من قول القائلين :

أحدهما يقول : إن الماء والأرض يتحركان إلى المركز ، والهواء والنار يتحركان من المركز .

والآخر يقول : إن جميعها تتحرك نحو المركز ، ولكن الأثقل منها يسبق الأخف فى الحركة إليه ؟!

وبهذه النظرة ، مهّد العرب والمسلمون السبيل لاكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية ، وتمكنوا من تأليف مباحث فى الحركة .

رابعا : فى الفلك :

وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، تشير إلى ظواهر الكون والتدبر فى ملكوته ، ومنها :

١ ــ قوله تعالى : ﴿**يولجُ اللَّيلَ فى النَّهارِ ويولجُ النهار فى الليلِ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى**﴾ آية (١٣) من سورة فاطر .

٢ ــ ومنها قوله سبحانه : « **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فَصَّلْنا الآيَاتِ لقوم يعلمون**﴾ . آية (٩٧) من سورة الأنعام .

٣ ــ ومنها قوله سبحانه : ﴿ **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** ﴾ آية (٩) من سورة فاطر .

لذلك لم يكن عجبا أن قام المسلمون بدراسة علم الفلك عند اليونانيين والهنود والفرس ، واستنبطوا نظريات فلكية أصح من تلك التى عرفوها من غيرهم :

(ا) فالخوارزمى صنع زيجا استخلصه من مذاهب الأقدمين .

(ب) ابتكر التبانى زيجا آخر عرف بالزيج الصابى .

(ج) فى القرن الرابع والخامس جاء أبو الوفاء اليوزجانى والبيرونى ، فاخترعا كثيرا من الآلات الفلكية التى استخدمت بعد ذلك فى المراصد .

خامسا : فى الجغرافيا :

وقد بلغ المسلمون فيها منزلة كبيرة ، وأضافوا إليها ما حققوه عن طريق الأرصاد الفلكية والرحلات بين أقطار الأرض ومقارنة الروايات واستخلاص أقربها إلى العقل والحقيقة :

١ـ استطاع الشريف الإدريسى أن يبلغ الغاية فى هذا العلم فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » .

٢ ــ كانت مرويات البيرونى تتردد فى أوروبا أمداً طويلاً ، فيما أخذه عن الهند واليونان ، حتى استخلص من كلامه أن العقل يوجب وجود جانب مختف من الجانب الغربى من الكرة الأرضية .

٣ ــ أما خردا ذابه المتوفى سنة ٨٨٥ م ، فيقول : « إن الأرض مدورة كتدوير الكرة . موضوعة فى جوف الفلك كالصفرة فى جوف البيضة » .

٤ ــ أما المسعودى المتوفى سنة ٩٥٦ م ، فيقول : جعل الله (عز وجل) الفلك الأعلى ، وهو فلك الاستواء وما يشتمل عليه من طبائع التدوير ، فأولها كرة الأرض ، يحيط بها فلك القمر ويحيط بفلك القمر فلك عطارد .

٥ ــ ولايفوتنا أن نضيف إلى أولئك الأعلام :

(ا) أبو عبد الله البكرى ، الذى ولد فى بلنسية ، والذى ألف كتاب « معجم ما استعجم ــ والمسالك والممالك » .

(ب) محمد بن عبد الرحيم المازنى المولود فى غرناطة الذى ألف كتاب « نخبة الأذهان فى عجائب البلدان »

(ج) هذا فضلا عن ابن جبير وابن بطوطة وابن حوقل وكانت تآليف هؤلاء الأعلام حاوية لمعلومات جغرافية ثمينة وصور لطبائع الشعوب وأخلاقها وعاداتها .

سادسا ــ فى الفلسفة :

زاد العرب فى الفلسفة ، فبعد أن نقلوها من اليونان ناقشوا ونقحوا وضموا وشرحوا وابتكروا آراء جديدة بعد أن لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية .

سابعا ــ الأدب العربى :

اشتهر العرب قبل الإسلام وبعده بأدبهم ؛ من شعر ونثر وخطابة ، حتى ليمكن القول بأن الأدب العربى أقوم الآداب الحية إلى اليوم .

(ا) وأكثر الآداب الأوروبية الحديثة مثل : أدب جنوب فرنسا فى العصور

الوسطى ، وقد تأسس على ماعرفه الفرنسيون الأوائل من ألوان الأدب العربى فى الشرق ، خلال الحروب الصليبية أو فى الأندلس .

(ب) والأدب الإيطالى حيث يقف دانتى فى مركز الأهمية منه وقد استمد كتابه الكوميديا الإلّهية من رسالة الغفران لأبى العلاء ومن كتاب الفتوحات المكية لابن عربى .

الفصل الثانى
موقف المبشرين والمستشرقين من الثقافة الإسلامية والعربية[١]

لقد دَرس المبشرون والمستشرقون العالم الإسلامى من جميع نواحيه ، ثم وضعوا الخطط للقضاء على كل مقاومة أو مناعة فيه ، ولكن العالم الإسلامى ظل صامدا دون أن يتأثر بمخططاتهم التأثير الذى كانوا يرجونه ، والسبب فى ذلك أن العالم الإسلامى ظل يستمد الحياة من ثقافته العريقة ، التى مازالت حية أربعة عشر قرنا .

وعندئذ تفتق ذهن أعداء الإسلام والمسلمين إلى تشويه الثقافة الإسلامية ، والحط من شأنها فى نفوس أهلها ، حتى لاتبدو حقيقة الرسالة التى أداها المسلمون والعرب للإنسانية ، والتى سبقت الإشارة إليها ، فقام المبشرون بالتشكيك فى نسبتها للمسلمين والعرب بل نسبوها للفرس ولليونان وللنساطرة ولليعاقبة :

(ا) فعن الفلسفة نرى إرنست رينان ، وهو فرنسى يقول إن الفلسفة العربية ، هى الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية ، وكُتب المبشرين والمستشرقين وأذنابهم تطفح بمثل هذا الإنكار على العقرية العربية والإسلامية .

وقد تأثرت وزارة المعارف اللبنانية بهذه الآراء تحت ضغط المبشرين اليسوعيين إبان احتلال فرنسا للبنان ، حتى إنها كانت تضمّن أسئلة امتحاناتها شيئا من ذلك فى بعض مراحل التعليم ، فيرد السؤال كالآتى : « هل أضاف العرب والمسلمون شيئا جديداً إلى فلسفة الأقدمين ، حتى يمكن القول إن للعرب والمسلمين فلسفتهم ، كما

(١) كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للدكتور مصطفى خالدى والدكتور عمر فروخ .

للبونان فلسفتهم » وكان على الطالب أن يجيب بالنفى وإلا رسب فى الامتحان .

ولا أدل على فساد هذا التعصب الذميم من جانب المبشرين من الاستدلال **أولا** : برجل أمريكى ، وهو الدكتور جورج سارطون الأستاذ فى جامعة هارفاد بالولايات المتحدة ، ورئيس الاتحاد الدولى لتاريخ العلم ، وهو ثقة فى تاريخ العلم فى العالم إذ يقول :

غير أن أولئك الذين ينكرون محاسن العرب ، ويبخسونها قيمتها ، ليحتجون مرة ثانية بقولهم : إن الأخذ من مصادر متعددة ليس على كل حال خيرا من الأخذ من مصدر واحد ، تلك طريقة فى المجادلة مضللة ، وخصوصا إذا كان الكلام يتناول الرياضيات ، ثم إن الرياضيين العرب لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخا ، ولو أنهم فعلوا ذلك لما جاءوا بفائدة ، ولكنهم جمعوا بين المصدرين ، ثم **لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية ، وإذا لم يكن هذا الذى فعله العرب ابتكارًا ، فليس فى العلم إذًا ابتكار على الإطلاق ، فالابتكار العلمى فى الحقيقة إنما هو حياكة الخيوط المتفرقة فى نسيج واحد ، وليس ثمة ابتكارات مخلوقة من العدم .**
ثانيا : الدكتور فيليب حتى ، وهو عدو للإسلام والمسلمين ، عندما استيقظ ضميره يوما أثنى على الفيلسوف ابن رشد ، فتراه يقول من كلام له :

« **كان أعظم فلاسفة الإسلام ، فبالإضافة إلى الأثر الذى أحدثه فى الغرب** على الأخص الفلكى الأندلسى والطبيب وشارح كتب أرسطو ، أبو الوليد محمد بن رشد ، وإن أعظم ما لابن رشد فى الطب كتابه الجامع المعروف باسم الكليات ، وفيه « أن الإنسان لا يصاب بالجدرى مرتين ، كما أن عمل شَبَكَةِ العين فيه مشروح بوضوح على أن نُور ابن رشد الطبيب قد كُسِفَ بنور ابن رشد الفيلسوف والشارح »

أما بين اليهود وفى العالم المسيحى ، فقد عرف ابن رشد بأنه فى الدرجة الأولى ، شارح لكتب أرسطو ، ولكن يجب أن نذكر أن المقصود بالشارح فى العصور الوسطى ، هو المؤلف الذى كان يستعين ببعض كتب الأولين العلمية أو الفلسفية ، ليجعل منها أساسا أو إطارا لكتبه هو ، ولقد أثار ابن رشد بشروحه على أرسطو عقول فقهاء النصرانية وعلمائها فى العصور الوسطى ، إلى حد لم يصل إليه

مؤلف غيره ، فمنذ أواخر القرن الثانى عشر إلى أواخر القرن السادس عشر — أربعة قرون كاملة — ظلت فلسفة ابن رشد هى المذهب الفكرى السائد ، على الرغم من رد الفعل الدينى الذى أحدثته هذه الفلسفة أولا بين المسلمين فى الأندلس ، ثم بين التلموديين من اليهود ، وأخيرا بين رجال الدين من النصارى ، وما من شك فى أن ابن رشد كان فيلسوفا عقليا ، وكان على حق فى إخضاعه كل شىء (سوى الشريعة المنزلة) لسلطان العقل ، ولم يكن ابن رشد كما يخيل إلى بعضهم ، باعث الإلحاد والكفر ولا عدوا للدين — ولقد مثل ابن رشد اقترابا من الفلسفة الأرسطوطالية الخالصة غير الممزوجة بالمذهب الإسكندرانى[1] .

وبعد حذف أشياء لايرضى عنها رجال الأكليروس فى فلسفة ابن رشد غدت فلسفة ابن رشد موضوع الدراسة فى جامعة باريس وفى سواها من مؤسسات الدراسة العليا ، ولقد بقيت فلسفة ابن رشد بكل حسناتها ، وبكل ماأضيف إليها من أخطاء عاملا حيا فى الفكر الأوربى ، حتى ولادة العلم التجريبى الحديث .

(ب) ومثال آخر هو الأدب العربى ، فقد نشرت مجلة لاروس بباريس فصلا ، ذكرت فيه أن نصارى لبنان ، هم الذين بعثوا النهضة العربية ، وأن البربر وحدهم أصحاب المدنية فى شمال أفريقيا والأندلس ، وقد تشيع لهذا الرأى الدكتور فيليب حتى ، فقال فى إحدى المجلات وتدعى مجلة المسرة فى تشرين الثانى (١٩٤٨) :

« ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور ، إلا فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكانت الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان ، تعلموا أو استوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين » .

وقد قام الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، بالرد على هذه المجلة ومن شايعها ، وذكر فى رده أن النهضة العربية الحديثة ، بدأت فى مصر لا فى لبنان ، وهذا أيضا واضح من النظر فى تاريخ النهضة الحديثة ، ولكن

---

(١) المذهب الإسكندرانى هو مذهب فلسفى فى الإسكندرية ، ويعرف باسم الفلسفة الأفلوطينية الحديثة ، وتقوم المسيحية فى تثليثها على هذا المذهب الفلسفى ، الذى كان متأثرا به بطريرك الإسكندرية وقت انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، وأقنع المجمع به : انظر كتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٨ للمؤلف .

المستعمرين يريدون سلب المسلمين كل شيء حتى النهضة اللغوية الأدبية التي هي عنوان لغتهم وأدبهم ، وأن البربر لم يقيموا وحدهم مدنية المغرب والأندلس ، بل شاركهم العرب أيضا ، وعلى كل حال فإن البربر كالعرب مسلمون ، والمدنية التي خلقوها مدنية عربية .

هكذا بالنسبة لجميع فروع العلوم والمعارف ينسبونها لغير المسلمين والعرب ، وفى مناسبات أخرى يقيمون موازنات بين تراث العرب وآدابهم ، وبين علوم الغرب وآدابه ، ويخرجون من هذه الموازنات إلى تفضيل علوم الغرب وآدابه على تراث العرب وآدابهم .

ثامنا : أعمال المبشرين للقضاء على اللغة العربية الفصحى :

فكر الاستعمار – يسانده المبشرون والمستشرقون – فى أن تقطيع أوصال المسلمين والعرب لايمكن أن يتم لهم مادام هناك لغة واحدة تجمع العرب وتضم المسلمين ، ومادام هناك حرف عربى يربط حاضر المسلمين بتراثهم الماضى المجيد ، لذلك تفتق ذهنهم عن خطة ذات هدفين :

أولهما : تشجيع كل قطر عربى بالكتابة باللغة العامية التى يتخاطب بها أفراده .

ثانيهما : إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية .

وينتج من كل ذلك الآتى .

١ صلة العرب فى مختلف دولهم بأدبهم القديم ، وبالمؤلفات اللغوية والدينية والأدبية والتاريخية والفكرية .

٢ – قطع صلة العرب والمسلمين منهم بالقرآن الكريم ، ولايكون له بالتالى مكان متسع فى قراءاتهم وثقافتهم ، بل تنكمش دائرة قراءاته ، ولايبقى إلا ليقرأ فى المساجد ، كما تقرأ اللاتينية فى الكنائس الكاثوليكية .

وهكذا نجد بوضوح أن الحملة على اللغة العربية الفصحى ، إنما هى فى حقيقتها حملة على اللغة التى تجمع بين العرب والمسلمين ، وحملة على العروبة والإسلام ، وأمنية أعداء الإسلام والمسلمين من المبشرين والمستشرقين ومن تشيع لهم فى أن يصبح القرآن كتاب دين لاصلة له بالحياة ، لايقرؤه إلا نفر قليل من المسلمين فى المساجد ، من غير أن يفهموا عنه شيئا ومن غير أن يشعروا بما فيه .

والعجيب فى كل ذلك أن المتزعمين لهذه الحركة هم :

١ – المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، وكان يعمل فى قسم الشئون الشرقية بوزارة الخارجية الفرنسية ، وقد حاول الترويج لدعوته فى المغرب العربى وفى مصر وفى سوريا ولبنان .

٢ – الأب روفائيل نخلة ، وقد وضع مؤلفا باللغة الفرنسية ، طبع فى المطبعة اليسوعية بلبنان ، واسم هذا المؤلف (قواعد اللبنانية السورية)

٣ – شكرى الخورى وضع كتابا دعاه (التحفة العامية فى قصة فينانوس) وقد نشرها الأب لاى اليسوعى ، وقد ألف بلغة لبنان العامية ، وطبع فى المطبعة اليسوعية بلبنان .

٤ – الخورى مارون غصن ، وهو أحد المدرسين فى مدرسة شطورا بلبنان ، وضع مؤلفا دعاه (فى متلو هلكتاب) .

٥ – الدكتور أنيس فريحة ، وهو أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وضع كتابا دعاه (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقى جديد) ويدعو فى كتابه إلى الكتابة باللغة العامية والحرف اللاتينى .

٦ – وفى مصر ثارت مثل هذه الزوبعة أيضا ، حيث قام على رأس هذه الدعوة أناس من المصريين ، قليل منهم قد يكون حسن النية ، لكن الكثير منهم كان خبيث الطوية يريد أن يفصل بين المسلمين فى حاضرهم وبين تراثهم العريق ، خصوصا تلك العلاقة المتينة بينهم وبين القرآن الكريم .

كلمة تعريف عن اللغة العربية

أما وقد تعرضت اللغة العربية للهجوم عليها من قبل أعدائها لإحلال العامية محلها ، أو إحلال الحرف اللاتينى بدلا من الحرف العربى ، فقد كان من المناسب أن نتكلم عن اللغة العربية لإظهار تفوقها ومذاقها عن باقى اللغات الأخرى فى العالم .

إن اللغة العربية لم ولن تتسامى إليها لغة أخرى من اللغات العالمية : فى ثقافتها وغزير مفرداتها ودقة قواعدها ومقدرتها على التعبير فى مختلف فنون القول ، وهى اللغة القرآنية التى شملت شبه جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، مع كثير من الأمم التى دانت بالإسلام ، مما خلق فيما بينها – بفضل هذه اللغة – وحدة روحية وفكرية تنطق بلسان واحد ، ولها القدرة ذات المدد الذى لاينضب ورده على التصدى

للقيادة وتوجيه المصير الإنسانى ، لأن ثقافة الإسلام تقوم على ركنين أساسيين :
أولهما : الدين بعلومه المختلفة .
ثانيهما : اللغة بفنونها المعروفة .

وهذان الركنان يشد كل منهما الآخر ويمسكه ، فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل ، والعربية بغير الإسلام تنكمش وتزول .

واللغات السامية مدينة ببقائها للدين ، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية ، ولولا المسيحية ما بقيت السريانية — ولولا الإسلام مابقيت العربية ، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية ، هو الفرق بين الروح والدماء ، أو بين العين والأثر[1] .

وحفظ القرآن الكريم يستلزم حفظ لغته ، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية ، لايجد دينا حملته لغته التى أنزل بها ، أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب ، فى مدى أربعة عشر قرنا ، ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها إلا دين الإسلام ولغة العرب .

أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه ، فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين .

فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث ، لايقرؤها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية .

والتوراة والإنجيل الحاليان ، لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره ، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلا .

وليس كذلك الحال فى القرآن ، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ، ولغة لكتابه ، ومعجزة لرسوله ، ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه بحديثه ، ونشرها الدين بانتشاره ، وخلدها القرآن ، بخلوده ، فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها ، والصلاة لاتكون صلاة إلا بها .

(١) كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية محاضرة للأستاذ أحمد حسن الزيات، للموسم الثقافى الثالث، ١٣٨٠ هجرية (١٩٦٠ ، ١٩٦١) .

لذلك سارع المسلمون الأوائل إلى تعلمها ، والتكلم بها والتأليف فيها ، والتعصب لها ، والدفاع عنها ، والدعوة إليها ، حتى حلت محل الفارسية فى العراق ، والرومية فى الشام ، والقبطية فى مصر ، والبربرية فى المغرب ، وأصبحت فى عصر بنى العباس — وهو عصرها الذهبى — لغة الدين والأدب والعلم والسياسة ، والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة . وإن ما يقضى مضجع الاستعمار والتبشير مايراه من أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هى الدين واللغة ، ومادامت أمة محمد عليه الصلاة والسلام روحا واحدا بالإسلام ، ولسانا واحدا بالعربية ، فإن استغلالها موقوت وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر .

لذلك سعت فرنسا فى الجزائر قبل الاستقلال إلى قطع العرب هناك عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين ، واكتفت إنجلترا على عادتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى ، فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها ، فإذا نشطت العامية فى كل قطر عربى ، وانهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى اللغة العربية الفصحى ، استحال التفاهم وضعفت العقيدة ، وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة ، وتبددت القوة ، واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة ، فلا يغص ولا يشجى ، ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق ، وقوة الوعى فى العرب والمسلمين ، إذ وقفوا بالمرصاد لكل من سول له جهله أو هواه أن يعبث بلغة الإسلام ويوهن رابطة العرب .

واللغة العربية هى لغة إيجاز دقيق واف . سواء كان إيجاز قصد أم إيجاز حذف أم إيجاز إيماء . وإليك بعض المميزات التى تمتاز بها اللغة العربية[1] :

١ — مما تمتاز به اللغة العربية ما يسميه اللغويون بالنحت ، وهو أن يدمج الكاتب أو المتكلم كلمتين أو جملة فى لفظ واحد يدل عليها ، ومن أمثلة ذلك :

(أ) هلّل ، فهى إدماج لجملة : لا إله إلا الله .
(ب) وحمدل ، إدماج . لجملة : الحمد لله .
(ج) حوقل ، إدماج لجملة : لاحول ولا قوة إلا بالله .
(د) سبحل ، إدماج لجملة : سبحان الله .

(١) العربية لغة الإسلام والمسلمين للأستاذ على عبدالعظيم مجلة الأزهر ذو القعدة سنة ١٣٩١ هـ ديسمبر سنة ١٩٧١ .

(هـ) حسبل ، إدماج لجملة : حسبنا الله .

٢ – تمتاز بسقوط بعض الحروف لفظا وكتابة فى بعض الكلمات لكثرة استعمالها بعد إدماجها فيما قبلها أو بعدها من حروف أو ظروف مثل :

(ا) عمّ فى قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ فإن أصلها عن ما ، أى عن أى شىء يتساءلون .

(ب) فيم أصلها فيما .

(ج) إلام أصلها إلى ما .

(د) علام أصلها على ما .

(هـ) مِمَّ أصلها من ما .

(و) حتام أصلها حتى ما .

(ز) لم أصلها ل ما .

٣ – بعض الحروف يندمج فى الأحرف المشابهة لها ، فيصبحان حرفا واحدا مثل :

(ا) اطلع أصلها اطتلع .

(ب) امحى أصلها انمحى .

(ج) اتزن أصلها اوتزن .

(د) اتضع أصلها اوتضع .

(هـ) اظلم أصلها اظتلم .

٤ – إذا كان المضارع مبدوءا بالتاء واستعملته فى الخطاب ، تسقط إحدى التاءين مثل تكلمُ – وتعلم – وتهذَّبُ – وتَقَدَّمُ ، استعملت بدلا من تتكلم وتتعلم وتتهذب وتتقدم .

٥ – بعض الحروف لاتنطق ولا تكتب اختصار ، وبعضها ينطق ولا يكتب إيجازا مثل :

(ا) بسم الله – سقطت الألف فى اسم – والف المد من اسم الجلالة .

(ب) ألف المد فى أسماء الإشارة – هذا – هذه – هذان – أولئك – ذلك – ذلكما – ذلكم .

(ج)ومثل هأنذا – يأيها – لكن – إله – إسحق – هرون – إسمعيل

(د) ومثل ما تسقط الواو فى داود – طاوس .

(هـ) ومثل ما سقط الياء فى الاسم المنقوص المنون مثل قاض – غاز – سام ، إذا كان غير منصوب .

(و) كما تحذف ألف أل المعرفة إذا كان الاسم مسبوقا بلام الجر مثل : لله – للبر – للعمل – للقسم .

٦ – تسقط (لا) النافية بعد القسم مثل قوله تعالى :

﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ تقريرها تالله لا تفتأ تذكر يوسف .

٧ – الجمل الاسمية فى اللغة العربية لاتحتاج إلى فعل الكينونة على حين نراه مستعملا فى اللغة الانجليزية .

(ا) فمثلا تقول ، فى العربية : على فى حديقته .

ولكن فى الإنجليزية تقول : يكون أو يوجد فى حديقته .

Ali in his garden

(ب) الطائر على الغصن – لكن فى الإنجليزية الطائر يكون على الغصن .

The bird is on the branch

٨ – لاتحتاج العربية إلى روابط الإضافة .

فمثلا تقول فى العربية – كتاب المطالعة – وقد يحذف آخر المضاف عند التثنية والجمع ، فنقول مهندسا المدينة – ومعلمو المدرسة بدلا من مهندسان – ومعلمون .

أما فى الفرنسية فلابد من كلمة متوسطة تربط المضاف بالمضاف إليه هى de ، وفى اللغة الإنجليزية تربط الأداة of بينهما ، فعبارة آخر الشهر يقابلها فى الإنجليزية The end of the month

٩ – للتشبيه فى العربية أداة موجزة ، هى كاف التشبيه ، وهى حرف واحد يسبق المشبه به ، ولكن أداته فى الإنجليزية as وتتكرر مرتين : مرة قبل الصفة ، ومرة بعدها فتقول فى العربية : قوى كالحصان لكن فى الإنجليزية تقول : as strong as a horse .

١٠ – أسماء الأفعال فى العربية أشد إيجازا من مثيلاتها فى الإنجليزية :

(ا) مثل – عليك بكذا – يقابلها فى الإنجليزية : : You have to

(ب) ومثل هيهات يقابلها فى الإنجليزية : : it is too far

١١ – واللغة العربية لها طواعية ومرونة تساعد على أداء معنيين مختلفين مقصودين ، أو عدة معان بعبارة واحدة بدلا من عبارتين مختلفتين ، أو بدلا من عبارات مختلفة . وهى درجة سامية فى البلاغة لاتستطيع أداءها إلا قلة قليلة من البلغاء[١] .

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب قول رسول الله ﷺ :

« كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » – كما رواه الإمام مسلم القشيرى فى صحيحه ، أو « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ماسمع » كما فى رواية أبى داود والحاكم – ويفهم من الحديث أمور كثيرة :

(ا) أن على السامع أن يثبت مما يسمع قبل أن يتحدث به حتى لايحمل وزر ما نقله .

(ب) كما يفهم منه أن على السامع أن يكتم ما وصل إلى علمه لأن إذاعته قد تسبب ضررا لمن سمع الخبر أو لمن ألقاه وقد تسبب فتنة فى المجتمع .

(ج) وقد يفهم منه أن على السامع ألا يتحدث بكل ما يعلمه من أمور وأسرار يدق فهمها على السامعين ، وألا يخاطب الناس إلا على قدر عقولهم .

(د) وقد يفهم منه أنه على من سمع أسرار بعض الناس ، ألا يتحدث بها حتى لايكشف أصحابها ، أو يجعلهم مضغة فى الأفواه ، فإن من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة .

والقرآن الكريم : بلغ أسمى غاية من الإعجاز البيانى فى التنويع والتفريع فإنه لم ينزل مقصورا على الجزيرة العربية وحدها ولا على عصر النبوة ، ولكنه صالح لكل زمان وبيئة ومكان ، وهو بهذا يخاطب الأعراب الذين كانت ثقافتهم محدودة ، كما يخاطب الراسخين فى العلم من الفلاسفة والباحثين والمفكرين .

والقارئ المتدبر لآيات الذكر الحكيم يفهم منها معنى خاصا لأول مرة ، فإذا كرر التلاوة ظهرت معان جديدة ، وكلما تدبر وتدبر بدت له معان أخرى .

ومن هذا تعددت آراء المفسرين فى معانى القرآن حسب اختلاف عصورهم وتباين ثقافتهم وتعدد مواهبهم الفكرية ، والأسلوب القرآنى المعجز يعطى هذه المعانى

---

(١) بحث العربية لغة التنويع والتفريع للأستاذ على عبدالعظيم (مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٣٩٢ إبريل ١٩٧٢) .

جميعها ، وهذا يظهر فى الموضوعات التى يعالج فيها القرآن الكريم مشكلات فكرية ، أو قضايا علمية ، أو نظرات فلسفية قال تعالى :

﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾[١] .

ومثال ذلك قوله تعالى : **﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾**[٢] فالعربى يفهم كلمة لواقح بمعنى حوامل ، لأنها تحمل السحب المليئة بالماء ، ويفهمها بمعنى ملقحة ، بمعنى أنها تلقح الأرض بماء المطر فتهتز الأرض وتحمل أجنة النبات ، ونفهمها نحن بمعنى أنها تحمل مادة التلقيح ، فيتم عن طريقها الإخصاب ، وكلا المعنيين صحيح : المعنى الذى فهمه العرب ، والمعنى الذى فهمه المعاصرون .

أما آيات الأحكام والمناسك فإنها تحدد المعانى فى دقة وإحكام . وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾**[٣] . لذلك كان الأسلوب القرآنى حينما يشيع عدة معان للجملة الواحدة يراعى اختلاف العرب والبيئات والثقافات والمواهب العقلية ، لأنه كتاب الإنسانية الخالد الصالح لعلاج مشكلاتها فى كل زمان ومكان .

ولا يفوتنا أن نشير فى ختام هذا الفصل إلى أن المستشرقين ، الذين اتجهوا إلى دراسة العلوم العربية والإسلامية صاروا يكونون مشكلة ثقافية ودينية خطيرة ، لأن أفكارهم وآراءهم – وما أكثر سقيمها وباطلها – تسربت إلى دور العلم والمدارس والجامعات العربية والإسلامية فاكتسبت لها أنصارا من طلاب المعرفة فى الشعوب العربية ، ودعاة وناشرين من أبناء الأمم الإسلامية ، كما ارتبط كثير من المستشرقين بنخبة المثقفين العرب برباط المودة والزمالة والصداقة ، فضلا عن انتشار تلاميذهم ومريديهم فى أقسام اللغة العربية بكليات الآداب فى الجامعات العربية والكليات الأخرى ذات الصبغة الدينية .

---

(١) آل عمران آية (٧) .

(٢) الحجر آية (٢٢) .

(٣) المائدة آية (٦) .

الباب الرابع

الكتب والموضوعات والمؤتمرات والقرارات والإرساليات والمؤلفات والمجلات والصحف التبشيرية



الكتب والموضوعات والمؤتمرات والقرارات

والإرساليات والمؤلفات والمجلات والصحف التبشيرية

هل هناك إحصاء دقيق لما كتبه المبشرون والمستشرقون عن الشرق والعرب والإسلام :

من الصعوبة بمكان ، بل من المتعذر إحصاء جميع ما كتبه المبشرون وأنصارهم من المستشرقين عن الشرق والعروبة والإسلام . وإذا كان ذلك كذلك ، فإنه لا بأس من ذكر إلمامة صغيرة على ما يمكن الإحاطة به .

١ ــ أصدرت مكتبة الكتاب المقدس « شترايت ودندنغر » سبعة مجلدات ما بين سنة (١٩١٦ ــ ١٩٣١) وذكرت فيها أسماء المصادر والمراجع التى تدور حول المبشرين وجهودهم وتسهيل أعمالهم .

٢ ــ أما الرسائل التى كتبها المبشرون من سورية والشرق الأدنى إلى زملائهم بين عام (١٨٣٠ ــ ١٨٤٢) فقد طبعت فى ١٣ مجلدا من أصل ٣٨ مجلدا .

٣ ــ وفى سنة (١٨٦٩) جمعت أعمال مدارس التبشير الفرنسية فى الشرق فى ٤ مجلدات ، تقع فى ١٥٠٠ صفحة .

٤ ــ كما أصدرت مدارس التبشير الإنكليزية فى جبل لبنان ، تقريرا عن أعمالها بين (١٨٥٦ ــ ١٨٦٨) يقع فى مجلد كامل .

٥ ــ ولما اجتمع مؤتمر التبشير العالمى فى أدنبره فى اسكتلندا عام ١٩١٠ أصدر تقريرا

عن النواحي المختلفة التي يجب على المبشرين مراعاتها ثم طبعه في ١٠ مجلدات ، وسيأتي الكلام عنه .

٦ – ولما اجتمع مؤتمر التبشير الدولي في القدس سنة (١٩٢٨) لمدة أسبوعين وضع تقريرا في ٨ مجلدات .

ولنبدأ بشيء من التفصيل لبعض هذه الكتب والرسائل والمجلات والمؤتمرات والإرساليات التبشيرية .

الفصل الأول

الكتب والموضوعات والمؤتمرات والقرارات التبشيرية

أولا : مقدمة المسيوشاتليه [1] :

المسيوشاتليه وهو مستشرق فرنسي برأس تحرير مجلة العالم الإسلامي الفرنسية المصورة ، وكان يعمل في نفس الوقت أستاذا للمسائل الاجتماعية الإسلامية في أحدى جامعات فرنسا ، وكانت مجلة العالم الإسلامي الفرنسية ظاهرة بمظهر علمي لتكون الغايات السياسة فيها تالية للغايات العلمية إلى أن تم لفرنسا احتلال المغرب ، واحتلال إيطاليا لطرابلس وليبيا ، فظهرت هذه المجلة بمظهرها الحقيقي ، وكشفت قناعها المزيف ، فإذا بها مجلة تبشيرية ، إذ أصدرت عددا ضخما سنة ١٩١١ ليس فيه غير بحث واحد ، يدور حول ما تقوم به الإرساليات البروتستانتية في العالم الإسلامي ، وقد كتب المسيوشاتليه مقدمة هذا البحث وكانت تتضمن الآتي :

١ – ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ، ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ، حتى يبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعية الفرنساوية .

٢ – أن كلية القديس يوسف اليسوعية في بيروت ، التي تدير أعمالها الإرسالية التبشيرية الكاثوليكية ، ليكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسا ، رغم

[1] كتاب الغارة على العالم الإسلامي للمرحوم محب الدين الخطيب

أنه لا تأثير لها على النشوء الفكري في المحيط الإسلامي فإن التعاليم التي تنشرها وتكتبها كان لها الحظ الأوفر في انتشار الأفكار الفرنسية في سوريا ومصر .

٣ – إن للإرساليات التبشيرية في البلاد الإسلامية مزيتين ، مزية تشييد ، ومزية هدم وذلك لانتزاع الدين الإسلامي من قلوب معتقيه . ثم إدخالهم في النصرانية من طرف خفي ، ولاشك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية ، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يتحكك الإسلام بصحف أوربا وتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها في هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها .

٤ – أنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين ، من حيث خطتهم في الهدم للإسلام ، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ، ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية ، والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية ، وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية .

ثانيا : كتاب « تاريخ التبشير » للمستر أدوين بلس البروتستانتي :

يتضمن هذا الكتاب أعمال الإرساليات البروتستانتية في بلاد الإسلام ، حتى أواخر القرن التاسع عشر طبقا للآتي :

١ – أن ريمون لول الأسباني هو أول من تولى التبشير ، بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم لول اللغة العربية بكل مشقة ، وجال في بلاد الإسلام ، وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة .

٢ – أشار المؤلف إلى بتر هيلنغ الذى احتك بمسلمى سواحل أفريقيا وإلى تنظيم إرساليات التبشير فى القرون الوسطى فى الهند وجزائر السند وجاوة واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين وإلى اهتمام هولندا بالتبشير فى جاوة فى أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوة لهذه الغاية إلى مناطق ، لكل منها كنيسة ومدرسة .

٣ – أن البارون (دوبيتز) حرك ضمائر النصارى منذ سنة ١٦٦٤ ، إلى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحى ، وتعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير ، حتى لقد ارتأى أحد أحبار الكنيسة أن يعهد إلى الأروام بمسئولية تبشير الأتراك ، ثم فشل البارون فى مشروعه .

٤ – سرد المؤلف تاريخ تنظيم الإرساليات البروتستانتية من دانمركية وإنجليزية وألمانية وهولندية وأخبار اتصال بعضها ببعض وأسماء الملوك والأمراء الذين كانوا عضدا لها ومؤيدين لأعمالها فى القرن السابع عشر وما بعده فى كل أقطار العالم .

٥ – يقول المؤلف فى أعمال هذه الإرساليات فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر إن المستر كارى هو الذى فاق أسلافه فى مهنة التبشير ، فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيين والهولنديين والعبرانيين ، ولما نشر كتبه فى التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ، ففتح باب الاكتتاب ، وذهب إلى الهند لهذا الغرض ، وصارت الأموال ترسل إليه ، ثم طلب أن يرسل له رجال يؤازرونه فى التبشير ، فتأسست جمعيات على شاكلتها فى اسكوتلنده ونيويورك وانتشرت هذه الفكرة فى ألمانيا والدانمراك وهولنده والسويد والنرويج وسويسرا ، أما فرنسا فلم تدخل وتقتحم هذا الميدان لانشغالها فى ثورتها المشهورة سنة ١٧٩٣ . وبعد ذلك تأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل جمعيات التبشير فى أرض التوراة العثمانية ، وبلغ الشغف بهذا العمل أن تأسست إرساليات تبشير طبية على سبيل التجربة لتلحق بالإرساليات العامة ، فنجحت نجاحا باهرا ، لذلك أخذت تنمو وتزداد — وتألفت لها أقسام نسائية ، وأرسل بعضها إلى الهند وإلى آسيا الصغرى — وفى سنة

١٨٥٥ أسست جمعية الشبان المسيحيين من الإنجليز والأمريكان ووظيفتها إدخال ملكوت المسيح بين الشبان .

٦ – وقد عقد تلاميذ المدارس النصرانية فى نور ثفيلد مؤتمرا اجتمع فيه ٢٥٠ مندوبا عن ٨٠ مدرسة تكفلت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع فى نشر الدين المسيحى ، ومن هؤلاء تألفت جمعية الشبان المتطوعين للتبشير فى البلاد الأجنبية ، وكان شعارها نشر الإنجيل بين أبناء الجيل الحاضر ، وفى سنة ١٨٩٥ تأسست (جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين فى العالم) وهى تهتم بدراسة أحوال التلاميذ فى كل الأقطار ، وبث روح المحبة المسيحية بينهم ، وقد التحق بها ....، ١٠٠ مائة ألف طالب وأستاذ يمثلون أربعين دولة ، ثم تأسست سنة ١٩٠٢ (جمعية تبشير الشبان) ومن وظائف هذه الجمعيات الأخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين ، وفى سنة ١٩٠٧ ، تقرر أن تؤسس (جمعية تبشير الكهول) وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن .

٧ – وأما فى أفريقيا فيقول المستر بلس : إن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم التبشير بالنصرانية فى أفريقيا ، والمسلم هو العدو اللدود للمبشرين ، لأن انتشار الإنجيل لايجد معارضا لامن جهل السكان ولا من وثنيتهم ، ولا من مناضلة الأمم المسيحية ، وإنما المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ فى أفريقيا ، أكثر مما هو كذلك فى فارس ، فالشيخ أو الدرويش يجوبان شواطىء البحر الأحمر والنيجر والمغرب ووادای ، ويبثان الإسلام فى كل هذه الأقطار ، وقد كان الشيخ السنوسى العدو الألد للنفوذ الفرنسى والإنجليزى .

٨ – إن الملحمة الكبرى بين أوربا والإسلام ستنشب فى غربى أفريقيا وفى شمالها ، لذلك فمنذ سنة ١٨٠٤ تعاونت إرساليات الكنيسة البروتستانتية وانكفأت على الكونغو حيث قاتلت بمؤازرة الأسقف صموئيل كروتز الزنجى سلطة الإسلام المتدفق فى النيجر الغربية .

٩ – وفى سنة (١٨١٩) اتفقت جمعية الكنيسة البروتستنتية مع أقباط مصر ، وألفت فى مصر إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل فى إفريقيا الشرقية ،

وقررت إرسال مبشرين إلى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت .

١٠ – توافد المبشرون على أفريقيا الوسطى عقب بعثة لفنجستون وميتانلى سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم ، بين ألمانى واسكتلندى وانجليزى وموراق ، وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم بدون انقطاع من شرق إفريقيا إلى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا حيث جاءت هذه الإرساليات بنتائج حسنة .

١١ – أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم (جمعية تبشير شمال أفريقيا) وهم منتشرون فى المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب ، ومنهم المبشرون والأطباء التابعون لهم ، وفى جزيرة مدغشقر يقوم فيها المبشرون البروتستانت بخدمة مهنتهم بكل جد ونشاط .

١٢ – كان المبشر هنرى مارتين يد طولى فى إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية ، فبعد أن أقام فى الهند مدة ، عرج على إيران والبلاد التى كانت خاضعة لتركيا إبان الخلافة العثمانية ، وهو الذى ترجم التوراة إلى الهندية والفارسية والأرمنية ثم توفى سنة ١٨١٢ ، ومن بعده أخذت إرساليات التبشير تشد الرحال إلى آسيا الصغرى وفلسطين ، واتخذت لها مراكز فى أزميرواستامبول وبيت المقدس ، وتصدرت للتبشير فى صفوف النسطوريين على حدود فارس وتركيا ، وفى صفوف اليعقوبيين فيما بين النهرين ، وفى مقدمة هذه الجمعيات لجنة التبشير الأمريكية ، إلا أن الجمعيات الإنجليزية سبقتها إلى بعض البلاد التركية ، مثل أزمير واستامبول وسلانيك ، فافتتحت فيها مدارس دينية وكنائس ، ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد إرساليات أخرى على هذه البلاد ، فقسمتها إلى مناطق ، حيث أصابت لجنة التبشير الأمريكية منطقة قبائل النصيرية فى سوريا ، فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل ، وذهب قسم من هذه الجمعية إلى بلغاريا لينفذ خطته هناك ، ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ فى سوريا توجهت الأنظار إلى جبل لبنان ، وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الأمريكية فى البلاد الخاضعة لتركيا عدا سوريا ، وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانتية فى استامبول سنة ١٨٤٦ ،

صارت هذه المدينة مركزا عاما آمنا لأعمال المبشرين .

١٣ – موقف الحكومات الإسلامية أمام إرساليات التبشير :
تضمن هذا الكتاب أيضا المواقف الآتية :

١ – إن القبائل المستقلة فى بلاد العرب عدوات لدورات المبشرين .

٢ – إن بلاد إيران سائد عليها نفوذ روسيا .

٣ – إن السلطة الإسلامية فى مصر إسمية فقط .

٤ – كانت حكومة تركيا تبدى ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم ، بسبب الدور السياسى الذى يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية لكن معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين كانت تتحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة ، وقد شمر المبشرون عن ساعد الجد فى ترجمة الكتاب المقدس ، والذى يضم التوارة والإنجيل إلى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات .

١٤ – أما فى بلاد الهند فقد وقع المبشرون فى الحيرة ، لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون فى التبشير ، وهل يسهل بث النصرانية فى البرهمى أو المسلم المتنور أو الهندى العامى ، ثم اهتدوا إلى التقاط الأطفال الذين يعضهم الجوع بأنيابه فيحسنون إليهم ويستميلونهم نحوهم ، ولما انعقد مؤتمر التبشير فى شيكاغو بعد ذلك ، قرر أن ينظر فى وسائل تعميم التبشير فى الهند ، ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل الطبقات .

١٥ – ذهبت إرساليات كثيرة من المبشرين إلى جزر الملايو لمحاولة تبشيرهم بالنصرانية بعد أن اعتنق أهاليها الإسلام فى القرن الثالث عشر للميلاد .

١٦ – يرجع ذهاب إرساليات التبشير إلى الصين إلى سنة ١٨١٣ ، ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر المبشرون والأطباء والممرضون التابعون لهم انتشارا هائلا ، واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة ، وقد لعب المبشرون الكاثوليك دورا كبيرا فى ثورة البوكسر الصينية ، حتى أنهم تدخلوا فى شئون القضاء هناك .

ثالثا : كتاب القسيس زويمر وقد تضمن الآتى :

١ – إن القسم الأعظم من العالم الإسلامى مازال خاليا من التبشير المسيحى ، وقد أشير إلى الأقاليم الإسلامية الخالية من التبشير فى إفريقيا وآسيا ، مثل افغانستان وتركستان الروسية ، وتركستان الصينية مما يقتضى من المبشرين ضرورة إعداد العدة لاكتساحها .

٢ – إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام ، لم تزل نذير خطر للمسيحية ، أما المبشرون القاطنون حول عدن والشاطىء الشرق منها فلا يشغلون إلا أربع نقط تبشيرية ، ووجودهم لم يمنع جزيرة سقطره التى كانت فى سالف أيامها مسيحية أن تصبح إسلامية محضة .

٣ – إن ربط دمشق بالمدينة (المنورة) ومكة (المكرمة) سيمهد للمبشرين المسيحيين النفاذ إليها ونشر الإنجيل باللغة العربية التى هى أكثر اللغات الإسلامية انتشارا .

٤ – إن حركة التبشير المسيحى الواقعية هى القائمة فيما بين مدينة بغداد ومدينة البصرة ، إذ يوجد هناك محطات للتبشير وثلاث محطات مساعدة لها .

٥ – أشار القسيس زويمر إلى آماله فى تنصير جزر ماليزيا (وهى أندونسيا وماليزيا) فتساءل عما إذا كانت تلك الجزر ستبقى فى قبضة الإسلام أم لا؟. وأبدى قلقه من توغل الإسلام فى جزيرة بورنيو وغيرها من الجزر الأخرى ، وأنحى باللائمة على المبشرين المسيحيين الذين يتحاشون الاحتكاك بالإسلام والمسلمين هناك ، والحال كذلك فى بلاد الصين والهند إذ لا يهتمون بالتبشير بين المسلمين هناك .

٦ – أما فى أفريقيا فإن الاسلام يتقدم وينتشر بهدوء ونظام خصوصا بين القبائل الوثنية فى نيجيريا ، وأنحى باللائمة على إنجلترا لأنها تحظر على المبشرين المسيحيين ولوج الأقاليم التى يتوغل فيها الإسلام ، أما فى طرابلس المغرب وتونس والجزائر فليس فيها سوى أربع محطات تبشيرية .

٧ – ذكر القسيس المؤلف فى كتابه كيف تطور التبشير المسيحى ، فبعد أن كانت أعمال المبشرين منذ مائة سنة لاهوتية دينية محضة ، أصبحت الآن أعمالهم

مشفوعة بأسباب اجتماعية ، وكان ينظر فى سابق الأيام إلى المبشرين نظرة قوم يشنون حربا صليبية ترمى إلى التنصير فقط . فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعى ، وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية ، لأن احتلال الأقاليم الحالية من المبشرين ناشىء عن أحوال هذه البلاد الاجتماعية المحرومة من يسوع المسيح ، والتى هى بالتالى خالية من كل بارقة أمل ، إن الخطة القاصرة الخطرة – التى تقضى ببث مبادىء المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانيا – عقيمة لافائدة ترجى منها ، لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية لاتحمد مغبته ، بل تنجم عنه مساوىء كثيرة تفوق المساوىء التى كانت قبلا .

٨ – ينصح المؤلف بضرورة مراعاة المزايا والسجايا العقلية التى يجب على المبشرين أن يتذرعوا بها ، وأفاض فى شرح الوسائل المؤدية للاحتكاك بالشعوب غير المسيحية وجلبها إلى حظيرة المسيح ، مع بيان الخطط التى يجب على المبشرين اتباعها .

رابعا : كتاب المستر فاردنر ويتضمن الآتى :

١ – وضع به صورا شمسية للمساجد والمعاهد الإسلامية المنتشرة فى جنوب أفريقيا ومدغشقر التى سُمّيَتْ فيما بعد بملاجاش ، وضعها المؤلف عمداً ، ليلفت الأنظار إلى التقدم السريع الذى يتمخض به الإسلام فى هذه الأقاليم ، وهدف المؤلف من وضع هذه الصور ، هو أشبه باستصراخ وإعلان حرب بين الإسلام وبين حاملى لواء التنصير فى أفريقيا الجنوبية .

٢ – ثم تساءل المؤلف عن إمكان تنصير سكان البلاد الأصليين ، فقال : إنه فى الإمكان تنصير الوطنيين ببث مبادىء المذهب البروتستانتى ، وعلى المبشرين المسيحيين أن يسرعوا بأعمالهم ، ويبذلوا قصارى جهدهم فى هذا الأمر إذا كانوا لا يودون أن ينتشر الإسلام فى أفريقيا الجنوبية ويرسخ أقدامه فيها ، لأن أفريقيا الجنوبية بسبيل أن تتمخض بحركة دينية ضخمة .

٣ — أشار المؤلف إلى قول (هرتزل) الذى أفاض فى مزايا ومحاسن خط السكة الحديدية الذى كان مزمعا أن يربط القاهرة ببلاد الكاب ، وقال : إذا كان هذا الخط الحديدى يجعل القاهرة محجا للمسلمين المنتشرين من جنوب أفريقيا إلى شمالها ، فإنه يجدر نشر التبشير حينئذ من الكاب إلى القاهرة .

٤ — ثم ذكر فى كتابه أن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر طلابها المتخرجين فيها فى أقاليم جنوب أفريقيا ، تطبيقا لما قرره مؤتمر التبشير العام ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقية .

٥ — أبدى المؤلف قلقه من جمعية النهضة السياسية الأفريقية ، وهى جميعة إسلامية تضم إليها كثيرا من الأجناش والعناصر ، ولها جريدة هى لسان حالها تبحث فى صالح الوطنيين ، وتنشر مقالاتها باللغة الانجليزية والهولندية ، لأن تلك الجميعة تحمل حملات شديدة فى بعض الأوقات على الكنيسة الهولندية وعلى الحكومة ، ولقد قالت منذ مدة : لقد أزف الوقت الذى يجدر بالوطنيين أن يقولوا للجنس الأبيض ، إن الدين المسيحى الذى تفتخرون به يباين ويناف تعاليم المسيح ، كما أن جريدة الجمعية تنفخ روح النشاط بين السود لتستميلهم إلى امتلاك العقارات والاعتماد على أنفسهم ، مما يتقضى من المبشرين أن يحولوا أنظارهم نحو هذه الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية .

٦ — ثم عدّد المؤلف وصف فرق إرساليات التبشير المنتشرة فى أفريقيا الجنوبية ، وكيفية اتفاقها وأصول تعاليمها ، والوسائل التى يجدد اتخاذها لَلَمّ شعت تلك الإرساليات حتى تبدو كتلة واحدة أمام البحر الإسلامى الطامى .

٧ — اختتم المؤلف كتابه بذكر أسماء جميعات التبشير ولجانها ، وما أسسته من المعاهد .

خامسا : مؤتمر القاهرة التبشيرى (١٩٠٦) :

كان القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين أول من ابتكر فكرة

عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين .

وفى سنة (١٩٦٦) أذاع اقتراحه ، وأبان الكيفية التى يكون بها ، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث فى مدينة ميسور بولاية أجرا فى الهند ، لأن هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الإسلامية ، لوجود مدرسة عليكرة هناك .

ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذى ينعقد فى مدينة مدراس الهندية كل عشر سنوات ، فأجاز عقده .

وفى يوم ٤ أبريل سنة ١٩٠٦ افتتح المؤتمر فى القاهرة فى المنزل الذى كان يقيم فيه الزعيم الوطنى أحمد عرابى باشا فى باب اللوق ، وطبيعى أن يكون ذلك تحت ضغط سلطات الاحتلال البريطانى ، وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير التى اجتمعت هناك ٦٢ بين رجال ونساء ، منهم — ٢١ مندوبا عن إرساليات التبشير الأمريكية التى فى الهند وسوريا وتركيا وإيران ومصر ، وعن إرساليات التبشير الإنجليزية خمسة ، والباق عن الإرساليات الاسكتلندية والإنجليزية المنفردة ، والألمانية والهولندية والسويدية والدانمركية الموجودة فى بلاد العرب ، وقد انتخب المؤتمر القسيس زويمر رئيسًا للمؤتمر وعين معه نائب رئيس وكتبة للجلسات التى تحددت مواعيد انعقادها ، وقد بحث ذلك المؤتمر المسائل الآتية :

١ — ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم .
٢ — الإسلام فى القارة الأفريقية .
٣ — الإسلام فى تركيا إبان الخلافة العثمانية .
٤ — الإسلام فى الهند .
٥ — الإسلام فى إيران .
٦ — الإسلام فى الملايو .
٧ — الإسلام فى الصين .
٨ — النشرات التى ينبغى إذاعتها ، بين المسلمين المتنورين وللمسلمين العوام .
٩ — التنصر والارتداد .
١٠ — وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين .

١١ــ شئون النساء المسلمات .
١٢ــ موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم .
١٣ــ كيفية التعليم فى الإسلام .

وهذه الموضوعات طبعت فى كتاب كبير اسمه (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين) .

ثم صنف القسيس زويمر كتابا جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وسماه العالم الإسلامى اليوم .

خامسا : كتاب وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية :

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس فلمنج الأمريكى ، وحرر عليه عبارة « نشرة خاصة » بمعنى أنه طبع لينتقل فى أيدى فئة خاصة من رجال التبشير ، لا ليطلع عليه كل الناس ، وضمنه مباحثات مؤتمر القاهرة التبشيرى لسنة ١٩٠٦ واختتمه بندائين :ــ

(ا) استنهض بأحدهما رجال النصرانية ، ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية ، فيستولوا على أهم الأماكن والمعاقل الإسلامية .

(ب) والنداء الثانى خاص بأعمال نسائية ، أى التبشير فى وسط نساء المسلمين ، وهذا الكتاب ينقسم إلى عدة فصول يمكن تحديدها .

١ ــ الفصل الأول من الكتاب يبحث فى الطريقة التى ينبغى للمبشر أن ينتهجها فى التبشير ، وضمنه بحثا يدور على ما إذا كان الإله الذى يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا ؟

فإذا كان الدكتور لبسيوس صرح فى مؤتمر القاهرة بأن إله الجميع واحد ، إلا أن القسيس زويمر تصدى له وخالفه فى هذا الرأى فقال : إن المسلمين مهما يكونوا موحدين ، فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين ، لأن إلـه المسلمين ليس إله قداسة ومحبة ... !

هكذا يزعم ذلك القسيس على المسلمين افتراء وكذبا .

٢ ــ وفى الفصل الثانى والثالث بحث فى الصعوبات التى تحول دون تبشير المسلمين العوام ، وبيان الوسائل التى يمكن استجلابهم بها ، وتحبيب المبشرين إليهم .

وأهم هذه الوسائل عزف الموسيقى التى يميل إليها الشرقيون كثيرا ، وعرض مناظر سينمائية عليهم أو بالفانوس السحرى ، وتأسيس الإرساليات الطبية بينهم . وأن يتعلم المبشرون لهجاتهم العامية واصطلاحاتهم نظريا وعمليا ، وأن يدرسوا القرآن الكريم ليقفوا على مايحتويه ، وأن يخطبوا عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم ، لكن الخطب يجب أن تلقى عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة ، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين ، وأن لاتتخلل خطاباته كلمات أجنبية عن المستعمين ، وأن يعتنى فى اختيار الموضوعات ــ وأن يكون واقفا على آيات القرآن والإنجيل ، عارفًا بمحل المناقشة وأن يستعين قبل كل شىء بالروح القدس ، والحكمة الإلهية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التى لا يعرفها أهل الشرق ، وفى ختام هذين الفصلين يقرر المؤلف أن أكثر المسلمين الذين تنصَّروا إنما هم من العامة والأميين .

٣ ــ وفى الفصل الرابع يذكر المؤلف الصعوبات التى تقف فى سبيل تبشير المسلمين المتنورين ، ويناشد المؤتمر أن يبحث عن الوسائل التى يكون لها تأثير عليهم ، فكان اتفاقهم على الأطفال والناشئة الإسلامية ، لتدرك الأمور الاجتماعية والخلقية والأدبية والتاريخية المسيحية ، مما حدا بهم إلى تأسيس مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة ، بغرض استجلاب زبائن لمحادثتهم خلال وأثناء البيع .

وبعد مضى ثلاث سنوات توصل المبشرون إلى النتائج الآتية :

(ا) أنهم عرفوا أحوال البلاد ، وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

(ب) أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم .

(ج) أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم بالود للمسلمين ، وميلهم إلى ماتطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى والنشأة القومية ، يتمكنون بذلك من الوصول إلى قلوبهم وثقتهم .

الجامع الأزهر فى كتاب وسائل تبشير المسلمين بالنصرانية :

أثير نفوذ الجامع الأزهر بالقاهرة بين المبشرين ، خصوصاً بين أعضاء مؤتمر القاهرة التبشيرى وتساءلوا عن سبب إقبال الآلاف من أبناء المسلمين وشبابهم عليه ، من مختلف أنحاء العالم ، وما السر فى نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة. إلى

الآن ؟!! .. وانتهى المبشرون إلى أن المسلمين المتمسكين بدينهم رسخ فى أذهانهم أن تعليم اللغة العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه فى غيره ، والمتخرجون فى الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين الإسلامى المختلفة ، فضلا عن أن باب التعليم مفتوح فى الأزهر لكل مشايخ الدنيا ، خصوصا وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا ، لأن فى استطاعته أن ينفق على (١٢٥٠) أستاذا .

وانبرى أحد المبشرين ، وقال : إن الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر الكبير ، وعرض اقتراحا يتضمن إنشاء مدرسة جامعة نصرانية ، تقوم الكنيسة بنفقاتها ، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية ، وبذلك تتمكن هذه المدرسة الجامعة النصرانية من تدريس التربية الإسلامية لطلابها ، فيتمكن هؤلاء الطلبة عند تخرجهم من تنصير المسلمين الآخرين ، وختم كلامه ذلك المبشر مشيرا إلى أن إنشاء هذه المدرسة الجامعة النصرانية فى مصر كفيل بتنصير الدول الإسلامية قاطبة .

٤ – وفى الفصل الخامس ذكر المؤلف مادار فى المؤتمر عن النشرات ، التى ينبغى للمبشرين إذاعتها لتنصير المسلمين ، وقد ظهر للمؤتمر أن التوراة مترجمة إلى معظم اللغات الإسلامية ، وأكثر لهجات تلك اللغات ، أما أدبيات التبشير ومؤلفاته فمترجمة إلى اللغات الإسلامية المهمة فقط .

وقد اقترح أحد المندوبين أن تراجع المؤلفات التى قدم عليها العهد لإصلاحها وتنقيحها ، واستخدامها فى تبشير المسلمين المتعلمين ، الذين اقتبسوا علومهم فى المعاهد العصرية ، مثل جامعة أكسفورد وجامعة برلين – وأشار إلى وجوب تخفيف اللهجة فى المجادلات الدينية .

وقال مبشر آخر من ضمن المندوبين : إن الحاجة شديدة إلى نشر كتب فى الموضوعات الآتية :

أسماء وألقاب المسيح التى فى الأناجيل ، طبيعة الخطيئة الأصلية ، ضرورة الغفران ، الجنة وكيفية الحصول عليها ، الروح القدس وأعماله ، عقيدة التَّجَسُّد : الإنسان فرد اجتماعى وخالقه ليس كذلك ، وأن الإله الاجتماعى يشمل الثالوث ، الشيطان وكيفية الخلاص منه .

موضوع إرساليات التبشير الطبية فى المؤتمر :

عند مناقشة الموضوع وخوض المؤتمر فيه أدلى كل مبشر برأيه طبقا للآتى :

١ – المستر هاربر :

أبان ضرورة الإكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين .

٢ – الدكتور إرهارس طبيب إرسالية التبشير فى طرابلس :

أورد إحصاء عن زبائنه ، فقال : إن ٦٨ ٪ منهم مسلمون ، ونصف هؤلاء من النساء ، ويقول : إنه يجب على طبيب الإرسالية التبشيرية ألا ينسى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شىء ، ثم هو طبيب بعد ذلك .

٣ – الدكتور تمبانى :

يقول إنه رغم الصعوبات التى يلقاها الطبيب فى التوفيق بين مهنتى التبشير والطب فإن مابذله من المجهودات قد أعانه على النجاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى للتبشير عن طريق الاكتتابات ، وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيرى رجلا مسلما .

٤ – المستر سمبسون :

يقول إن المرضى والذين هم فى حالة الاحتضار والنزع بوجه خاص لابد لهم من مراجعة الطبيب المبشر ويحسن أن يكون هذا الطبيب فى جانب المريض عند الموت حتى يكرز له .

٥ – المس أناوستون :

تكلمت فى المؤتمر عن إرسالية التبشير الطبية فى مدينة طنطا ، فقالت :

(ا) إن ٣٠ ٪ من الذين يعالجون فى مستشفى تلك الإرسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء المسلمات .

(ب) أما طريقة التبشير فى هذا المستشفى فهى أن يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف فى المناقشة ، لأن المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا .

الأعمال النسائية فى التبشير ضمن المؤتمر

١ ـ تقول المس ولسون : إن النساء المبشرات يستعن فى الهند بالمدارس والعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين ، لينشرن النصرانية بين طبقات الناس .

٢ ـ وقالت مبشرة أخرى : إن مدرسة البنات البروتستانتية فى الخرطوم فيها من ٨٠ إلى ٩٠ تلميذة مسلمة ، ولأهلهن الحرية فى السماح لهن بقراءة العهد الجديد ، (وهو الأناجيل الأربعة وما ألحق بها) أو فى منعهن من ذلك ، إلا أن المدرسة أخيرا لم يرد لها من أولياء أمور الطالبات أى طلب استثناء لواحدة من التلميذات من قراءة الإنجيل .

كيفية التقرب إلى المسلمين :

خطب القسيس هاريك فى هذا الموضوع فقال : إن ترجمة الإنجيل وكتب التبشير إلى اللغات الإسلامية ، أكثر فائدة وأعم نفعا ، لأنه بمجرد شراء المسلمين لكتب المبشرين ومطالعتهم لها تتبدد أوهامهم القديمة عن المسيحية ، وأما الجدل والمناظرة فيبعدان المحبة ، التى لها وقع كبير على قلوب الغير ، وتأثير مضاد على نشر النصرانية ، فالمحبة والمجاملة ، هما آلة المبشر ، لأن طريق الاعتقاد غايته دائما قلب الإنسان .

ويقول : إنه يجب أن يتحلى المبشر بمبدأ المسيحية ، قبل أن يعنى بالأمور النظرية ، كما يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستورا سياسيا ، بل هى الحياة كلها ، وأنها تحب العدل والطهر ، وتمقت الظلم والباطل فنفتح للمسلم مدارسنا ، ونتلقاه فى مستشفياتنا ونفرض عليه محاسن لغتنا ، ثم نقف أمامه منتظرين

النتيجة بصبر ، ونتعلق بأهداب الأمل ، إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة ، والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل . وبهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين .

موضوعات تبشيرية :

(ا) خاض مؤتمر التبشير المشار إليه فى كيفية عرض العقيدة النصرانية ، والمناظرة فيها ، والوسائل التى يجب التذرع بها ، لنشر مبادئها والاحتكاك بالنفوس الإسلامية ، للوقوف أمام عقيدة الإسلام ، والصفات التى ينبغى أن يتصف بها مبشر النصرانية بالإنجيل أمام المسلمين .

(ب) عرض القسيس ترونتن على المؤتمر النظريات الآتية لمراعاتها :

١ – الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط .
٢ ـ الشرق سئم المجادلات الدينية .
٣ ـ الشرق يحتاج إلى دين خلق روحى .

واستنتج من هذه النظريات الأولية القواعد الآتية :

١ ـ يجب ألا تثير نزاعا مع مسلم .
٢ ـ يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضا وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية ، قد توفرت فى ذلك المسلم .
٣ ـ إذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحى ، فيجب أن يزال فى الحال ، ولو أفضى الأمر إلى المناقشة .

(جـ) الأسقف لفروا بمدينة لاهور بالهند :

يرى هذا الأسقف أن المبشر الذى يعد نفسه لمجادلة المسلمين فى أمور الدين يجب أن يتميز بالصفات الخلقية السامية ، والاستقامة التامة على المزايا العقلية ، وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التى يحتج بها فى المجادلة ، وأن يكون كامل المجاملة ، وأن يضع الأمل بالفوز على خصمه المسلم نصب عينه ، ويحاول حمل خصمه على الرضوخ للحقيقة ، ولا حاجة للمبشر إلى الاستعانة بالتعاليم القديمة لقسوتها ، حيث إنها كانت ترمى إلى التغلب على العدو لا إلى اكتساب مودته ، حتى يمكن القول

إن كثيرا من المبشرين الذين كانوا يعتقدون بالتعاليم القديمة ، ويستعينون بها ، كانوا أشبه بمن يبشر الناس برشقهم بالحجارة ، لابعرض الحقيقة عليهم ، مما يؤدى إلى نفور النفوس من المبشرين ، ولكن يجب على المبشر فى كل الحالات أن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما على عواطفه إلى الغاية القصوى ، وألا يخالج نفسه أقل ريب فى أنه هو الذى سيفوز .

(د) القسيس زويمر بوصفه رئيس مؤتمر التبشير :

قدم خريطة دعاها باسم (خريطة تنصير العالم الإسلامى فى هذا العصر) وقال : إن التبشير يتوقف على وجود زمرة من المبشرين المتطوعين ، الذين يقفون حياتهم ويضحونها فى هذا السبيل ، ثم ختم كلامه راجيا ، أن يكون لندائه هذا صدى فى المدارس الجامعة فى أوروبا وأمريكا .

خامسا : كتاب العالم الإسلامى اليوم للقسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير فى البحرين سالف الذكر .

جمع القسيس زويمر فى هذا الكتاب تقارير ومباحث تاريخية واجتماعية ، كتبها المبشرون عن حال المسلمين فى المناطق التى يعملون بها ، وينقسم الكتاب إلى مقدمة وفصول .

أولا : المقدمة :

وتتضمن مقدمة ذلك الكتاب الإلحاح على المبشرين ، بضرورة تنصير المسلمين لأنه لم يسبق أن وجدت عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامى الذى اقتحم قارتى آسيا وأفريقيا الواسعتين ، وبث فى الملايين الكثيرة من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء ، مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد .

يدعى أن تعدد الزوجات فيه انحطاط بالمرأة وأن الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيرا بتركها المسلمين وشأنهم ، والاهتمام بأولئك الوثنيين الذين يبلغون ٨٠٠ مليون نسمة ، لأن الإسلام له من قوته وسرعة نموه ما يقض مضجع المبشرين إلا

أنه أخيرا صارت أبواب التبشير مفتوحة فى بلاد الإسلام الواقعة تحت نفوذ وسلطة النصرانية مثل بلاد الهند ، والهند الصينية ، ومصر وتونس ، والجزائر ، وذلك (قبل استقلال هذه البلاد فى منتصف القرن العشرين) لكن أورد المؤلف بعض ملاحظات ونصائح للمبشرين منها :

(ا) يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

(ب) يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين ، لأنه أهم عمل مسيحى ، وقد تم ذلك فى بيروت حتى لقد طبع منه فى بعض الأحيان ٤٦ مليون نسخة .

(ج) تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة واحد من أنفسهم أو من جنسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

(د) ينبغى للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين نما فيهم ميل شديد إلى علوم الأوروبيين وتحرير النساء .

ثانيا : فصل خاص بالإسلام فى مصر :

يتضمن هذا الفصل ملخصا بأعمال المبشرين البروتستانت فى مصر والوسائل التى يتذرعون بها ، والنتيجة التى توصلوا إليها :

(ا) وأهم معاهد التبشير فى مصر ، هو الذى أسسته جمعية اتحاد مبشرى أمريكا الشمالية سنة ١٨٥٤ ، وقد استطاع المبشرون أن يحتكوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم ومدارسهم ، فنشروا أولا كتاب (شهادة القرآن) ووزعوا بعض نسخ من كتاب (الكندى) وكتاب (ميزان الحق) المطبوعين فى إنجلترا ، ووضعوا كتاب الهداية فى أربعة أجزاء ، ألف فى الرد على الذين طعنوا فى سلامة النصرانية ، والمحاضرات العامة التى يلقيها المبشرون مرتين أسبوعيا للموازنة والمناظرة بين الإسلام والنصرانية .

(ب) وفى سنة ١٨٨٢ تأسس فى مصر معهد علمى للتبشير ، تابع لجمعية تبشير الكنيسة ، وله أربعة فروع ؛ الفرع الأول : قسم طبى ، والثانى : مدرسة للصبيان ، والثالث : للبنات ، والرابع : لنشر الإنجيل . وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ، ولهم مكتبة خاصة بهم .

والنتيجة الأولى من كل ذلك هو تنصير الشبان والفتيات المسلمات . والنتيجة الثانية تعويد كل طبقات المسلمين على أن يقتبسوا بالتدريج الأفكار المسيحية .

(ج) جمعية تبشير شمال أفريقيا : وقد أسست معهداً لها فى مصر لتنصير المسلمين أيضا ، وهذه الجمعية لها ثلاثة وكلاء فى الإسكندرية ، واثنان فى شبين الكوم ، وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الإنجيل بوجه خاص ، وأن تزور المبشرات منازل المسلمين ، ويجتمعن بالسيدات المسلمات ، ويوزعن عليهن المؤلفات والكتب التبشيرية ، وإلقاء محاضرات دينية لدراسة الإنجيل فى بعض أيام الأسبوع ، حيث تقام الصلاة .

(د) الجمعية العامة لتبشير مصر : تأسست هذه الجمعية سنة ١٨٩٨ وغايتها تنصير المسلمين المصريين ، ولها معاهد فى الدلتا والسويس ، وتدير مدارس للصبيان والبنات ، وتبث فيهم مبادىء النصرانية ، ولها خزائن تحوى كتبا عربية ذات علاقة بالإسلام ، ولها مجلة شهرية .

(هـ) الإرسالية الهولندية : هذه الإرسالية كانت قد توطنت فى قليوب ، وفى مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب ، وهى تنتشر الإنجيل فى القرى بواسطة بائعى الكتب .

مايقف فى سبيل إرساليات التبشير فى مصر :

إن العقبة الوحيدة فى مصر ، التى تقف فى سبيل إرساليات التبشير ، هى أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذى يحفها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم إصغائهم لهم .

ثالثا : فصل عن الإسلام وإرساليات التبشير فى الهند :

(ا) يقول المؤلف : إن تاريخ التبشير فى الهند ، ابتدأ فى أوائل القرن التاسع عشر ، عندما نال (جيروم كزافيه) اليسوعى إذنا بالتبشير فى لاهور ، ففتح باب الجدل فى مسائل التوحيد ، والتثليث ، وألوهية المسيح ، وصحة الكتب المقدسة ، فتسبب عن ذلك قيام أحمد بن زين العابدين ، وتأليفه كتاب (الأنوار الإلهية فى

دحض خطأ المسيحية) ونعى المؤلف على الكاثوليك دفاعهم عن عقيدة عبادة مريم العذراء والآثار والصور والأماكن المقدسة .

(ب) ثم جاء المبشر هنرى مارتين ، فوضع أساسا للتبشير بالإنجيل فترجمه إلى الفارسية والأوروبية .

(جـ) ثم جاء بعده القسيس المبشر (بفندر) فترجم كتابه ميزان الحق[1] من الفارسية إلى الأوردية ، وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) – ومفتاح الأسرار .

وبهذا أثار (بفندر) مجادلات شديدة مع علماء المسلمين فى دلهى وأجرا ولكنو – وتكونت فى شمال الهند جمعيات تبشيرية بين إنجليزية وأمريكية واسترالية ، بغرض تنصير المسلمين هناك ، واختصت هذه الجمعيات المسلمين بكتب خاصة يطالعونها ، وهى معروضة لهم فى مكتبات التبشير .

(د) وقد اشتد انتباه المبشرين إلى مكافحة الإسلام ، فنمت فيهم فكرة الاختصاص بتبشير المسلمين ، على أثر كتابات الدكتور المبشر (مردوش) فبادرت جمعيات متعددة إلى إرسال مبشرين متخصصين لهذا الغرض .

(هـ) أما ثمرة التبشير بين المسلمين فى أوساط الهند ، فهى أضعف بكثير من شمال الهند بالرغم من اجتهاد جمعية (تبشير الكنيسة) التى فى مدراس وحيدرأباد ، وبالرغم من تفانى إرسالية زنانة التبشيرية التابعة للكنيسة الإنجليزية .

ولقد خطب القسيس (ويثير تشت) فى مؤتمر القاهرة ، فذكر عدة ملاحظات ، يجب على المبشر مراعاتها هى :

١ – يجب الانتفاع من وجود الطلبة المسلمين فى إنجلترا بمعنى العمل لإدخالهم فى المسيحية .

٢ – أن يدرس الإنجيل على حدة لجماعات قليلة العدد .

---

(١) فات هذا المبشر أن يذكر أن الإمام رحمة الله بن خليل الرحمى ألف كتابه إظهار الحق ردا على كتاب المبشر (بفندر) المسمى ميزان الحق .

٣ — أن تلقى محاضرات ودروس منظمة بمراقبة رجال من المبشرين ممتازين ، وان تصرف العناية إلى المناقشات .

٤ — توسيع نطاق المطبوعات التبشيرية باللغة الأوردية مثل مجلة ترق ، وأن يترجم تاريخ التوراة للدكتور بلاكى ، وأن يتذرع لترويج ذلك بنشر الصحف والكتب الإنجليزية التى يميل إليها المسلمون المتعلمون .

العقبات التى أمام المبشرين فى أوساط بلاد الهند :

١ — إن ما يقلق المبشرين هناك ، ما لاحظوه فى هذه الجهات ، من انتقال النصارى إلى الإسلام .

٢ — إن جمعية (أنجمن إسلام) تعمل دائما بما لها من نشاط واسع ، على حمل عدد كبير من الهندوس والمسيحيين على اعتناق الإسلام ، وقد أثمر نشاطها الثمرة التى أرادتها .

تعليق :

علق الشيخ رحمة الله الهندى بن خليل الرحمى ، مؤلف كتاب إظهار الحق فى مقدمة كتابه (إظهار الحق) الذى ألفه ردا على المبشر (بفندر) صاحب كتاب (ميزان الحق) فقال : إن الدولة الإنجليزية لما تسلطت على بلاد الهند تسلطا قويا ظهرت دعوة التبشير بالنصرانية فى البلاد ، فألفوا الرسائل والكتب فى رد أهل الإسلام ، وقسموها فى الأمصار بين العوام ، وشرعوا فى الوعظ فى الأسواق ، ومجامع الناس والشوارع العامة ، وكان عوام أهل الإسلام إلى مدة ، متنفرين عن استماع وعظهم ، ومطالعة رسائلهم ، فلم يلتفت أحد من علماء الهند إلى رد تلك الرسائل ، لكن تطرق الوهن بعد مدة فى بعض العوام ، وحصل خوف من زلة إقدام بعض الجهال الذين هم كالأنعام .

فعند ذلك توجه بعض علماء أهل الإسلام إلى ردهم ، لذلك قام بالاطلاع على

تقريراتهم وتحريراتهم ورسائلهم الكثيرة ، وتراسل مع القسيس بفندر الذى كان يدعى البراعة فى الطعن على الملة الإسلامية حتى تمكن من مناظرته فى مجلس عام ، ليتضح للخاص والعام حق الاتضاح أن عدم توجه علماء الإسلام للرد على المبشرين ، ليس لعجزهم عن رد رسائل القديسين ، كما هو الزعم عند المبشرين المسيحيين ، لذلك تقررت المناظرة فى المسائل الخمس ، التى هى أمهات المسائل المتنازع عليها بين المسيحيين والمسلمين ، وهى على هذا الترتيب : التحريف ، والنسخ ، والتثليث ، وحقيقة القرآن ، ونبوة محمد ﷺ .

وقد انعقد المجلس العام فى شهر رجب سنة (١٢٧٠) هجرية للمناظرة فى بلدة أكبر أباد ، فظهرت الغلبة للإمام رحمة الله بن خليل الرحمى الهندى ، فى مسألتى النسخ والتحريف اللتين كانتا من أدق المسائل وأقدمها فى زعم القسيس بفندر ، كما تدل عليه عبارته فى كتاب الأشكال ، فلما رأى هزيمته أمام الإمام رحمة الله فى مجلس المناظرة العام ، آثر التخلف عن حضور المناظرة فى باقى المسائل الثلاث الباقية ، وهى التثليث ، وحقيقة القرآن ، ونبوة محمد ﷺ .

رابعا : فصل عن التبشير فى تركيا :

وضع القسيس (أنا توليكوس) تقريرا لخص فيه أعمال التبشير فى تركيا ، جاء فيه أن الكتاب المقدس راجت نسخ ترجمته التركية رواجا حسنا وهى تباع بالألوف .

خامسا : فصل عن التبشير فى بلاد الشام :

تضمن الوسائل التى يستخدمها المبشرون لتذليل الصعوبات التى تعترضهم فى تلك البلاد الإسلامية وهذه الوسائل هى :

١ — توزيع نسخ الكتاب المقدس .

٢ — التبشير عن طريق الطب ، إذ إن ذلك فى مأمن من أولى الأمر ، والمسلمون بأنفسهم يلجأون إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم .

٣ — الأعمال التهذيبية ، كالمدارس والكليات التى تقبل أبناء المسلمين الذين يزداد عددهم يوما عن يوم .

٤ — الأعمال النسائية ، مثل زيارة المبشرات لمنازل المسلمين ، وإلقائهن المحاضرات الدينية عليهم .

٥ — توزيع الكتب والمؤلفات التبشيرية .

سادسا : فصل عن التبشير فى الجزيرة العربية :

١ — أورد المؤلف بهذا الفصل ما قاله (وليم جيفورد بالكراف) : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه ، ثم يستطرد المؤلف وهو القسيس (زويمر) فيقول : وقد أدرك أهمية هذه الفكرة القسيس (يانغ) صاحب التقرير عن التبشير فى جزيرة العرب ، فجعلها نصب عينيه فى كل الأعمال ثم أورد القسيس زويمر فى كتابه (مهد الإسلام) شيئا عن إرساليات التبشير فقال :

٢ — إن إرسالية التبشير العربية ، هى الابنة الممتازة لكنيسة الاصلاح الأمريكية ، ولها فروع أربعة ، أقدمها عهدا جمعية تبشير الكنيسة ، التى تفرع منها فرع آخر فى فارس سنة (١٨٨٢) .

٣ — ثم استقلت هذه الجمعية بأعمالها باسم جمعية التبشير العربية التركية ، وكان لها فى بغداد أربع إرساليات وفى الموصل واحدة .

٤ — ثم ذهب (إيون كيث فالكونر) — وهو الابن الثالث للكونت كنتور — إلى عدن سنة ١٨٨٥ فاسس هناك إرسالية تبشير اسكوتلندية سماها باسمه ، وهى مؤلفه من طبيبين مبشرين .

٥ — ثم تبع ذلك (إرسالية التبشير العربية) التى أسست سنة (١٨٨٩) وهى تابعة لكنيسة الإصلاح الأمريكية ، فانتشرت فى البصرة والبحرين ، وكان لها فى البحرين خمسة مبشرين ، منهم اثنان من الأطباء واثنتان من النساء ، ولها فى البصرة أربعة مبشرين أحدهم طبيب .

٦ — وفى الشيخ عثمان جاءت إليها إرسالية تبشير دانمركية ، كان سلطان المكلا قد طردها من بلاده .

٧ — كما كانت توجد فى الجزيرة العربية إرسالية أخرى تمدها جمعياتها بالمال والإعانات .

٨ — رغم جسامة المرتبات التى كان يحصل عليها المبشرون وموظفو تلك

الإرساليات ، فإن مما يخفف من أمر تلك النفقات أن المبشرين فى بلاد العرب اتخذوا لهم مراكز تمهد لهم سبيل التوغل فى داخل الجزيرة العربية ، وكل الإرساليات هناك على اختلاف نزعاتها وأشكالها ومعاهدها الطبية التهذيبية والأدبية ترمى إلى غاية واحدة ، والمرضى يشدون رحالهم من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين : فى الموصل وبغداد والبصرة والبحرين والشيخ عثمان وعدن .

٩ — عندما يجوب أطباءُ الإرساليات البلاد العربية ، ينثرون فى نفوس الناس بذورا ، يمكن للمبشرين وبائعى كتبهم أن يحصدوها بعد ذلك .

١٠ — إن التعليم المدرسى والتربية الأخلاقية اللذين يعنى بهما المبشرون قد أسفرا عن نتائج كبيرة ، وأثمرا ثمرات نافعة فى الأطفال والمراهقين على السواءِ .

١١ — إن المحاضرات التى يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين ، أثناءَ تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحرى والخرائط الإحصائية ، عن ارتقاءِ ممالك النصرانية وانحطاط بلاد الإسلام كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستنتى .

١٢ — مما يدعو إلى الاغتباط عن أعمال المبشرين فى جزيرة العرب أنه فى كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والنشرات والمجلات .

سابعا : فصل عن التبشير فى إيران :

وضع القسيس « سن كلبر تيسدال » تقريرا عن التبشير فى إيران تضمن نقدا للكنائس الشرقية والكاثوليكية ، مما أدى إلى اعتقاد المسلمين فيهم بأن النصارى مشركون بالله ، ويعبدون آلهة ثلاثة ، وادعى أن البروتستنتية خالية من الوثنية ، مما يفسح المجال أمام إرساليات التبشير الأخيرة للنفاذ بين المسلمين والتبشير بسهولة بينهم ، وهذا ما حدث فى بلاد إيران فاصبحت مفتوحة أمام المبشرين البروتستنت أكثر من غيرها ، خصوصا بعد نشر الإرساليات الطبية التبشيرية التى تفرض على أعداءِ النصرانية بأنها مصدر عمل صالح ، وذكر ذلك القسيس الوسائل التى يتذرع بها المبشرون هناك طبقا للآتى :

١ — الارساليات الطبية المكونة من الرجال والنساءِ .

٢ – رحلات المبشرين فى الأوساط الإسلامية .
٣ – النفاذ إلى مجتمع النساءِ لخدمتهن ، خصوصا فى أعمال الطب والتمريض .
٤ – الاحتكاك بالمسلمين ومحاولة الحصول على مودتهم .
٥ – فتح مكاتب للتبشير بين المسلمين .
٦ – الدخول مع المسلمين فى المناقشات الدينية دون جرح لعواطفهم
٧ – العمل على نشر التوارة والإنجيل وسائر الكتب التبشيرية باللغة الفارسية .

وعلق القسيس زويمر على صاحب التقرير السابق ، إغفاله ذكر المدارس ومالها من تأثير ، إذ المدارس التبشيرية هى أحسن ما يعُوِّل عليه المبشرون فى الاحتكاك بالمسلمين ، بل هى من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين .

ثامنا : فصل عن التبشير فى سومطرا :

وضع القسيس الألمانى سيمون تقريرا عن هذه البلاد تضمن الآتى :

١ – إن جمعية المبشرين الألمانية تأسست سنة ١٨٧١ ، وقد نصَّرت ١٠٠ شخص منذ تأسيسها إلى وقت كتابة ذلك التقرير .
٢ – الجمعية التبشير الهولندية فقط أن تبشر على الساحل الشرق من الجزيرة .
٣ – والذين نصَّرتهم لجنة تبشير جاوا وصلوا إلى ٥٠٠ شخص منذ سنة ١٨٦٠ .
٤ – أما جمعية بنش الألمانية ، فتتفوق على اللجنة السابقة ، لأن لها ٣٦ فرعا ، أربعة منها لتبشير المسلمين بوجه خاص ، وقد تمكنت من تنصير ٦٠٠٠ مسلم ، ولديها ١١٥٠ مسلما فى دور التجربة .
٥ – ولجمعية التبشير بالتوراة ، وهى إنجليزية مندوبون فى مناطق أعمال الإرساليات الألمانية مهمتهم بيع الكتاب المقدس .
٦ – إن دولة هولندة (التى كانت تحتل أندونيسيا عموما) تشد من أزر المبشرين وتساعد مدارسهم وإرسالياتهم الطبية .
٧ – إن المبشرين أدخلوا معهم أناسا من الوطنيين للقيام بأعمال القسس والتبشير هذبوهم فى مدارس خاصة بهم .
٨ – كانت إرساليات التبشير بمعاونة الحكومة المستعمرة ، تقوم بتحصيل ضريبة من المسيحين وضعتها على الأرز للاستعانة بها على التبشير ، وتستوفيها نقدا

أو من عين المال .
٩ – يتقرب المبشرون الألمان إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية ، وهذه الإرساليات الطبية مثل الشوك فى أجسام زعماء المسلمين .

تاسعا : فصل عن التبشير فى جاوة :

ورد فى هذا الفصل بيان عن عدد المبشرين فى جزيرة جاوة والذين بلغ غددهم (٤٦) مبشرا يعاونهم (١٥٠) مساعدا – (٢٠) منهم *اختصوا بتبشير المسلمين دون غيرهم .

مؤتمر أدنبرة التبشيرى :

عندما انعقد ذلك المؤتمر فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ ، اختصت المسائل الإسلامية بحظ كبير منه ، حتى إن لجنتين من أهم لجانه تفرغت للبحث فى أمر الإسلام والمسلمين .

وقد نشرت أعمال المؤتمر ومناقشاته فى عشرة مجلدات ، تتلخص فيما أوردته عنه مجلة الشرق المسيحى الألمانية ، ومجلة العالم الإسلامى الإنجليزية ، ومجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التى تصدر فى سويسرا .

أولا : مجلة الشرق المسيحى الألمانية :

١ – تصدرها جمعية التبشير الشرقية الألمانية منذ سنة ١٩١٠ ، ولهذه الجمعية إرساليات كثيرة وملاجىء للأيتام فى تركيا وإيران وبلغاريا وروسيا ، وقد ذكرت تلك المجلة أن أعمال التبشير ، قد ازدادت أهمية بين المسلمين البلغار ، بنشاط وإقدام القسيس (افتارنيان) الذى كان اسمه من قبل أمير زاده محمد شكرى ، فتنصّر ورسم قسيسا وأنه لذلك قد أزف الوقت الذى يزعزع فيه الإسلام من أركانه ، وينشر الإنجيل بين الشعوب الإسلامية ، وأنه سيعهد بتحرير القسم الإسلامى فيها إلى القسيس المتنصر أفيتارنيان .
٢ – حرر فون ليبسيوس الألمانى فى تلك المجلة مقالا عنوانه (دخول التبشير العام فى طور جديد) ذكر فيه ارتقاءَ أعمال المبشرين .
٣ – كان مؤتمر التبشير المشار إليه يضم ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الإنجليز ، ٥٠٥ من الأمريكان ، كان من بينهم المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق ، وإن اعتذر برسالة وجهها للمؤتمر عن عدم تمكنه

من الحضور ، لكن حضر ضمن أعضاء المؤتمر المستر براين خطيب أمريكا المشهور ، والذى كان مرشحا لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة عدة مرات . وكان من بين المندوبين ٩٨ يتكلمون اللغة الألمانية ، أما باق الأعضاء فمن جنسيات مختلفة ، ويتكلمون لغات مختلفة .

٤ — تنفق إرساليات التبشير الانجليزية والأيرلندية فى السنة ٢,١٠٠,٠٠٠ جنيه فى سبيل التبشير ، وجمعيات التبشير الامريكية والكندية تنفق ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، وجمعيات التبشير الاسترالية والأفريقية والآسيوية والهندية تنفق ٣٠٠,٠٠٠ جنيه ، وما تنفقه جمعيات التبشير البروتستنتية فى باق القارة الأوروبية ٧٠٠,٠٠٠ جنيه .

٥ — يبلغ عدد المبشرين البروتستانت ٩٨,٣٨٨ مبشرا تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥,٥٠٠,٠٠٠ شخص ، ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعى التوراة الذين يشتركون فى التبشير والوعظ ٩٢,٩١٣ ، وعدد المعاهد الكنسية ١٦,٦٧١ وعدد إرساليات التبشير العامة (٣,٤٧٨ ، والتى تليهم فى الدرجة الثانية ٣٢٠٩ .

٦ — يبلغ عدد التلاميذ الذين هم تحت إشراف المبشرين ١,٠١٩,٦٠٢ وتوجد تحت سلطة المبشرين ٨١ مدرسة جامعة أو كلية وفيها ٧٩٩١ طالبة ولديهم ٤٨٩ مدرسة دينية ، لتعليم لاهوت النصرانية وتخريج المعلمين والمبشرين ، وفيها ١٢,٥٤٣ طالبا وهى تهيمن أيضا على ١٥٩٤ مدرسة ثانوية فيها ١٥٥,٤٢٠ طالبا ، ٢٨,٩٠١ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ١,١٦٥,٢١٢ ، وعدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ مدرسة من روضة الأطفال وفيها ٤,٧٠٣ أطفال .

٧ — أسست إرساليات التبشير ٥٥٠ مستشفى و ١٠٢٤ صيدلية لها ٤,٠٠٠,٠٠٠ من الزبائن ، ولديها ١١١ مجلسا طبيا و ٩٢ ملجأ لمرضى البهاق (البرص) من الأطفال ، وتدير ٢٥ مدرسة للعميان و ٢١ معهدا للاسعاف و ١٠٣ مستوصفات لمدمنى الأفيون و ١٥ ملجأ للأرامل .

هذا كله سنة ١٩٠٢ ومن يقارن بينه وبين ما وصل إليه هذا الإحصاء سنة

١٩١١ يرى أن هناك ازديادا باهرا طبقا للآتى :

١ — إن عدد إرساليات التبشير العامة بلغ ٣٨٣٨ ، والتى تليها فى الدرجة الثانية يبلغ ٥٣٤٧١٩ .

٢ — عدد الأساتذة والتلاميذ بلغ ١,٤١٢,٠٤٤ ، أما الجامعات فصار عددها ٨٨ ، وفيها ٨٦٢٨ طالبا ، ولدى المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين وفيها ١٢,٧١٦ طالبا ، وعدد المدارس العليا ١٧١٤ فيها ١٦٦,٤٤٧ طالبا ، وعندهم ١٨٥ ,٣٠ مدرسة ابتدائية عدد تلاميذها ١,٢٩٠,٣٥٧ .

٣ — أما المستشفيات ، فصار عددها ٧٥٦ مستشفى ، وزادت الصيدليات إلى ١٠٧٧ والمجالس الطبية فيها ٨٣٠ طالبا و ٩٨ معهدا للممرضات فيها ٦٦٣ طالبة .

٤ — يشرف على إرساليات التبشير ٥٢٠ جمعية عمومية عاملة و ٤٣٣ جمعية لإعانتها و ٢٢ جمعية مختلفة أيضا .

وترد على صناديق إرساليات التبشير أموال ضخمة طبقا للآتى :

١ — يدخل فى صناديق جمعيات التبشير البريطانية والايرلندية ٦٠,٥٠٠,٠٠٠ فرنك فى السنة .

٢ — ويدخل فى صناديق جمعيات التبشير الأمريكية والكندية ٦٧,٠٠٠,٠٠٠ فرنك .

٣ — ويدخل فى صناديق جمعيات التبشير الإسترالية والأفريقية ٧,٢٠٠,٠٠٠ فرنك .

٤ — ويدخل فى صناديق إرساليات التبشير الأخرى ٢٠,١٠٠,٠٠٠

ثانيا : ماورد عن مؤتمر التبشير فى مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية :

كان يتولى إدراة هذه المجلة القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير فى البحرين ، وقد ذكر فى عددها الأول :

١ — الاهتمام بأمر الإسلام استدعى إصدار هذه المجلة ، فصدرت فى شهر فبراير

لسنة ١٩١١ لتختص بالأبحاث الإسلامية ودراسة أفكار المسلمين .

٢ – إذا كانت الكنائس المسيحية ، تحاول الاحتكاك بالإسلام ، فيجب عليها قبل كل شيء أن تعرف مركز الإسلام .

٣ – إن مؤتمر القاهرة التبشيرى ظهرت فيه أهمية تغيير المسلمين . شعر زعماء التبشير بأن الكنيسة لابد لها من سبر غور المسألة الإسلامية وأن تحسن العناية في تربية المبشرين لتتوقع خيرًا من أعمالهم .

٤ – إن مهمة تنصير المسلمين تقضى بإيجاد ميدان مشترك للعمل تتضافر فيه الأفكار والأبحاث والمجهودات .

٥ – إن نظرة واحدة إلى مؤتمر أدنبرة التبشيرى ، تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذى كان للمسائل الإسلامية في أعمال المؤتمر ، فقد كان مؤلفا من ثمان لجان ، اختصت الأولى والرابعة بالتوسع في بحث المسألة الإسلامية ، وفى إيجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين واختيار خطة الهجوم ، والغارة ، خصوصا وأن إحصائية المؤتمر تتضمن زيادة في عدد المسلمين فى جزائر ماليزيا وأندونيسيا والهند بقدر ما ينقص من عدد الوثنيين .

إن المبشرين فى الهند ، وقفوا جزءا من خمسة أجزاءٍ من أعمالهم على تبشير المسلمين فيها .

٦ – وجا في تقرير إحدى اللجنتين ، أن المبشرين تعذر عليهم الخوض فى حال الإسلام فى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى ، ولكن أعضاء المؤتمر يؤملون زوال الصعوبات التى تقف فى طريق إرساليات التبشير .

٧ – وعن أفريقيا ورد بتقرير اللجنة عن حالة الإسلام هناك ، أن الموقف فيها صار حرجا بالنسبة للمبشرين ، لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع فى الشمال ، ومعاقله التى فى السواحل إلى الجنوب والعرب الأفريقى ، والمبشرون كانوا قد أخطئوا فى تقديراتهم السابقة ، لأنه تبين لهم فيما بعد ، أن بعض البلاد التى كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة ، هى إما إسلامية محضة وإما ، أنها على أهبة الدخول فى الإسلام .

٨ – تناولت اللجنة البحث فى الأمور الاجتماعية الإسلامية ، التى هى تمهيد لتنصر المسلمين فحضت جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم ، الذى

يشرف المبشرون عليه وحصرت قراراتها بجملتين اثنتين:

(ا) إن ترق الإسلام يتهدد إفريقيا الوسطى ، ويجعل الكنيسة تفكر فى مسألة دقيقة ، وهى : « هل ينبغى أن تكون القارة السوداء إسلامية أونصرانية »

(ب) إن المسائل الإسلامية فى الشرق خاصة ، أصبح لها مكان هام فى أعمال المبشرين، عقب الانقلابات التى حدثت فى الدولة العثمانية وإيران ، مع أنه لم تكن تهم الكنيسة قبل هذه الانقلابات إلا قليلا ، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم إرساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الإسلامية .

٩ – أما اللجنةالثانية فهى خاصة بتمهيد معدات العمل لرجال الاكليروس فى إرساليات التبشير ، وقد أشارت إلى الإسلام عرضا ، لأن كل المجهودات التى يبذلها المبشرون لتأسيس كنائس يقوم بأكثر أعمالها أو بعضها المسلمون المتنصرون فشلت تماما إلا فى جزء من بلاد الهند الغربية .

١٠ – واللجنة الثالثة خاضت فى الأعمال المدرسية التى يقوم بها المبشرون ، واكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت :إنه اتفقت آراء السفراء الكبرى فى استامبول على أن معاهد التعليم الثانية التى أسسها الأوروبيون ، كان لها تأثيرعلى حل المسألة الشرقية ، يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوروبا كلها .

١١ – وقد كان للإسلام الحظ الوافر من مذكرات اللجنة الرابعة ، لأنها كانت مكلفة بالبحث فى علاقات الأنجيل بالديانات الخارجة عن النصرانية ، والوسائل التى تظهر النصرانية على تلك الديانات المزاحمة لها

١٢ – أما اللجنة الخامسة ، فتداولت فى كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم ، وألحت بضرورة تعليم المبشرين فى البلاد الإسلامية دين الإسلام ولغة تلك البلاد .

١٣ – وخاضت لجان أخيرة فى توحيد أعمال المبشرين ، لأن المهمة الصعبة التى يقوم بها المبشرون فى البلاد الإسلامية ، لم تظهر فى غاية الصعوبة إلا لأنه يعسر على جمعية تبشير واحدة أن تقوم بها ، ولكن وحدة العمل تكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة فى إكمال مهمة التبشير .

١٤ – أشار القسيس أبسوس إلى عدم وجود مؤلفات مسيحية تختص بالمسلمين ثم تبعه القسيس صموئيل زويمر فشرح أبعاد المعضلة الإسلامية عامة .

ثالثا : ما ورد بمجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التى تصدر فى مدينة بال بسويسرا :

١ — حرر الأستاذ شالاثار (صاحب التقرير المقدم إلى مؤتمر أدنبرة ، عن ضرورة إعداد الوسائل لتوحيد أعمال التبشير) مقالا ذكر فيه أن مسألة توحيد أعمال التبشير من أهم ماينبغى للإرساليات على وجه العموم ، والعناية به مادامت النصرانية لم تنتشر إلا بين ثلث بنى الإنسان ، وبالتالى أمام النصرانية عمل جسيم يجب أن تتمه ، إذ من المحقق أن الأمم المتجانسة التى لاتدين بالنصرانية قد أخذت تتدرج إلى الأعمال التاريخية ، وسيقوم بينها وبين المنتمين إلى الإنجيل نزاع ومعارك شديدة ، ولذلك ينبغى للمبشرين أن يتضافروا ويتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون .

وهنا استشهد بحوادث اشترك المبشرون فى الفليبين وكوريا بالعمل لها ، فأدت إلى النجاح ، لذلك فإن لجنة مؤتمر أدنبرة أقرت بضرورة تعاون الإرساليات المختلفة ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية كما فعل المبشرون فى بعض جهات اليابان والصين والهند الوسطى ، وقد ختمت لجنة مؤتمر أدنبرة قرارها فى هذا الشأن بالشعار الآتى :

إن الميل إلى تثبيت كنيسة المسيح المنشقة يزداد يوما بعد يوم ، ويقصد بذلك الكنيسة البروتستانية لأنها انشقت على الكاثوليكية .

٢ — أشار الأستاذ شالاثار إلى أهمية اللجنة ، التى كان اللورد بلفور رئيس شرف لها ، لأنها كانت تبحث فى المستندات التى وردت لها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها ، لأن مما يساعد المبشرين خروج الحكومات عن حيادها الدينى إلى الميل نحو المبشرين ، كما كانت تعمل حكومة هولندا ، فقد رتبت لهم مرتبات مالية للصرف على المستشفيات والملاجىء والمدارس التبشيرية .

والمعضلة الإسلامية فى أفريقيا أعقد منها فى آسيا ، وكل ما يستطيعه المبشر هناك هو منافسة المسلمين فى التقرب من قلوب الوثنيين ، والاستيلاء عليهم ليس إلا .

٣ — إن الخضوع للتقاليد والعادات الإسلامية يضر بالمسيحيين كما هى الحال

فى مصر والسودان ، باعتبار يوم الجمعة راحة ، والاشتغال فى يوم الأحد ، كما أن ذلك يعرقل أعمال المبشرين ، ويدعو إلى سخطهم .

٤ — ولما انتهت اللجنة من أعمالها ، قال اللورد بلفور رئيس الشرف : إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين ، فأجيب اللورد إلى اقتراحه ، وتألفت لجنة مختلطة ولجنة لمواصلة العمل .

نتائج مؤتمر أدنبرة التبشيرى :

١ — على أثر انفضاض المؤتمر ، تألفت لجنة لمواصلة الأعمال ، التى بدأ بها وعمل لها فروعاً كثيرة ، بعضها للإحصائيات ، وبعضها للنشر وللمطبوعات ، والبعض للتربية والتعليم ، والأخرى لحسم المشاكل بين المبشرين ، وواحدة لدراسة علاقات المبشرين بالحكومات وخصص أحد الفروع لدراسة العقبات التى تحول دون نشر التبشير بين المسلمين .

٢ — وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية : إن أول ماينفذ من قرارات مؤتمر أدنبرة إنشاء مدرسة تبشير مشتركة بين كل الفرق البروتستانتية وتكون خاصة بتعليم مبشرى الأقطار الإسلامية ، وهذه المدرسة احتفل بافتتاحها فى خريف سنة (١٩١١) ، وتقبل النساء والرجال ، وتعلم فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتاريخ الأوضاع الإسلامية والأمور الاجتماعية التى اقتبسها المبشرون من بلاد الإسلام ، ويكون لتلك المدرسة مكتبة تحوى أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالإسلام .

عاشرا : المؤتمر الاستعمارى الألمانى :

(ا) حرر (م . ك . ا كستفلد) مقالة مهمة فى مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التى تصدر فى بال بسويسرا عن موقف إرساليات التبشير فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى بوصفه مختصا بالفرع المختص بالإسلام فى ذلك المؤتمر وسكرتير

الجمعية التبشيرية فى برلين تضمنت الآتى :

١ ــ إن المؤتمر بحث فى الشئون الصناعية والاقتصادية .

٢ ــ إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية فى سياسة الاستعمار الألمانى .

(ب) الاعتماد على ماذكره (شنكال) رئيس غرفة التجارة فى همبورج من أن نمو ثروة الاستعمار ، يتوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة ، لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية ، وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين وإحلاله محله اللائق به .

٤ ــ بحث أعضاء المؤتمر الاستعمارى فى شئون تتعلق بالتبشير ، وبذلك كفوا المبشرين مئونة الكلام عن أعمالها ، ولم يشترك المبشرون فى المداولات إلا عندما بدأ المؤتمر يبحث عن أعمال الفرع الرابع الخاص بالمسألة الإسلامية ، فأفاض المبشرون وتوسعوا فى أقوالهم ، حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعمارى تحول إلى مؤتمر تبشيرى ، لكنهم اختلفوا مع أعضاء المؤتمر فى وجهة النظر إلى الإسلام .

٥ ــ فمثلا م . ن . ا كستفلد ، لفت الأنظار إلى الخطر الإسلامى فى المستعمرات الألمانية بأفريقيا ، واقترح على المؤتمر الاهتمام من كل الوجوه بعاقبة الحال الحاضرة ، سواء فى ذلك الوجهة التبشيرية والوجهة الفكرية ووجهة السلطة السياسية .

٦ ــ وقام بعده المستر (باكر) العضو فى مجلس المستعمرات فى همبورج ، فتكلم بتوسع عن الحكومة وإرساليات التبشير ، وعلاقاتها بالسياسة الإسلامية ، وقال : إن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية .

٧ ــ قرر المؤتمر الاستعمارى من ضمن قراراته ، أن ارتقاء الإسلام ، يتهدد نمو المستعمرات الألمانية بخطر عظيم ، ولذلك فإن المؤتمر الاستعمارى ، ينصح الحكومة بزيادة الإشراف ومراقبة حركة الارتقاء هذه ، ويشير على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام ، وأن يزيلوا العراقيل

عن طريق انتشار النصرانية ، وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير ، التى تثبت مبادىء المدنية النصرانية خصوصا بخدماتهم التهذيبية والطبية ، وأن الخطر الإسلامى يدعو المدنية إلى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية ، لاتخاذ التدابير من غير تسويف ، فى كل الأرجاء التى لم يصل إليها الإسلام بعد .

(ج) أما مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية ، فقد حررت بعض جمل من خطاب المستر باكر الذى ألقاه فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى ، والتى تدور على قوله : « إن السياسة التى ينبغى الجرى عليها فى معاملة المسلمين تحتم على الحكومة وضع خطة جديدة فى مجرى سياستها ، لأن الإسلام وإن يكن عدوا للنصرانية ، إلا أن له قابلية الارتقاء والتقدم فى سبيل المدنية الحاضرة ، وإن من ضمن كلامه أيضا ما اختتم به خطابه بقوله : إنه يجب مقاومة انتشار الإسلام فى المستعمرات على قدر الإمكان ، وليس هناك غير واسطة واحدة توصل إلى هذه الغاية ، هى إنشاء مراكز ثابتة الأركان لدين النصرانية كما تفعل إرساليات التبشير .

حادى عشر : مؤتمر لكنو المنعقد من (٢١ يناير إلى ٢٩ يناير سنة ١٩١١) :

١ ــ عقد مبشرو البلاد الإسلامية من البروتستانت ، ذلك المؤتمر الثانى للتبشير فى مدينة لكنو بالهند ، أى بعد ٥ سنوات من انعقاد مؤتمر القاهرة التبشيرى ، وذلك للبحث فى معرفة موقف الإسلام وقوته ، وأسباب تلك القوة .

٢ ــ كانت جدران قاعة المؤتمر المنعقد فى مدرسة إيزابلا ثوربون البروتستانتية للبنات مزدانة بالخرائط والإحصائيات ، التى يتبين منها مبلغ اتساع نطاق الإسلام وارتقائه ، وتقدمه المطرد ، كما كان على المنضدة أمام رئيس المؤتمر كرة أرضية مجسمة وعليها هلال وصليب .

٣ ــ اشترك فى المؤتمر ١٦٨ مندوبا و ١١٣ مدعوا من ٢٤ جمعية تبشيرية ، نزلوا كلهم ضيوفا على مبشرى مدينة لكنو ، وكان من ضمنهم القسيس زويمر السالفة الإشارة إليه .

٤ ــ منع الصحفيون الإنجليز والأمريكان ، من حضور جلسات المؤتمر ، ولم ترسل

لهم مذكرات إلا بعد أن عنيت لجنة القرارات بتنقيحها .

٥ ــ إن مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية ، أشارت إلى بعض الأسباب التى دعت إلى عقد المؤتمر فقالت : إن الإسلام تمخض فى السنوات الخمس التى أعقبت مؤتمر القاهرة بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير ، ففيها حدث الانقلاب الفارسى والانقلاب فى تركيا ، وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة ، وعنى المسلمون بمد السكة الحجازية ، وتأسست فى الهند مجالس إدارية وشورية ، وكان فى قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين ، ودخلت الأمور الإسلامية فى قالب يلائم العصر ، ازداد به التمسك بمبادىء الإسلام ، والمسلمون يحاولون إحياء دينهم فى الصين ، وانتشر الإسلام فى أفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية ، كل هذه الحوادث ، تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد ، وتنظر فى أمر التبشير والمبشرين بكل عناية ، وعلى ذلك فشمل مؤتمر لكنو الأمور الآتية :

(ا) دراسة الحالة الحاضرة .
(ب) استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائى .
(ج) إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

٦ ــ أما برنامج المؤتمر فيتلخص فى الأمور الآتية :

(ا) النظر فى حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها . والربط بينها وبين تنصير المسلمين .
(ب) النظر فى الانقلابات السياسية فى العالم الإسلامى وعلاقاتها بالإسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .
(ج) موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين .
(د) وسائل منع اتساع نطاق الإسلام بين الشعوب الوثنية .
(هـ) تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين ، والمزايا النفسية اللازمة لذلك والبحث فى الدروس المعدة لها ودروس التبشير ، وتأليف الكتب للمبشرين والقراء من المسلمين .
(و) حركات الإصلاح الدينى والاجتماعى .
(ز) الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات .
(ح) الأعمال النسائية .

(ط) القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات التبشيرية .

٧ ــ تضمنت خطبة القسيس زويمر الذى افتتح المؤتمر المسائل الإسلامية التى هى محل المناقشة بين أعضاء المؤتمر طبقا للآتى :

(ا) الإحصاءات الإسلامية .
حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها .
(جـ) ماطرأ على الإسلام بعد مؤتمر القاهرة من الانقلابات السياسية والفكرية .
(د) الخطة التى اتبعتها كنائس أوروبا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة التبشيرى .

(ا) عن الإحصاءات الإسلامية :

١ ــ تكلم القسيس زويمر عن عدد المسلمين ، فى العالم وقت انعقاد مؤتمر لكنو بالهند سنة (١٩١١) ثم أشار إلى ما جاء فى كتاب « الهند وحياتها » ، الذى ألفه الدكتور جونس ، بأن عدد المسلمين ازداد فى السنوات العشر الأخيرة ٩١ فى الألف ، مع أن زيادة عدد السكان هى بنسبة ١٩ للألف . واستطرد إلى جاوة وعن زيادة المسلمين بها . وفى روسيا وتركيا ومصر وإيران ، والمغرب والجزائر وبلاد العرب وأفغانستان .

٢ ــ وقال القسيس زويمر إنه لاتخلو بلدة فى آسيا وأفريقيا من مكان للمسلمين ، وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم فى بعض تلك البلاد إلا أن هذه الأقلية فى نمو مستمر ، وفى بلاد التبت المقفلة أبوابها فى وجوه الأجانب ٢٠ ألف مسلم ، والإسلام منتشر فى الكونغو وبلاد الكاب ، وهو فى نماء سريع فى بلاد الحبشة ، حتى ليدور على الألسنة منذ انعقاد مؤتمر القاهرة أن كثيرا من القبائل النصرانية التى فى شمال الحبشة دخلت فى الإسلام .

٣ ــ إن المبشرين المنتشرين على ضفتى النيل وفى شرق أفريقيا وبلاد النيجر والكونغو يرفعون أصواتهم بالشكوى من انتشار الإسلام بسرعة فى هذه الأنحاء .

٤ — وبالرغم من أن انتشاره فى جزر الهند الشرقية (أندونيسيا حاليا) قد تعرقل بفضل مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والألمانية ، إلا أنه يتوطد ويثبت هناك ، لأن المسلمين أخذوا يستعيضون عن التقاليد الحشوية والعادات الخرافية ، بعقائد ثابتة قوية ، ففى سومطرة اكتسح الإسلام الأرجاء الوثنية ، وفى جزيرة جاوة ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الإسلامية وكثرة طبع القرآن هناك ، وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين ، ومازال الوطنيون يدخلون فى شبكة الإسلام إلى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجا .

٥ — وفى أمريكا عدد كبير من المسلمين لايستهان به خصوصا فى أمريكا الوسطى .

٦ — توجد بلاد إسلامية لم يتسن للمبشرين دخولها وقتئذ ، مثل التركستان الروسية وبخارى وأفغانستان وبنى غازى وتونس ووهران وريف المغرب ، وفى وادى مولويا وصحراء المغرب الأقصى يتنافس الإسلام والنصرانية فى الاستيلاء على الوثنية .

٧ — إن إقليم **نجد والحجاز** وحضرموت لا يوجد فيه مبشر واحد . كما أن جزائر ماليزيا خالية من إرساليات التبشير .

(ب) الانقلابات السياسية :

١ — بعد أن تكلم القسيس زويمر فى خطبته عن الإحصاءات الإسلامية ، انتقل إلى القسم الثانى وهو خاص بالانقلابات السياسية التى حدثت فى العالم الإسلامى ، **فشكر الله أن أصبح السلطان عبد الحميد سجينا .**

٢ — **أبدى قلقه من نزعة المصريين الجديدة ،** التى كانت تنادى بأن مصر للمصريين ، لأن هذه النزعة الجديدة فى نظره إسلامية محضة ، باعتبار أن المصريين مسلمون .

٣ — إن هناك بوادر من التطور أخذت تظهر فى جزائر ماليزيا فقد أسست هناك بعض الجمعيات لإحداث شىء من الرقى الاجتماعى بينهم ، والتربية والاستقلال الإدارى ، وقد فسروا القرآن بلغتهم .

٤ — وفى طوكيو عاصمة اليابان جريدة باللغة الصينية ، اسمها النهضة الإسلامية ،

منتشرة فى كل بلاد الصين ، وجريدة إنجليزية ، يصدرها مسلم مصرى وآخر هندى ، وفى ذلك دلالة قوية على نمو حركة الجامعة الإسلامية .

٥ — **إن احتلال الجيش الفرنسى لمقاطعة واداى يعتبر حدثا هاما ، لأن واداى كانت من أهم المراكز الأفريقية فى انتشار الإسلام ، فأصبح هذا المركز الهام تحت سلطة أوروبية تحتفظ به مهما كلفها ذلك ، مما يقلل من نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية ، بحيث لا يستطيعون الوقوف فى طريق التقدم الاستعمارى والتجارى .**

٦ — تبين أيضا انتقال السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الإسلامية ، إلى يد إنجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا ، وأن عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية ، سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول ، وبذلك تزداد مسئولية الملوك أو الرؤساء النصارى فى مهمة تنصير العالم الإسلامى .

(ج) الانقلابات الاجتماعية والفكرية :

١ — ذكر القسيس زويمر بالنسبة لهذا القسم أن الإسلام قد بدأ ينتبه لحقيقة موقفه ، ويشعر بحاجته إلى تلافى الخطر ، لذلك **فهو يتمخض الآن عن ثلاث نهضات إصلاحية ، هى إصلاح الطرق الصوفية — وتقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية والأخيرة إفراغ العقائد والتقاليد القديمة فى قالب معقول .**

٢ — إن نهضة الشعوب الإسلامية وتنبهها لمعرفة مركزها يدعوانها إلى التساؤل عن طريقة التوفيق بين المبادىء الدستورية والمبادىء الدينية ، ثم أشار إلى كتاب حقيقة الإسلام الذى ألفه الأستاذ محمد بدر خريج جامعة أدنبرة ، فقال : إن هذا الكتاب يدل على أن دعاة الإصلاح فى الإسلام يريدون أن يرموا من السفينة شحناتها لينقذوها من الغرق .

٣ — ثم أشار إلى أقوال الدكتور (و . شيد) من أن الإسلام يختك فى مصر بالمدنية العصرية ومبادئها ، ثم تساءل القسيس زويمر عن نتيجة ذلك ، وعما إذا كان فى الإمكان مجاراة تيار الحضارة ، مع الاحتفاظ بمبادىء القرآن وتعاليمه ، وعما إذا كان التقدم الاجتماعى والعقلى المجرد من كل صيغة دينية ، كافيا لسد الحاجة الروحية فى

الملايين من المسلمين ، إذ إن العالم الإسلامى رجاله ونساؤه ، ينهض من كبوته ، ليتسلق معالم المجد الذى أبقاه على الأرض يسوع المسيح ابن الله .

خطة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة التبشيرى :

١ ـــ ذكر القسيس زويمر فى هذا القسم ما اتبعته كنائس أوروبا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة فقال : إن مؤتمر القاهرة كان فاتحة عصر جديد لتنصير المسلمين ، لأنه كشف عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية ، كما حث الكتاب على وصف أعمال المبشرين فى بلاد الإسلام ، **واستجد بالكنائس واستصرخها فخاضت الصحف والمجلات فى المسائل الإسلامية ، خصوصا حركة الجامعة الإسلامية ومكانها من الحالة السياسية ، كما صنفت الكتب الكثيرة التى يراد بها التعريف ببلاد الإسلام وحالات المسلمين .**

٢ ـــ من هذه الكتب التى ألفت للتعريف ببلاد الإسلام (كتاب الشرق الأدنى والشرق الأقصى) طبع منه ٤٥,٠٠٠ نسخة ، وكتاب (أخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الإسلامى) طبع منهما ٥٠,٠٠٠ نسخة ، وأكثر هذه الكتب نشر بلغات متعددة ، ثم ألف المبشرون عشرين كتابا بحثوا فيها ما أسموه (بالمعضلة الإسلامية من كل أوجهها) وكلها مبنية على بحث واستقصاء ، ومن هذه الكتب كتاب (دين الإسلام) ، وكتاب (الشعائر الدينية الإسلامية) ، (والإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى) وكتاب (صليبيو القرن العشرين) ، وكتاب (مصر والحروب الصليبية) ، وكتاب : (الإسلام فى الصين) .

٣ ـــ وختم القسيس زويمر خطابه ، بقوله : إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الإسلامى الكبير المخاصم لنا ، وإلى البلاد التى يتهددها بحكمه ، يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هى رمز لعنصر من المعضلة الكبرى ، وإفريقيا الوسطى مكان الخطر الإسلامى ـــ الإسلام يحتاج قبل كل شىء إلى المسيح ، فهو الذى يرسل أشعة النور إلى بلاده ـــ هكذا يقول ذلك القسيس .

أعمال اللجان بعد مؤتمر القاهرة :

رأى القائمون بمؤتمر لكنو ، أن تقرأ قبل الخوض فى موضوعات هذا المؤتمر ،

تقارير اللجان التى تألفت بعد مؤتمر القاهرة طبقا للآتى :

١ ـــ قرأ الدكتور ويتبرخت الألمانى تقريرا عن حالة المؤلفات التى صنفت لتبشير المسلمين ، وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جدا ، باللغات الثلاث التى هى أهم اللغات الإسلامية وهى اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الأوردية ، ومنها ماتكرر طبعه مثل مؤلفات القسيس بغمندر ، ومنها ما هو مكتوب بأسلوب عصرى ، صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الإسلامى ، يحتك بالعلوم العصرية .

٢ ـــ وبالتأليف باللغات الثلاث العربية والفارسية والأوردية ، أمكن للمبشرين الاحتكاك بثلثى المسلمين فى العالم .

٣ ـــ ثم تليت تقارير أخرى فى بيان ضرورة نشر مؤلفات ، فى المناظرات الدينية التاريخية ، التى تكون مكتوبة بأسلوب عصرى على ما تقتضيه حالة المسلمين فى مصر والهند وسائر أقطار المشرق الإسلامى ، ثم أشاروا إلى مساعدة صحف أوروبا الكبرى للمبشرين ، واهتمامها بالأمور الإسلامية ، بدليل إنشاء مجلة العالم الإسلامى الفرنسية ومجلة العالم الإسلامى الألمانية ، ودائرة المعارف الإسلامية التى نشرت بلغات ثلاث .

المسائل التى كانت محل البحث فى مؤتمر « لكنو » هى :

(ا) الجامعة الإسلامية :

افتتح المؤتمر بحث مسائله التى انعقد من أجلها ، بمسألة الجامعة الإسلامية ، فقدم عنها ثلاثة تقارير هى كالآتى :

١ - تقرير القسيس نلسن :

ذكر ذلك القسيس فى تقريره أن حركة الجامعة الاسلامية قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ، ولكن لا تزال فى الأهالى روح التضامن والملازمة للإسلام ، وهذه الحركة سائدة بين المسلمين فى سورية إلى درجة تدعو إلى التبصر فى علاقاتها بزعماء الفكرة الإسلامية ، وأن **الألوف من مسلمى الأرض يتجهون فى كل سنة إلى مكة ويشربون ماءَ زمزم بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط** الخارجى ، **وبالرغم من وجود** الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوة

حقيقية إلى حدٍّ يستدعى اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية ، بالرغم من كل ذلك فإنه يستحيل أن يكون بين المسلمين عنصر حقيقى فى استطاعته أن يجمع السنيين والشيعة معا ، ويضم الأتراك والفرس والهنود إلى العرب ليكافحوا ويدافعوا يدا واحدة على اتفاق وثقة متبادلة ، وختم القسيس المذكور تقريره بقوله : **اسمحوا لى بأن أقول إنه يظهر أن اجتماع المسلمين بجامعة إسلامية ، بكل المعنى الذى يدل عليه هذا اللفظ ، هو أمر وهمى لا ثمرة فيه غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ، ويعتريهم المزاج العصبى .**

٢ – تقرير القسيس ورتز عن الجامعة الإسلامية فى إفريقيا :

ذكر ذلك القسيس أن **مدينة مكة والطرق الصوفية** ، هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفور من كل شيء غير إسلامى ، وهذا مايسمونه بالجامعة الإسلامية ، إلا أنه فى أفريقيا توجد عوامل أخرى توجب تقدم الإسلام هى الأحوال المساعدة التى يتصف بها الإسلام ومركز بلاده الجغرافى وارتقاءُ الشعوب الإسلامية فى السودان عن الشعوب الزنجية ، ثم إن للحالة الاقتصادية والتجارة الداخلية تأثيرا كبيرا على بلاد النيجر وبانوبه ومقاطعة تشاد ، لأن التجارة فى هذه البلاد كلها بيد القبائل الإسلامية ، لأن التجار الأوروبيين يهتمون ببلاد السواحل ، غير أن نقل المحصولات الخاصة بتجارتهم يستخدمون فيه ألوفا من الوطنيين ، الذين يختك بهم التجار ، ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث فى هؤلاءِ الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامى ، وحضارته الراقية ، والاستعمار فى أفريقيا يخدم الإسلام دون أن يشعر المستعمرون بذلك ، لأنه بعد تقرير الأمن وتمهيد السبل ترى المسلمين يتعاملون مع الوطنيين الوثنيين ثم يصبحون بعد أصدقاء لهم ويتفاهمون معهم بكل حرية ومحبة ، وبذلك يزيد نفوذ المسلمين ، ونعى ذلك القسيس على حكام المستعمرات من الأوروبيين تفضيلهم استخدام المسلمين وتوظيفهم واستشهد فى ذلك بقول (اكسنفلد) مفتش إرساليات التبشير ، إذ صرح فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى بأن الإسلام يتتبع خطوات الأوربيين حيثما ذهبوا ، فلا توجد نقطة عسكرية أوربية **بدون جنود مسلمين ، ولا توجد مصلحة استعمارية أوروبية بدون مستخدمين مسلمين ،** ولا تكاد توجد مزرعة خالية من متجر لمسلم يبيع فيه ويشترى ، **ثم استطرد القسيس ورتز مشيرا إلى تقدم الإسلام فى إفريقيا ، فتساءَل عما إذا كان هناك عمل مرتب**

ويد عاملة على نشر هذا الدين ، أم أنه ينتشر بطبعه ، ثم أجاب على نفسه بأن من الصعب حل هذه المسألة ، لأن القوات العملية التى ينتشر بها الإسلام ، تختلف عن قوات المبشرين بالنصرانية ، ولكن يظهر أن النظام فى نشر دين الإسلام أقل مما نتصوره لأن المسلمين يجهل بعضهم أخبار البعض الآخر وأحواله ، وإذا اتفق أنهم اشتركوا فى أمر فإنما يكون ذلك بدون قصد .

ومن الخطأ أن يقال إن الجامع الأزهر يرسل ألوف المبشرين إلى أفريقيا الوثنية ، للدعوة إلى الإسلام ، لأن الأزهر ليس معهد تبشير ، كما هى الحال فى مدارس اللاهوت فى أوروبا ، ويقال مثل ذلك عن المدارس الإسلامية ، فى شمال إفريقيا ، لكن يستثنى من ذلك المدارس التى يديرها مشايخ الطرق فى الصحارى وفى السودان ، ثم ختم تقريره بقوله : إن هناك قرائن كثيرة ، تدل على وجود يد تعمل بقصد لنشر الإسلام ، فإنه يظهر فى ربوع إفريقيا من وقت إلى آخر مبشرون متنقلون ، ولا ريب أن بين ناشرى القرآن الكثيرين فى أفريقيا أناسا هم أعضاء سريون ينتسبون إلى طرق دينية .

٣ – تقرير القسيس سيمون عن حركة الجامعة الإسلامية فى جزر ماليزيا ،

ذكر ذلك القسيس فى تقريره ، أن البعض يزعم أن الإسلام فى الهند تنقصه الحياة ، وأنه غير مرتب وأنه صبيانى ، ولكن يجب علينا **ألا ننسى ارتباط الإسلام فى الهند بمكة ، وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزيا (أندونسيا – وماليزيا) إلى الاعتقاد بأنهم جزءٌ من مجموع كبير ، وبأن سلطة النصارى عليهم شيء مؤقت ،** وختم تقريره بأن العامل الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية ، هو الحقد الذى **يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوروبيين ، ولكن المحبة التى تبعثها إرساليات التبشير** النصرانية ، ستضعف هذه الرابطة ، وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى .

(ب) مشايخ الطرق :

تلا القسيس كانون سل ، المبشر فى مدراس بالهند تقريرا عن مشايخ الطرق والدراويش، فى إفريقيا ، وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات الفرنسية ،

فقال : إن الإسلام أخذ ينتشر فى الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا إسلاميا أما عباسة وشرق إفريقيا البريطانية ، فلا أثر فيها للدراويش المبشرين ، وليس عظيما نجاح الاسلام فى شمال نيجيريا ، لكن بعد توطيد الأمن العام ، وتمهيد السبل لسياحة المسلمين ، انتشر الإسلام هناك على يد التجار الهوسيين .

ويوجد فى نيجيريا مسلمون تربوا تربية إسلامية ، وهم على مذهب الإمام مالك بن أنس ، وقد درسوا تفسير البيضاوى وصحيح البخارى ، وكُتب الامام الغزالى ، والإسلام فى جنوب هذه البلاد انتشر انتشارا سريعا بفضل الهوسيين أيضا ، وقسم من هؤلاء ينتمى إلى الطريقة التيجانية ، وهذه الطريقة قد اتسع نطاقها حتى جهة البيدة ، ومشايخهم الذين شدوا من أزر أمير سكرتو عند قتاله للانجليز ، والظواهر تدل على أن الإسلام يتقدم بانتظام فى سيراليون ، وينتشر أيضا فى نياسالند ، بفضل عرب زنجبار والبلاد الممتدة من بحيرة بناسا حتى الشاطىء الأفريقى الشرق ، لا تكاد تخلو من مسجد ورجل يدعو إلى الإسلام ، لكن روديسيا لا يكاد الإسلام يكون له أثر فيها .

(ج) دواعى انتشار الإسلام :

ذكر المستر ميتهف بعض دواعى انتشار الإسلام مثل انقطاع تجارة الرقيق ، وانتشار الأمن ونفوذ المسلمين الاقتصادى والتجارى ، **وأن بين الأوروبى والأفريقى هوة تفرق بينهما ، لكن المسلمين تمكنوا من إزالة الجفوة ، التى كانت بينهم وبين الزنوج ، بأن جعلوا لهم إلى هؤلاء سلما** ، فأهالى الساحل الشرق فى أفريقيا ، والهوسيون فى الغرب ، هم الآلة العاملة لانتشار مدنية الإسلام فى إفريقيا بلغة البلاد التى هى مزيج من العربية والبربرية والأجنبية (لانفوفرانكا) ، وهذه اللغة هى واسطة التعارف فى الأقاليم الكبرى ، ثم أخذ يطعن فى الإسلام ، فزعم أن الإسلام إن كان فى مستوى أرقى من مستوى الشعوب الأفريقية فذلك لأن هؤلاء يعيشون على طريقة القرون القديمة ، ومدنية الإسلام هى مدنية القرون المتوسطة ، ولذلك يسهل على الأفريقيين اقتباسها وأما مدنية أوروبا فهى أرقى من المدنية الأفريقية ومن المدنية الإسلامية ، ولذلك يصعب على الأفريقى الوصول إليها والاحتكاك بها . والأوروبيون لم يثبتوا فى نشر مدنيتهم بين الأفريقيين إلا فى الجنوب ، ولذلك أصبح القيام بهذا

الأمر واجبا على المبشرين ، كيما تعلو النصرانية على الإسلام ، وصار ينبغى لإرساليات التبشير أن تحتك بالمسلمين ، **وتتسلح بالمعدات الكافية لقتالهم ، ولا تخشى** شيئا كما كانت تفعل حتى الآن ، وينبغى لهم ألا تكون أعمالهم لاهوتية فقط ، بل يطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل الأعمال التى يتفوق فيها الأوروبى على الشرق .

(د) الانقلابات السياسية :

تقدمت إلى مؤتمر « لكنو » عدة تقارير عن الانقلابات السياسية فى بلاد الإسلام طبقا للآتى :

١ – تقرير المستراسترورد كروفورد :

تضمن الموقف الذى يجب أن تكون فيه إرساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الإسلام الجديدة ، بعد الانقلابات العثمانية ، إذ إن اشتراك الرعايا المسلمين فى تركيا فى الحقوق الوطنية ، يدفع بهم إلى الانصراف عن فكرة الاستعانة بالدول الأجنبية ، فضلا عن حدوث تقرب محسوس بين المسلمين والنصارى ، وظهور الإسلام فى قالب جديد يجعل واجب المبشرين مزدوجا ، بأن يظهروا المجاملة لقوة الإسلام الجديدة ، **ثم الاحتكاك بالعالم الإسلامى وتحويل هويته إلى الإنجيل ، الذى هو أرقى وحى أهداه** الشرق للغرب ، ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن على عقائدهم ، لأننا إذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة فى إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحرب الصليبية ، فإنما نكون قد خنا المسيح الفاتح .

وأما الواجب الثانى فهو الصبر الذى يعرفه من عرف حكمة الإنجيل فى النمو التدريجى ، وهى تبتدىء بالعشب ثم بالسنبلة ، ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب ، لأن النمو الأخلاق طويل العهد ، خصوصا إذا كان متعلقا بأمة .

وذكر ضمن تقريره أيضا : **أن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون ، شطرا من المدنية النصرانية ، ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، ومادامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل ، فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها .**

وقد علقت مجلة العالم الإسلامى الفرنسية على هذا القول ، بأنها تكتفى فى بيان

أهمية ما يقوله المستراستورد كروفورد ، بتذكير القراء بالجملة التى اتخذتها جمعية الطلاب المتطوعين للتبشير شعارا لها منذ سنة ١٩٠٥ ، وهى « **تنصير العالم قاطبة فى هذا العصر** » فإن فى هذا الشعار ما يدل على أنَّ أقوال المبشرين تتدرج نحو الحقيقة .

٢ – تقرير القسيس يانغ عن جزيرة العرب :

وقد تضمن أن اليمن وسائر بلاد العرب يوجد فيها متعصبون للإسلام ، وأن فى المساواة بين المسلمين والنصارى ضررا وقضاءً على الإسلام ، ولكن علماءَ الإسلام المتنورين ، يقررون أن الشريعة الإسلامية تأمر بالمساواة ، فى الحقوق السياسية والشرعية ، ولكن حقيقة رأيهم الشخصى ، أنهم يرون أن المسيحى لا يساوى نصف المسلم لكن إنشاء الطرق والسكك الحديدية وتشييد المدارس ، يفتح أبوابا ونوافذ بين المسلمين والنصرانية ، وختم تقريره بقوله : إنه قد أزف **الوقت لارتقاء العالم ، وسيدخل الإسلام فى شكل جديد من الحياة والعقيدة ، ولكن هذا الإسلام الجديد سيتزوى فى النهاية ويتلاشى بالنصرانية** .

٣ – تقرير القسيس تروبريدج :

تضمن بيانا عن أعمال المبشرين ، ليسهل الوقوف على موقف السلطة الإسلامية طبقا للآتى :

(ا) أن فى استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير ، لتسامح السلطات التركية مع المبشرين الأجانب ، طبقا لنظام الامتيازات الأجنبية ، أما المتنصرون الوطنيون فكانوا عرضة للسجن والطرد .

(ب) كان طبع كتب التبشير مباحا فى تركيا منذ مدة طويلة ، إلا أن مهمة بائعى الكتب المتنقلين كانت محفوفة بأنواع الصعوبات ، لكن بعد إباحة النشر التى أعقبت الانقلاب التركى ، أصبح بيع الكتب التبشيرية ميسرا فبيع فى السنة السابقة على المؤتمر ٩٠٠٠ نسخة من هذه الكتب ، ولا توجد صعوبات تقوم فى سبيل بيع الكتب المختصة بانتشار التبشير .

(ج) لكن يجب على المؤلفين عدم الخوض فى غمار المناقشات الدينية .

(د) أن الأعمال الطبية والخيرية متنشرة جدا فى بلاد التركية ، حتى إن القسيس بيت التابع لارسالية التبشير فى استانبول ، عين رئيسا للجنة الإسعاف الخيرية التى أسست عقب مذابح أدنه – والتبشير الدينى جار بلا صعوبة فى المستشفيات التى يدير أعمالها المبشرون .

(هـ) نعى على الحكومة التركية حظرها على النساء المسلمات التردد على المجتمعات العمومية وحظرها لأعمال التبشير الإنجيلى فى الشوارع والأسواق .

٤ – تقرير القسيس إسلستين :

الذى كان يعمل فى إيران لمدة ٢٣ سنة ، كشف ذلك القسيس فى تقريره عن حالة السياسة والحركة الاجتماعية ، المتسمة بالحرية الدينية ، هناك ، **مما زاد فى عدد البابيين والبهائيين والمنحرفين عن عقيدة الإسلام ، مما يحط بقدر الإسلام هناك** .

وينصح المبشرين المسيحيين ببذل قصارى جهدهم ، لإقناع النفوس واستجلاب القلوب ، ويحذرهم من السب فى الإسلام ، أو ذكر انحطاطه من ناحية أصوله ، لأن ذلك ينفر أبناءَ إيران من تربية أولادهم فى مدارس المبشرين ، مع علمهم بأنهم يتعلمون الإنجيل ، لكن هذه الرغبة لا تدل على أنهم يودون اعتناق المسيحية .

٥ – تقرير الكولونيل (ج ونجت) عن أعمال التبشير فى أقاليم آسيا الوسطى :

(ا) ورد بهذا التقرير أنه تعذر على المبشرين الانجليز اجتياز الحدود الهندية ، للدخول فى آسيا الوسطى ، بسبب بعض العراقيل وإن كانت إرساليات تبشيرية سبقت الانجليز فى ذلك ، مثل إرسالية التبشير الأسيوجية البروتستانتية ، التى هبطت مدينة كاشغر وبركند ، وأسست إرسالية تبشير مجرية فى (له) وعرج مبشرون كاثوليك بلجيكيون إلى خولجه ، وتوجد إرسالية تبشير طبية دانمركية فى هوتى مروان ، تقوم بها النساء ، ووظيفتها التبشير بين النساء المسلمات ، وهى على أهبة الهبوط إلى كابل ، والمبشرات اللائى يعملن فى مهنة الطب ، يلقين مزيدا من الحفاوة ، لأن المسلمين لا يتنبهون لأعمال النساء المبشرات .

(ب) أظهر فى تقريره قلقا من موقف حكومة أفغانستان ، لأن حاكم تلك البلاد ، ألقى على مسامع الطلبة المسلمين فى مدرسة لاهور خطابا قال فيه : « لا خوف عليكم من أن الدين المسيحى ، أو أى دين آخر ينتزع منكم العقيدة الإسلامية ، عقب اقتباسكم التعليم الغربى ، ولكن ينبغى لكم أن تقوموا قبل كل شىء ، باقتباس العقيدة الإسلامية ، وأنتم فى مقتبل عمركم » .

٦ – تقرير المس (جنى فون ماير) المبشرة فى مدينة تفليس بروسيا :

(ا) تضمن ذكر المساعى التى يبذلها المبشر الأرثوذكسى (إيلمنسكى) لتنصير المسلمين فى روسيا ، وجعلهم روسىّ النزعة ، رغم مالاقاه من المقاومة فى هذا السبيل ، نظرا لشدة نفوذ التتار ، وسيطرتهم على الشعوب غير النصرانية فى روسيا .

(ب) إنه مهما كانت درجة مساعى المبشرين الأرثوذكس ، فإنها لا تعادل ما يبذله المبشرون البروتستانت فى هذا السبيل ، رغم أن جمعية التبشير الأرثوذكسية ، أسست منذ سنة ١٨٧٠ م ، وهى منتشرة فى أكثر أقاليم روسيا وسيبريا ، ومركزها مدينة موسكو ، وتدير اعمال ٧٠٠ مدرسة ، وأفلحت فى تنصير بعض المسلمين .

(ج) وأخذ التبشير المسيحى ، ينتشر فى بعض الولايات الروسية ، بواسطة جمعية التبشير المخالفة للإسلام ، وهى جمعية أرثوذكسية ، فضلا عن وجود جمعيات تبشير أرثوذكسية كثيرة ، تتضافر جهودها فى أمر الدعوة للدين المسيحى ، وتأسيس المدارس لتعليم أولاد التتار والنشوفاش .

(د) أبدت المبشرة سالفة الذكر ضيقها من تعصب التتار وتمسكهم بالدين الإسلامى وانقلاب الحال بهم إلى أن يكونوا هم مبشرين نشطين للإسلام ، وبذلك كانت أعمال التبشير المسيحى بينهم عقيمة ، ولطالما استفحل النزاع بين التتار وبين المبشرين المسيحيين .

(هـ) وأهم إرساليات التبشير التى تسعى لتنصير المسلمين فى كل أقطار روسيا هى إرسالية التبشير الأسيوجية ، التى لها مركز عام فى تفليس ، وفروع للتبشير فى بخارى وأورنبرغ وسمرقند وكاشغر ، وتكتفى بتوزيع الكتب التبشيرية باللغتين الفارسية والتركية ، وتقوم جمعية التوراة الانجليزية والاجنبية بنشر نسخ الإنجيل فى كل بلاد

روسيا ، ولها مركزان : واحد لروسيا الأوروبية والتركستان ، والمركز الآخر فى سيبريا ، وهما يقومان بنشر الإنجيل بعشر لغات إسلامية .

٧ – تقرير القسيس ويلسون عن أحوال الهند :

تضمن ذلك التقرير أنه ليس هناك داع للاستغراب أو الفشل ، إذا أظهر المسلمون فى الهند عدم إقبال على اقتباس المبادىء الانجيلية لأن الاهتمام بالحياة العقلية والسياسية الحديثة ، يدعو إلى تعليق الآمال بالنهضة التى ترفع شأن الإسلام ، فلا يبقى ثمة مجال فى نفوس المسلمين للتفكير فى أمور أخرى ، ولا شك أن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الإسلامية ، وأن انتشار التعليم ، يساعد على تبديد الخرافات القديمة بخصوص المسيحية .

٨ – تقرير القسيس (جون تكل) :

ذكر فى تقريره أن الإسلام أخذ فى الازدياد ، وإن تكن المجهودات التى تبذل فى سبيل انتشاره ، تكاد تكون فى حكم العدم ، وقال : إن الوقوف على أسباب الإسلام يمهد للحصول على وسائل وقف تياره ، ولذلك قد عدد لأعضاء المؤتمر بعض اقتراحات تتعلق بالاحتياطات ، التى يجدر بالمبشرين اتخاذها ، وأهمها ضرورة زيادة القوات التبشيرية المختصة .

٩ – تقرير القسيس ويبرخت :

ذكر بتقريره أنه يجدر بالمبشرين المسيحيين ، إظهار مزيد من اللياقة ، عندما يحتكون بالمسلمين المتنورين ، خصوصا بعد ظهور حسنات المدنية المسيحية وأعمالها الخيرية ، مما يوجب الاحترام للدين المسيحى ، ثم قال : إذا كان المسلم يبالغ فى سؤدد ومجد وحضارة بغداد وقرطبة ، ورقى أفكار علماء العرب ، فلا حرج أن نذكر نحن أيضا ، أن هذا التاريخ صحائف مجيدة ، لكن الإسلام بقى دين الشعوب التى هى دوننا فى المدنية وإن نجح أنصاره أكثر من المسيحيين بإزالة الحواجز التى تفصل بين الأجناس .

١٠ – تقرير المستر (رودس) التابع لجمعية التبشير فى الصين الداخلية :

وهى الجمعية الوحيدة التى أمكنها التوغل فى الصين ، وقد ذكر فى تقريره الآتى :

(ا) أن توطيد العلاقات بين المبشرين المسيحيين والمسلمين فى الصين ، يعتبر نجاحا لحركة التبشير المسيحى .

(ب) أنه رغم العمل الدائب من جانب المبشرين المسيحيين على نشر الإنجيل ، لم يحدث أن وصل إلى مسمعه أن عالما مسلما اعتنق الدين المسيحى .

(ج) هناك عقبات يلقاها المبشرون النصارى فى الصين ، وأهمها ضرورة وجود لغتين للمبشرين ، إحداهما اللغة الصينية التى تستعمل مع العامة ، والأخرى اللغة العربية لأجل العلماء والطلبة ، كما أن من الصعوبات المثيرة هناك ، تعذر وجود كلمة فى اللغة الصينية للدلالة على اسم الجلالة .

(د) أبدى قلقه من توجه علماء الإسلام إلى الصين من بلاد الهند وجزيرة العرب وتركيا ، لأجل توطيد أركان الإسلام ، مما يقتضى أعضاء المؤتمر تعزيز عدد المبشرين الملمين باللغة العربية .

(هـ) ضرورة إرسال نساء مبشرات للقيام بالتبشير الطبى وسط النساء الصينيات ، كما طالب المؤتمر بتأسيس إرساليات طبية مسيحية ومستشفيات .

١١ - تقرير المبشر وطسون :

ذكر ذلك المبشر أن الواجب الضرورى ، يقضى على المبشرين بالاهتمام بأمر البلاد الوثنية ، التى يتهددها الإسلام .

(هـ) الجلسة النهائية للمؤتمر :

بعد أن ألقى رئيس المؤتمر خطابا ، يشير فيه إلى انفضاض المؤتمر وزعت على رقاع مكتوب على أحد وجهيها تذكار مؤتمر لكنو سنة ١٩١١ ، وعلى الوجه الآخر العبارة الآتية : « اللهم يامن يسجد له العالم الإسلامى خمس مرات فى اليوم بخشوع ، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح » .

ثم انتهى إلى القرارات الآتية :

١ - يعقد المؤتمر مرة أخرى فى القاهرة سنة ١٩١٦ ، وإذا طرأت هناك أمور

سياسية ، أو أمور أخرى ، تحول دون اجتماعه فى القاهرة ، فيعقد فى لندن .

٢ - أن مؤتمر لكنو يؤيد مؤتمر إرساليات التبشير الذى عقد سنة ١٩١٠ ، على ضرورة حصر المساعى فى القارة الأفريقية ، دون مساس للمساعى التى تبذل فى باقى البلاد الأخرى .

٣ - ينصح المؤتمر الجمعيات التبشيرية ، أن تتكاثف وتتعاضد ، لكى تؤلف سلسلة قوية من إرساليات التبشير ، تطوف كل قارة إفريقيا ، وتؤسس مراكز قوية فى الأماكن التى هى موطن الخطر ، ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة إلى حيز العقل موضع بحث أهم وأوسع مما كان فى السابق ، سواء من حيث تربة المبشرين ، او حسن اختيارهم ، الامر الذى يحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لاتمام المشروعات التى بدأت مباشرتها .

٤ - ويرى المؤتمر أنه من الضرورى العاجل ، تأسيس مدرسة فى مصر خاصة بالتبشير ، تكون عامة لكل الفرق البروتستانتية ، ويشدد بلزوم التدقيق التام فى انتقاء المبشرين الأكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ، ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص ، وكذا التاريخ الإسلامى ، وأهم المؤلفات التى تتعلق به .

٥ - أعضاء المؤتمر يدعون اللجنة الدائمة ، لأن تدرس بمزيد الدقة أدوار تقدم الإسلام فى أفريقيا ، وجزائر الملايو ، أى الهند الشرقية ، ليكون بحثها أساسا للمناقشات فى المؤتمر المقبل .

٦ - ولما كان تنصير النساء المسلمات مع أولادهن ، يتطلب دخول النساء المسيحيات فى العمل ، لذلك يشير أعضاء المؤتمر على إرساليات التبشير بالتشديد على المبشرين والمبشرات بضرورة الاحتكاك بالرجال عند قيامهم بأعمال التبشير ، وأن توسع الإرساليات نطاق الأعمال التبشيرية ، التى تقوم بها النساء فى أفريقيا بوجه خاص ، وأن تبذل مزيدا من العناية بتربية النساء المبشرات .

٧ - يستنهض المؤتمر همة الكنائس التبشيرية فى الهند ، لإرسال قسم من المبشرين الموجودين لديها ، حتى يشدوا أزر المبشرين فى أفريقيا .

تعليق :

(١) رأينا فيما سبق كيف يزعم المبشرون ، أن أساس مدنيتهم وتقدمهم ، هو المسيحية ، فهل هناك حقيقة ارتباط بين المسيحية وبين ما عليه أوروبا وأمريكا من حضارة ، ونجيب على ذلك بالآتى :

أولا : لا ارتباط بين ما يمكن أن يكون عليه الأوروبيون والأمريكيون من قوة وتقدم مادى ، وبين المسيحية كدين ، فهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أن انسلخوا عن المسيحية ، كما تصورها الكنيسة الغربية ، وإلا بعد أن ألقوا بتعاليم المسيح الأصلية وراء ظهورهم .

ثانيا : يجمع المفكرون والمؤرخون الأوروبيون على أن ظلمات العصور الوسطى ، كانت الكنيسة فيها صاحبة السلطان الرهيب ، بما شنته من حروب دينية في أوروبا وبما ارتكبته من مآثم ثم بواسطة محاكم التفتيش ، التى أحرقت عشرات الألوف من الأحياء ، بدعوى الهرطقة والكفر والإلحاد .

ثالثا : إن أول شعاع من النور ، وصل إلى أوروبا فى ظلمات العصور الوسطى الحالكة جاءها عبر جزيرة صقلية ، وقت خضوعها للحكم الإسلامى ، و من احتكاك الأوروبيين بالمسلمين من خلال الحروب الصليبية ، ومن بلاد الأندلس وقت خضوعها للعرب والمسلمين .

رابعا : ثم قام مارتن لوثر ، بحركة إصلاح دينى سنة ١٧ ميلادية ، ضد الكنيسة الكاثوليكية طبقا للآتى :

١ – أنكر على البابا حق منح الغفران بأى وجه من الوجوه .

٢ – حطم احتكار الكنيسة لقراءة الإنجيل وتفسيره .

٣ – رفض فكرة العشاء الربانى (وهو التناول) فأنكر أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه حقا وصدقا .

٤ – رفض عبادة الصور والتماثيل .

خامسا : ثم قامت ثورات ضخمة ضد الكنيسة ، شملت العقيدة من أساسها

ابتدأت بالثورة الفرنسية ، وانتهت بالثورة الشيوعية ، وأخيرا بسيادة التعاليم المادية والإغراق فيها ، كما هو الشأن فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يحيا الأمريكيون حياة ، هى عكس كل حرف من حروف المسيحية حينما تدعو المسيحية للفقر والزهد ، نرى الأمريكيين يبحثون عن الغنى واللذة ، بل ويحاربون الآمنين بدلا من حب الناس كما تدعو المسيحية ، والتى تدعو لا إلى حب الأقرباء بل إلى حب الأعداء أيضا .

(ب) وهناك مؤتمرات تبشيرية أخرى كثيرة ، عقدت فى أوقات وأمكنة متفرقة ، لا تخرج فى مضمونها وقراراتها عن المؤتمرات السابق الإلماح إليها ، ولا مانع من أن نشير إلى بعض هذه المؤتمرات طبقا للآتى:

١ – مؤتمر القدس التبشيرى عقد سنة (١٩٢٤) .

٢ – مؤتمر القدس التبشيرى وعقد سنة (١٩٣٥) .

٣ – مؤتمر استامبول التبشيرى .

٤ – مؤتمر حلوان بمصر .

٥ – مؤتمر لبنان التبشيرى .

٦ – مؤتمر بغداد التبشيرى .

٧ – مؤتمر قسنطينه التبشيرى فى الجزائر قبل الاستقلال .

٨ – مؤتمر شيكاغوا التبشيرى .

٩ – مؤتمر مدراس التبشيرى فى بلاد الهند وكان ينعقد كل عشر سنوات .

١٠ – مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٢ وهو مؤتمر خطير جدا .

مؤتمر أمريكا سنة ١٩٤٢ خطير جدا :

١ – عقد هذا المؤتمر فى مدينة بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية ، بمعرفة نفر من زعماء اليهود للنظر فى وضع قواعد خطة الحرب التاريخية الدعائية على العرب والإسلام وهى خطة عمل مركبة وكثيرة التفاصيل يُحِسُّ العرب والمسلمون بآثارها

اليوم بعد ثلاثين عاما من خلال تجدد وتصاعد هذه الحرب التاريخية والفكرية التى لا يزال يشنها اليهود بالموازاة لنشاطهم العسكرى ، على وجود الأمة العربية ودينها وملامحها التاريخية .

٢ – حضر هذا المؤتمر – ضمن المشتركين فيه من اليهود – واحد من أخطر زعماء الصهيونية هو بن غوريون .

٣ – سار كل شىء كعادتهم من التخطيط السابق لصفقات المستقبل على مايرام ، وأصبح مسجلا على الورق السرى نظام كامل للعمل والتموين والاستمرار والمتابعة ، فى إطار الأهداف الاستراتيجية العامة .

٤ – والأساليب التى اتفق عليها المؤتمرون اليهود للحرب الهدامة لتاريخ العرب والإسلام ، كانت تساير مراحل العدوان العسكرى على أرضهم ، لكن متوخية الخفاء الدائم فى الظلام والزحام وسكرة الأحلام ، حيث الخطر يتحرك ويزحف ويحاصر ويستهدف .

ولقد ظهرت آثار هذا المؤتمر الخطير فى الآتى :

١ – تعميم إعلامى فى الصحف والكتب لنظريات تمجيد القرامطة والحشاشين وما شابههم تحت حماية الغفلة والصمت ، وكل ذلك بهدف قلب حقائق وأحداث التاريخ الإسلامى رأسا على عقب .

٢ – وأخطر من ذلك تدريس مثل هذه النظريات على مستوى المدارس الثانوية أو الجامعات .

٣ – وأعظم من كل ذلك خطرا ، هو فراغ المكتبة الإسلامية العربية من المجموعة العلمية الواقية من المؤلفات الصحيحة والمبسطة عن حقائق التاريخ الإسلامى ، فى جميع الحقب والعصور ، رغم وجود الكثير من هذه المؤلفات العربية مصرية وسورية وعراقية عن هذه العصور الإسلامية ، كتبها علماء وأفذاذ مؤمنون بدينهم وعروبتهم ، وعصريون وعلميون فى منهجهم وتحقيقاتهم ، إلا أن هذه المؤلفات القيمة النادرة مشتتة فى الوطن العربى ، ومجهولة من جمهور القراء وغالية الثمن .

٤ – يتضافر مع اليهود والصهيونية عناصر من المستشرقين الأوروبيين والأمريكيين تبدو بريئة المظهر وبعيدة عن أن يجمعها خيط سياسى أو مذهبى واحد ،

لكنها تتفق على الزعم بأنها تعيد النظر إلى التاريخ الإسلامى ، وتعمل على تصحيح تفسيره ، من خلال ما اصطلحوا على تسميته بالمنهج العصرى وحيويته ، وتحت شعار البحث العلمى .

٥ – والعجب أن هؤلاء المختلفين فى انتمائهم المذهبى والاجتماعى بين الصهيونيين والماركسية ، أو بين اليمين واليسار ، قد اتفقوا جميعا على هدف واحد هو :

قلب حقائق التاريخ الإسلامى ، وتمزيق ترابطه واتساقه ، وطمس صورته ، وتأويل وقائعه ، بمقاييس اليمين واليسار وبمفاهيم متناقضة عن الصراع الطبقى أو التوازن الطبقى .

٦ – ومع تفاقم الأزمة الثقافية فى الوطن العربى ، واتساع الهوة بين الفكر الدينى المتجمد داخل أسواره – وبين الأفكار المادية والعلمانية والليبرالية المتصاعدة النشاط حول هذه الأسوار ، ثم مع البطء الشديد فى حركة كسر قيود الجهل الهجائى عن عامة الشعب المحروم من المعرفة ووسائلها ، بدأ خطر المدرسة الاستشراقية الماركسية والصهيونية ، فى فهم التاريخ الاسلامى مقلوبا ، ينتشر فى نطاق مثقفين من العرب ، أو من المسلمين يؤمنون بسلامة نتائج هذا المنهج العصرى ، مع استحالتها فى العقل ، ويقومون بتدريس هذه المناهج لشباب الجامعات ، بل وتأليف الكتب عن هذا المنهج نفسه ، لتوسيع نطاق قلب الرؤية التاريخية الإسلامية بين المتعلمين وأنصاف المتعلمين .

٧ – والمستفيد من هذا التنكيس لحقائق التاريخ الإسلامى ، هو العدو الإسرائيلى ، والخاسر هو الشعب العربى ، ذلك لأن هذه الشعوذة المنهجية لعرض التاريخ الإسلامى مقلوبا ، إنما تحدث والشعب العربى صاحب هذا التاريخ فى صراع حضارى ومصيرى ، مع هذا العدو الإسرائيلى ، وعصاباته الصهيونية المتمركزة بالقوة على الأرض العربية .

٨ – نتيجة هذا المنهج العصرى المزعوم يذكرون أن الدولة العربية الأموية ، والدولة العربية العباسية ، هما اليمين البورجوازى ، أو الرأسمالى ، أو الطبقى ، أو الثيوقراطى الدينى ، بينما عبدة البشر من عصابات القرامطة والباطنية الاسماعيلية ، الذين أنكروا الشريعة الإسلامية ، وسخروا من القرآن ، وذبحوا الحجاج ، وخططوا

لاستعمار الوطن العربى بالقهر الاستيطانى ، والتخريب العقائدى ، هم اليسار المبكر ، وثورة الفقراء من الفلاحين ، لإقامة نظام جديد يستوحى عدالة الإسلام .

٩ – يتوطأ على القيام بهذا المنهج وتلك الدراسة مستشرقون ماركسيون ، مثل بندلى جرزى ، ولوتسكى دايفانوف ، ومستشرقون صهيونيون أمثال جولد تسيهر ، وكايتانى ، وبرنارد لويس ، وهم أصابع هرتزل ، وماكس تورد ، وحاييم وايزمان ، وتاحوم سر كولوف ، وهم أصابع بن غوريون[1]،[2] وبعد الحرب العالمية الثانية اتخذت المؤتمرات النصرانية نظاما خاصا بها ، فينعقد مؤتمر للكنائس مرة فى كل ست أو سبع سنوات ، ولا يتخذ مكانا معينا لعقده ، بل ينتقل من دولة إلى أخرى طبقا للآتى :

١ – مؤتمر امستردام عقد سنة ١٩٤٨ بمدينة امستردام بهولندة فى أوروبا .
٢ – مؤتمر إيفا نستون عقد سنة ١٩٥٤ بمدينة إيفا نستون فى أمريكا .
٣ – مؤتمر نيودلهى عقد سنة ١٩٦١ بمدينة نيودلهى فى الهند بآسيا .
٤ – مؤتمر أو فتالا عقد سنة (١٩٦٨) بمدينة أوفتالا بأوروبا .

٥ – أما المؤتمر الخامس ، فقد اتخذت اجراءات عقده فى آسيا بمدينة جاكرتا بدولة أندونيسيا سنة ١٩٧٥ فى تنظيم ضخم ، والخطر فى هذا المؤتمر يكمن فى الأسلوب التبشيرى الجديد ، إذ سيحل حوالى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف مبشرنصرانى فى بيوت المواطنين المسلمين ضيوفا على الشعب الأندونيسى المسلم ، فإذا افترضنا أنه فى كل عائلة خمسة أفراد ، فمعنى ذلك أنهم سيلتقون بعدد خمسة عشر ألف مسلم ، لتشكيك أفكارهم ومفاهيمهم الإسلامية ، كما أن ذلك المؤتمر الكنسى لديه خطة متكاملة لهجوم كاسح على أندونيسيا ، لقلبها من دولة مسلمة إلى دولة نصرانية .

(١) بحث حملة ظالمة على التاريخ الإسلامى لاعادة كتابته بالمفاهيم الشعوبية والماركسية للأستاذ أحمد موسى سالم بمجلة الأزهر (ذو القعدة سنة ١٣٩٢ ديسمبر سنة ١٩٧٢)
(٢) بحث الصهيونية وراء المنهج العصرى الذى يقلب حقائق التاريخ الإسلامى للأستاذ أحمد موسى سالم بمجلة الأزهر (ذو الحجة سنة ١٣٩٢ يناير سنة ١٩٧٣) .

مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين والمعقود فى ولاية كلورادو فى ١٥/ ١٠/ ١٩٧٨

كانت الكنائس البروتستانتية قد عقدت فى مدينة لوزان بفرنسا عام ١٩٧٤ مؤتمرا تحت عنوان مؤتمر لوزان لتنصير العالم ، ومن أهم نتائج ذلك المؤتمر الاتفاق على أن المسلمين يشكلون أكبر مجموعة بشرية يجب أن تتجه جهود التبشير إليها .

فاتفق المجتمعون على اقتراح التحضير لمؤتمر خاص لتنصير المسلمين يعقد فى أمريكا الشمالية وتشرف عليه البعثات البروتستانتية الأمريكية وكان رأس الحربة فى إعداد هذا الاقتراح وتنفيذه عدو الإسلام القسيس المدعو دون ماك كيرى والذى عمل مبشرًا فى باكستان لمدة عشرين عاما .

الإعداد لذلك المؤتمر :

تولى المركز العالمى للأبحاث والتبشير فى كاليفورنيا عبء تقديم التمويل والمكاتب والأشخاص اللازمين للإعداد للمؤتمر والتأكد من تهيئة عوامل النجاح له .

وكان القرار ألا يكون المؤتمر خطابيا أو مؤتمر أبحاث فحسب بل على حد تعبير الوثيقة الخاصة به : « مؤتمرا علميا تنفيذيا يغير سير التاريخ ووجهته » لاعلى غرار المؤتمرات الأخرى التى تجتمع فتناقش وتصدر التوجيهات ثم لا تعدو أن تنفض .

تاريخ ومدة انعقاد المؤتمر :

عقد هذا المؤتمر فى ١٥/ ١٠/ ١٩٧٨ بولاية كلورادو بالولايات المتحدة

الأمريكية واستمر أكثر من أسبوعين وكانت جلساته مغلقة لم يسمح لغير المشتركين بحضور أى جلسة من جلساته والاسم الرسمى للمؤتمر هو : مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين .

استراتيجية المؤتمر :

وضع المؤتمر استراتيجية سرية شاملة ذات أهداف محددة يتم تنفيذها فى أوقات زمنية محددة فى كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى تتضح فى الآتى :

١ – تنصير المسلمين .
٢ – تحريف عقيدة الإسلام .
٣ – تغيير الأنظمة الاجتماعية والسياسية فى بلاد الإسلام .

الميزانية المقترحة لتنفيذ مقترحات المؤتمر :

تم تجميع مبلغ ألف مليون دولار لإنجاح خطة المؤتمر مما يدل على مستوى الجدية التى يتسم بها أولئك المجتمعون فى ذلك المؤتمر .

وصدر عدد من الكتب والنشرات وتم عقد دورات تدريبية وإعداد المبشرين وتأهيلهم لمهمتهم كل بما يتناسب مع المنطقة التى سيكلف بالعمل فيها .

عدد المندوبين الذين حضروا ذلك المؤتمر :

حضر هذا المؤتمر أكثر من ١٥٠ مندوبا من طائفة المسيحيين البروتستانت – يمثلون عدة دول مسيحية وكنائس نصرانية ومن مختلف الاختصاصات والتجارب هدفهم واحد هو تقديم النصرانية إلى ٧٢٠ مليون مسلم .

وفى ذلك ينعى المستر ستانلى مون رئيس ورلد ويزن انترناشيونال على الكنائس إخفاقها وعدم نجاحها مع أن الفرص مواتية لتنصير المسلمين فى العالم ، خاصة أن المسلمين متفرقون ويعانون من عدة مشاكل وأن هناك انفتاحا جديدا بين كثير منهم نحو المسيحية .

ويقترح ضرورة التخلص من الوسائل التقليدية التى تتبعها الكنائس فى تنصير المسلمين .

وأشار إلى مستقبل الكنائس ومهامها الرئيسية وأهمية وجود معهد شامل للتخطيط ومركز للبحوث ، وبهذا قدم المؤتمر للكنيسة نظرة محددة وأملا مشرقا لتنصير المسلمين فى العالم الإسلامى – أما المعهد فقد وقع اختيارهم على معهد صموئيل زويمر فى كاليفورنيا ويديره دون ماك كيرى حاليا .

بيان عن المقالات والبحوث التى عرضت على المؤتمر :

بلغت تلك المقالات والبحوث حوالى أربعين مقالا وبحثا عناوينها الآتية وهى فى معناها تلقى ضوءا على أهداف وتطلعات أعضاء المؤتمر :

١ – الإنجيل والثقافة .
٢ – التبليغ الشامل للإنجيل .
٣ – شهادة تجسيد المسيح إلى قلب المسلم (المتنصر الجديد) المرتد عن الإسلام وثقافته .
٤ – الكنائس التعاونية الديناميكية فى المجتمع الإسلامى .
٥ – صدام القوة فى تحويل المسلم عن دينه .
٦ – الإحاطة والأصالة والتحويل .
٧ – محاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين .
٨ – مقياس إنجيلى للمسلمين .
٩ – تحليل مقاومة واستجابة الشعوب الإسلامية .
١٠ – الصدام النصرانى – الإسلامى وكيف يحل ؟ .
١١ – الدراسات الإسلامية .. حدود وجسور .
١٢ – الإسلام جوع القلب .
١٣ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الغرب .
١٤ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى صحراء أفريقيا .
١٥ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى أفريقيا الشمالية .
١٦ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الشرق الأوسط .

١٧ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى تركيا .
١٨ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى إيران .
١٩ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية .
٢٠ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى جنوب شرق آسيا
٢١ – الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى روسيا والصين .
٢٢ – الوضع الحالى للأدب النصرانى للمسلمين .
٢٣ – الوضع الحالى لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين .
٢٤ – الوضع الحالى لبث الإذاعة للشعوب الإسلامية .
٢٥ – نظرة الإرساليات الفاحصة إلى المسلمين .
٢٦ – بيلوغرافيا مختارة للعاملين النصارى والمسلمين .
٢٧ – الدعوة إلى التجديد الروحى .
٢٨ – تطور الآلات الحديثة واستغلالها لدعم تنصير المسلمين .
٢٩ – مستوى أساليب ومراكز برامج التدريب .
٣٠ – إنشاء شبكة مراكز البحث .
٣١ – أسلوب وقيمة استراتيجيات التخطيط .
٣٢ – شبكة المخيمات التبشيرية فى البلاد الإسلامية .
٣٣ – ضرورة إنشاء مركز عصبى للشمال الأمريكى .
٣٤ – التبشير والمكالمة .
٣٥ – صلات أمريكا الشمالية بإرساليات العالم الثالث .
٣٦ – ضرورة إصدار صحف جديدة حول الإرساليات الموجهة إلى المسلمين .
٣٧ – استخدام الغذاء والصحة كعنصرين فى تنصير المسلمين .
٣٨ – دور الكنائس المحلية فى تنصير العالم الإسلامى .
٣٩ – محاولة الاتصال بالمرأة المسلمة والعائلة المسلمة .
٤٠ – الاتصال بمن لم يبلغهم التبشير ، وقد قدم هذا التقرير إلى لجنة مؤتمر لوزان السابق عقده فى عام ١٩٧٤ .

إحساس أعضاء المؤتمر بمدى إخفاقهم فى الماضى :

عبر أعضاء المؤتمر بأنهم لم ينجحوا فى الماضى بالقدر المطلوب حيث تذاكروا ما

دار فى مؤتمر القاهرة التبشيرى والسابق عقده سنة ١٩٠٦ والذى ترأسه المبشر الأمريكى اليهودى المتنصر صموئيل زويمر ، حيث اشترك فيه أكثر من ستين مندوبا من حوالى ثلاثين إرسالية وكنيسة .

ثم تبعه مؤتمر مماثل فى لكنوء بالهند فى عام ١٩١١ نظرا للتطورات الكبيرة فى العالم الإسلامى فلقد أحس المؤتمرون بضرورة اتخاذ خطوات جديدة لأن ما يعرفونه من معلومات حول الإسلام والمسلمين ضئيل لدرجة لا تكاد تذكر لذلك طلبوا إلى المتنصرين المرتدين عن الإسلام ورؤساء الكنائس الوطنية فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا المشاركة معهم فى كل دراسة وقرار تخطيط وتبادل الآراء والتجارب الناجحة للوصول إلى التطبيق الموفق وأكدوا على أمور متعددة منها :

١) أهمية تقديم النصرانية بالشفافية أمام الناس .
٢) تمركز المحبة فى جميع سلوكهم .
٣) مطالبة الجميع بممارسة النصرانية عمليا .
٤) تشجيع المبشرين على الصبر والمثابرة وتحمل المشاق .
٥) أهمية تقديم معتقد راسخ وتعريف نصرانى مبهج .
٦) استغلال الفرص المتاحة لتنصير المسلمين الآن أكثر من أى وقت مضى .

وفى مؤتمر لوزان عام ١٩٧٤ :

كان التركيز البالغ على تطوير الاستراتيجيات لتنصير العالم لكن التطبيق الفعلى لم يتم كما يجب ، لذا اختاروا عدة أوراق منها :

١) خطة شاملة لإنشاء قاعدة تبشيرية بروما حيث يتم تعميق نصرانية أسبانيا والقيام بحركات وأعمال تبشيرية من أجل إيجاد موطىء قدم فى مناطق أوربية لإعادة تنصيرها .
٢) الاقتناع بضرورة التكيف الثقافى .
٣) إبلاغ الثقافة النصرانية .
٤) تحمل المشاق ونكران الذات والإخلاص فى العمل التبشيرى .
٥) اتخاذ كنيسة بيت المقدس أنموذجا لحل قضايا المتنصرين الجدد الناشئة عن اختلافاتهم الثقافية .
٦) معالجة المعارضة المدنية والمعارضة المذهبية .

ولما عرضت الأوراق للمناقشة وأحس الجميع أهمية وجود المبشرين الأكفاء فى العالم الإسلامى وفى شئون التخطيط تم اختيار عدة موضوعات ضرورية منها :

١) بيان الفلسفة وسياسة وأهداف المهمة آى لماذا أوجد الله مهمتنا الإرسالية وكنيستنا .

٢) بيان المكان الحقيقى ، وبيان الناس الذين طالب الله النصارى بتقديم الدعوة النصرانية إليهم .

٣) تحديد دور المهمة فى شروطها وإمكاناتها – ما جوانب حاجات هؤلاء الناس الذين يريد الله من النصارى آن ينجزوها لهم .
٤) ما يجب أن يكون عليه برنامج وسياق عملهم .
٥) توضيح العقبات التى تعترض سبيل مهمتهم .
٦) القضايا التى يمكن تصورها مقدما والإعداد والاستعداد لها .
٧) بيان وسائل وطرق الاتصال بهؤلاء الناس .
٨) استغلال الوسائل الموجودة والتفكير فيما يحتاج إليه .
٩) التكيف فى العمل .
١٠) استغلال المصادر والثروات التى حبا الله النصارى بها .

مؤتمر سنة ١٩٧٨ التبشيرى ينعت المبشرين ببعض الصفات المذمومة

ذكر ذلك المؤتمر أن التجربة أثبتت أن جميع المبشرين ليسوا عقلاء وشرفاء ومحبين . فبعضهم جنح إلى التمثيل والتقليل من المكانة الأخلاقية والدينية لكل من محمد (ﷺ) والقرآن الكريم . وبعضهم كان يدافع عن الإرساليات النصرانية فى العالم الإسلامى دون نقد صحيح وأدلة حقيقية .

وضع النصارى المنتشرين عبر العالم الإسلامى :

لما عرض موضوع أولئك النصارى على المؤتمر المذكور أعرب أعضاء المؤتمر عن عدم ارتياحهم تجاه وضعهم وقالوا إنهم يتمتعون بحرية محدودة فى ممارسة طقوسهم الدينية وكثير منهم هربوا أو تحولوا إلى مجتمعات تشبه أحياء اليهود (جيتو) لأنهم وجدوا أنه من المتعذر عليهم الحياة كمواطنين مسئولين تجاه قومهم ولم يسمح لهم

أن ينوا أو يحصلوا على المبانى للعبادة الجماعية والتعليم والنشاط الدينى . وهذه الأمور مخالفة للقانون الإسلامى .

وقالوا أيضا : على كل حال فإن هذا التميز في الحقيقة ليس إلا جزءا من القضية المعاصرة الكبرى وهى (أن النصارى والمسلمين يحرمون من حقوقهم الإنسانية فى مختلف أنحاء العالم) كلاهما يشعر بعدم الضمان والاستقرار وكلاهما واقع تحت ضغوط ثقيلة متعددة وكلاهما يحتاج إلى حرية للحفاظ على كرامته الإنسانية لممارسة دينه ونشر عقيدته .

وبما أننا سنجاهد من أجل هذه الحقوق ، ونشجب كل ما يعترض سبيل حريتنا فإنه ليس أمامنا إلا أن نعترف بأننا بقينا غافلين عن واجبنا لدعم جيراننا المسلمين في جهودهم للحصول على حقوقهم الإنسانية .

وهذا لايعنى أننا لن ندرك الأخطار والقضايا التى تعترض سبيل من يطيع سيادة المسيح فى الأراضى الإسلامية ، وحتى هذه الساعة المتأخرة من التاريخ الطويل للعلاقات النصرانية الإسلامية فإن التقارير ليست غريبة أو نادرة عن وقائع التميز والعداوات الجماعية والتشدد ضد الأفراد والمبانى وقهر المظلومين .

إننا ندعو الله أن يحسن زعماء المسلمين من جديد ما أوجب الله عليهم من تطوير العدل والحرية كما ندعو الله أن تقترب الدول الإسلامية لإعلان عالمى حول حقوق الإنسان والحريات الأساسية ، بما فى ذلك حرية الفكر والوعى والديانة والمعتقد للجميع وبدون تميز دينى أو جنسى أو لسانى أو مذهبى .

المرحلة الأخيرة هى مرحلة القرارات والتوصيات :

إن الهدف الرئيسى من عقد هذا المؤتمر هو تنصير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، أفرادا وجماعات وتندرج تحت هذا الهدف موضوعات أخرى منها :

(١) حقوق الإنسان :

جاء فى بيان المؤتمر (نظرا إلى ما انتهكت الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية

والمنظمات الدينية – الإسلامية والنصرانية – حرمة حرية الإنسان بعدة أشكال من الإكراه ، وبخاصة حرمان الناس من حريتهم لتغيير أو لعدم تغيير الديانات فإننا نرى إنشاء مكتب عالمى لحقوق الإنسان من النصارى والمسلمين – ويتسلم هذا المكتب شكاوى من الطرفين ويبحثها ويقدم توصياته للمعالجة إلى الجهات المعنية) .

(٢) مركز المصادر والبحوث :

نظرا للحاجة إلى تطوير الاتصال المتبادل المستمر بين أولئك الذين لهم صلة بتنصير المسلمين فإننا نهدف إلى إنشاء مكتب مركزى للنشر ، ومركز للبحوث فى الولايات المتحدة لاستيعاب مهمة تنصير العالم الإسلامى ؛ وسيدير هذا المركز مبشر خبير ويساعده نخبة من علماء الكنيسة وخبراء مدربون فى شتى ميادين العلم والمعرفة فى الأنثروبولوجيا والثقافة الاسلامية .

ونظرا للحاجة إلى منظمة موسعة للمعلومات حول المسلمين الذين لم يبلغهم التبشير فإننا ننوى أن ينشئ هذا المركز اتحادا للبحوث وذلك لتنسيق القضايا المعينة ، هذا الاتحاد سيتصل بجميع وكالات البحوث الرئيسية العالمية لتطوير العلاقات مع الإرساليات التبشيرية العاملة بين أوساط المسلمين ويقوم بجمع المعلومات من تلك المعاهد التعليمية والبحثية .

كما أن المركز سيقوم بنشر بيان شهرى حول المعلومات والقضايا التى تتعلق بالخدمات المتوافرة لدى الكنائس والإرساليات التبشيرية عبر العالم الإسلامى .

(٣) مهمة التنصير :

والمطلوب الآن ضرورة تنبيه الكنائس جميعا إلى يقظة جديدة حول الإسلام والاهتمام بتعليم الثقافة الإسلامية ومن خلال للعلومات الإسلامية يمكن القيام بمهمة التنصير وبخاصة فى القنوات الأولية من الصدام النصرانى .

(٤) نماذج من وسائل الاتصال :

نظرا لأهمية إيصال النصرانية إلى المسلمين هذه الأيام فإننا ننوى أن يقوم مركز البحث المذكور بتطوير نشاطات البحث المكثفة بين أجزاء العالم الاسلامى

الاستراتيجية ، وتطوير الطرق والمواد المناسبة فى هذا العمل .

(٥) زرع الكنائس وشئون المتنصرين :

نظرا لأن تنصير العالم الإسلامى بالجملة يعتمد على حيوية روحية وحب عميق للكنائس الوطنية بين أوساطه فإننا ننوى القيام بزرع الكنائس .

وهذا الأمر سيرفع المشكلات التى يجدها المتنصرون (المرتدون عن الإسلام) فى إيجاد وطن كنسى يرحب بهم ويتلقون فيه تعاليم دينهم .

(٦) بحث لاهوتى :

وبما أن هناك اتفاقا بين النصارى والمسلمين فى بعض الأصول إلا أنهما يختلفان فى نواح أخرى مما يقتضى إنشاء فريق للدراسة يقوم ببيان وكشف القضايا اللاهوتية التى لها صلة وثيقة بإبلاغ الإنجيل إلى المسلمين ويقوم هذا الفريق بإحضار دراسة مقارنة للغات والمصطلحات الإسلامية – النصرانية .

(٧) المسلمون فى أمريكا الشمالية :

نظرا لوجود المسلمين فى كندا والولايات المتحدة فإننا ننوى أن يقوم المركز باعداد بيان ديمغرافى لتوزيعهم وإعداد دراسة عن العمل النصرانى بين المسلمين حتى تقوم كنائس أمريكا بتنصير المسلمين بصورة مؤثرة .

الفصل الثانى

الإرساليات التبشيرية

سنتكلم فى هذا الفصل عن ثلاث إرساليات تبشيرية ، طبقا للآتى : على سبيل المثال[1] :

(ا) جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية :

ورد بتقرير نشرته مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية عنها الآتى :

١ – هى أهم جمعية بروتستانتية مضى على تأسيسها حتى الآن ١٧٢ سنة .

٢ – يدير أعمالها ١٤٥ أسقفا ، ينوبون عن رئيسها أسقف كانتربورى الإنجليزى .

٣ – بلغت إيراداتها سنة ١٧٩٩ – ٢٥ ألف فرنك ، ثم بلغت سنة ١٩١٠ – ١٠ عشرة ملايين من الفرنكات ، غير المبالغ الأخرى التى ترد إليها وتصرفها فى سبيل التبشير من غير تدوين فى سجلات صندوق الجمعية .

٤ – هذه الايرادات ترد من الاكتتابات ، التى ترد إليها من البلاد الأجنبية ، ومن المبالغ التى يجمعها المبشرون ، لأن لها فروعا عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر .

٥ – بلغ مجموع ما تنفقه تلك الجمعية كل سنة للاحتكاك بالإسلام ٧,٠٠٠,٠٠٠ (سبعة ملايين) من الفرنكات ، موزعة ما بين أفريقيا الشرقية والغربية ومصر والبلاد العربية وإيران والهند والصين .

٦ – ذكرت هذه الجمعية فى تقريرها عن سنة ١٩١١ أن أعمال التبشير فى البلاد

---

(١) كتاب الغارة على العالم الإسلامى للمرحوم محب الدين الخطيب .

الإسلامية ، مازالت شاقة ، وعرضة لنفقات جسيمة ، إلا أن نتائج أعمالها بدأت تظهر للعيان .

أولا : فى فارس : التى أصبحت فيما بعد تدعى بإيران اتسع نطاق الأعمال التبشيرية عن ذى قبل طبقا للآتى :

١ – بدأت حملات التبشير على إيران سنة ١٨١١ ، سنة ١٨٣٤ حيث ابتدأ المبشرون الأمريكيون بالتبشير بين النسطوريين ، ثم بين المسلمين .

٢ – اتضح للمبشر بروس سنة ١٨٦٩ أن المسلمين فى أصفهان ، يميلون إلى المجادلات الدينية ، فجاءَ إلى جولفه ومكث فيها ، حيث فتح هناك المدارس التبشيرية ، ثم شدت من أزره جمعية التبشير الإنجليزية ، واتسع بذلك نطاق التبشير ، فأسست المدارس والمستشفيات التبشيرية ، وكان من ضمنها مستشفى للبنات . كما فتحت مدرسة داخلية للبنات فى أصفهان .

٣ – مهدت الثورة التى قامت هناك السبيل للحصول على حرية الأديان ، إلا أن نفوذ العلماء المسلمين لم يزل ثابتا .

ثانيا : وفى نيجيريا :

مهدت السكة الحديدية السبيل للمبشرين ، فأسسوا المراكز التبشيرية فى الأماكن الإسلامية هناك ، لكن الأقاليم الوثنية بشمال نيجيريا يخشى عليها ، لأنها على حدود بلاد إسلامية كبيرة ، مما يعرضها للدخول فى الإسلام .

أما فى نيجيريا الجنوبية فأسباب النزاع موجودة بين المسلمين والمبشرين ، لأن المسلمين متفوقون فى تلك الأقاليم على إرساليات التبشير فى المال والنفوذ .

٢ – كان لمبشرى جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية ، أثر كبير فى توسيع نطاق المستعمرات الانجليزية بأواسط إفريقيا وغربها ، لأن المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين فى ارتياد البلاد ، وتأسيس مراكز التبشير ، وتوطيد النفوذ البريطانى .

٣ – للجمعية التبشيرية المذكورة ثلاث أسقفيات فى بوروبا ونيجيريا الجنوبية

ونيجيريا الشمالية ، لكن تقدم المسلمين فى مقاطعة بوروبا موجب لقلق المبشرين ، لهمتهم فى إنشاءِ المساجد ، وإنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية ، بل إن الإسلام ينتشر انتشاراً هائلا فى مقاطعة إيجابو التى كانت سنة ١٨٩٢ وثنية محضة ، فأصبحت لا تخلو قرية من قراها من مسجد ، بل إن فى مدينة إيجابو لا يكاد يخلو شارع من مسجد للمسلمين ، كما أن الإسلام توطد نفوذه فى إود .

٤ – رغم كون الأهالى فى بعضن الجهات مثل (إيبوس) يبتعدون عن الإسلام إلا أن نطاق الإسلام أخذ فى الاتساع بوجه عام ، ففى مدينة كتسا الواقعة فى نيجيريا الشمالية ، لا تجد محلا خاليا من المعلمين المسلمين ، لأن المسلمين يهبطون على القرى الوثنية ، ويحتكون بالأهالى ، فلا يمضى وقت حتى يستعمل الوثنيون الأسماءَ الإسلامية ، ويحملون الآثار الدينية التى يحملها المسلمون ، ثم يتدرجون فى دخولهم فى الإسلام ، كما أن التجار الهوسين يبيعون بضاعتهم للأهالى الوثنيين ، وينشرون الإسلام بينهم فى آن واحد ، كما تكشف للمبشرين أن نفوذ العناصر الفولانية والبولانية الإسلامية منتشر حتى فى الأقاليم الوثنية المحضة .

ثالثا : أما فى أفريقيا الشرقية :

فقد هبط إلى ممباسة الدكتور المبشر كريف ثم تبعه مبشرون آخرون أخذوا يطوفون عرض البلاد وطولها فاتسعت أعمالهم على الشواطئ منذ سنة ١٨٧٤ نكانوا يؤسسون القرى ويقطنها الأرقاء المعتوقون ، ثم أسسوا بعد ذلك إرساليتى تبشير ، واحدة على مقربة من جبال كليمنجارو ، وأخرى فى سفح جبل كانيا ، وبلغ عدد معاهدهم التبشرية فى إفريقيا الشرقية وقت الاحتلال البريطانى ٢٢ معهدا ، خلاف المعاهد التعليمية الأخرى ، والتى بلغت ٢١ معهدا علميا ، يتلقى فيها الطلبة العلم والهبات التى بلغت فى بعض المرات ٧٠ ألف فرنك ، رغم نفوذ المسلمين فى ممباسة ، وفى فريزية وسيطرتهم على كل ولاية السيدية ، لكن مما يثير عجب المبشرين ، أن الإسلام ينتشر فى الداخل ، حتى بين صفوف القبائل الوثنية المدمنة لشرب الخمر ، وإلى قبائل وادا بيدة المشهورة بالسحر والدجل ، كما أن

الوثنيين فى واديفو يقادون للإسلام بسهولة ، بل إن تجار المسلمين بنوا قُرى فيها المساجد فى جوف بلاد كبارة الواقعة فى سفح جبل كاتيا على مقربة المبشرين .

٢ – إن إنتشار الإسلام هناك بهذه الصورة موجب للروية والتفكير ، لدرجة أن السير الإنجليزى (بارس جبروار) حاكم إفريقيا الشرقية وقتئذ ، صرح فى المؤتمر الذى أقامة المبشرون على ظهر إحدى البواخر فى البحر الأحمر بقوله : « إنه يجب على الحكومة ، وعلى المبشرين أن يشتركوا فى العمل ضد الإسلام » .

٣ – وجه المبشرون عندئذ مجهوداتهم ، لتأليف كتب باللهجة السواحلية ، ونشر مجلة شهرية دينية ، لكن ذلك لم يجد شيئا مع قلق المبشرين بالنسبة لانتشار الإسلام ، حتى إن المبشرة ألمس فورسيت ، ذكرت أنها كانت تجد مساجد صغيرة حيثما مرت وفى بعض الأوقات كانت ترى المساجد بشكل أكواخ صغيرة ، وهذه الأكواخ كانت بمثابة مراكز للتبشير الإسلامى ، ويقول مبشر آخر : إن الخصم الوحيد لهم فى هذه الجهات هو المسلم .

رابعا – بالنسبة لأوغندة :

١ – فقد دخلها المبشرون سنة ١٨٧٦ عندما صرح ملكها متيسة بارتياحه لاقتباس التربية الأوروبية ، فتوجهت إليها إرسالية تبشير بروتستانتية ، ثم تبعتها إرسالية تبشير كاثوليكية ، فأخذتا فى نشر المسيحية هناك ،حتى بعد وفاة الملك متيسة ، وتولى الحكم هناك الملك موانغا .

لكن المسلمين هناك خلعوا الملك موانغا ، وطردوا المبشرين من كاثوليك وبروتستانت ، إلا أن إرساليات التبشير ، عملت على إعادة الملك موانغا بعد سنة واحدة من خلعه ، والذى وافق فى سنة ١٨٩٠ على رفع العلم الإنجليزى فى بلاده لشركة إفريقيا الشرقية البريطانية ، وذلك قبل أن تعلن الحماية الإنجليزية على بلاده بأربع سنوات ، لكن الملك موانغا خلع مرة أخرى بواسطة ابنه شوا ، الذى تنصر وسمى نفسه داود ، ومنذ ذلك الوقت توطدت أركان أوغندة من الناحية الدينية للمبشرين ، ومن الناحية السياسية لإنجلترا (وقد تم استقلالها أخيرا عن بريطانيا) .

٢ – لكن المبشرين يشعرون مع ذلك بالقلق لنمو الإسلام ، وتقدمه السريع فى شرق

أوغندة ، رغم أن عدد المعاهد التبشيرية لإرساليات التبشير ، وصلت إلى ١٠١٠ معهدا أو مركز تبشير ، ١٤٧ مدرسة ، يتعلم بين جدرانها الآلاف من التلاميذ ، ويتناولون هبات مالية وصلت إلى نصف مليون فرنك من مجموع ميزانية مبشرى أوغندة التى تصل إلى مليون فرنك .

خامسا – عن مصر والسودان :

ورد بتقرير التبشير سالف الإشارة إليه عن مصر والسودان الآتى :

١ – يرجع تأسيس إرساليات التبشير فى مصر والسودان إلى سنة ١٨١٥ عقب حروب نابليون حيث هبطت إرساليات التبشير فى جزيرة مالطة ، ومدت نطاقها ، حتى بلغ مصر والحبشة ثم اليونان والبلاد الخاضعة لتركيا حتى فلسطين .

٢ – كان هدف تلك الإرساليات تنصير المسلمين ، وإرجاع كنائس الشرق سيرتها الأولى .

٣ – بالرغم مما يبذله المبشرون من مجهودات لنشر التبشير وتوسيع نطاقه فى الأرياف ، لم تكلل أعمالهم بالنجاح التام حتى إنهم اضطروا إلى إغلاق مدرسة التبشير فى القاهرة سنة ١٨٦٢ .

٤ – ثم تأسست إرسالية تبشيرية أخرى فى مصر ، انتقلت إلى القدس عقب الاحتلال البريطانى لمصر ثم عززت سنة ١٨٨٩ بإرسالية تبشير طبية .

٥ – أنشأت جمعية التبشير الإنجليزية فى مصر ٦ معاهد للتبشير ، فيها كثير من النساء المبشرات ، ولها مدرسة تبشيرية ، ومدرسة داخلية ، ومدرستان للبنات فى القاهرة ، ومدرسة عالية فى حلوان ، ولهذه الجمعية مكتبة كبيرة فى القاهرة ، ويقوم مبشروها بنشر مجلة الشرق والغرب .

٦ – تبلغ ميزانية الجمعية فى مصر ١٦٠ ألف فرنك ، أما الإيرادات التى يتلقاها المبشرون من الوطنيين ، فلا تكاد تبلغ ٤٥٠ فرنكا ، وقد حملت الصحف الإسلامية حملة شعواء على المبشرين عموما ، مما هدد مهمة التبشير ، فضلا عن أنه رغم استمرار الأعمال الطبية بمعرفة هيئات التبشير إلا أنها لا تأتى بفائدة

من الوجهة الدينية ، لأنه لا يكاد الطبيب يظهر بمظهر المبشر ، حتى تعلو حوله الاعتراضات ، خصوصا من أئمة المساجد .

٧ – تمكنت جمعية التبشير الإنجليزية من رصد أموال كثيرة لإقامة ذكرى غوردون عقب قتله فى الخرطوم ، وهذه الأموال مكنت الجمعية بعد فشل ثورة المهدى ، من تأسيس إرساليات تبشير فى أم درمان ، والخرطوم ، وعطبرة ، ومليك ، وفى أواسط السودان ، مع إنشاء مدارس للبنات فى السودان الشمالى وفى عطبرة ، يسَّرت مهمة التبشير ، إذ أصبح فى استطاعة المبشرين ، أن يطلبوا من التلاميذ المسلمين ، الصغار ، أن يصلوا معهم صلاة الصبح ، وهم يطلبون مثل هذا الطلب من المرضى المسلمين فى مستشفى أم درمان ، لكن على أثر موت ليوبولد الثانى ملك بلجيكا ، أرسلت حكومة السودان ٥٠٠ جندى مسلم إلى مقاطعة اللادو ، فانتشر هؤلاءِ الجنود فى البلاد ، وأخذوا يفتحون المدارس الإسلامية وسط القبائل الوثنية .

٨ – أوصت الجمعية بإرسال مبشرات غير متزوجات ، لأن لهن تأثيرا على النساء المسلمات ، ثم تساءلت عما إذا كان فى الإمكان حمل المسلمين على الدخول فى حظيرة المسيح ، ونعت على إنجلترا إهمال مجهودات المبشرين فى مصر والسودان ونيجيريا ، وجعلها يوم الجمعة عطلة رسمية فى دوائر الحكومة .

سادسا – عن بلاد الهند :

ذكرت جمعية التبشير الإنجليزية الملاحظات الآتية :

١ – أن أعمال التبشير فى أقطار بلاد الهند ، ليست منتشرة فى عرض البلاد وطولها كما يجب ، رغما عن عدد ألفى محطة تبشيرية توجد هناك ، وكذلك الألف مدرسة التى يدرس بين جدرانها ما ينوف على ٦٥ ألف تلميذ هندى ، وتبلغ ميزانيتها هناك ٤ ملايين من الفرنكات منها نصف مليون فرنك تأخذها من الإيرادات المحلية .

٢ – كثيرا ما تثور المشاكل بين المبشرين والمسلمين ، كما هو الأمر فى بيحار ، حيث قام مشايخ القرى ، واعترضوا على أعمال المبشرين ، لكن هؤلاء الأخيرين لم

يعيروا ذلك أهمية ، إذ قاموا بنشر التوراة باللغة الأوردية ، ودخلت إرساليات التبشير ولايتى أوده وأكرا ، حيث فتحوا المعاهد والمدارس ، وفى مدينة الله أباد حيث يدرس فى مدارسها كثير من الطلبة المسلمين ، ويتفق تنصير بعض أفرادها من وقت لآخر .

٣ – يعمل المبشرون أيضا على نشر تعاليمهم التبشيرية بتلاوة التوراة فى القرى ، وإلقاء المذكرات فى المدن ، ونشر المطبوعات التبشيرية ، بل أمكنهم إنقاذها داخل الكلية الإسلامية فى أكرا ، حتى يقرأوا التوراة المحررة باللغة العربية وبعض المؤلفات المحررة باللغة الأوردية ، والبحث المؤلف بمعرفتهم باسم الهند والإسلام .

٤ – وفى مقاطعة البنجاب تنتشر إرساليات فى كل مدنها ، بمساعدة حكام تلك المقاطعة من الإنجليز ، لذلك اتسع نطاق مدارس التبشير وأعمال التطبيب ونشر المطبوعات ، وترجمة الكتب التبشيرية إلى اللغة الأوردية والسندية .

٥ – إن أعمال التبشير فى كشمير لا تسير على ما يرام ، كذلك الحال فى بلوخستان ، مما اضطر المبشرين إلى إقفال مدرستهم التبشيرية هناك ، لأن الإسلام يقاوم الأعمال التى توجه ضده من حيث إنه عقيدة ودين فى تلك البلاد .

٦ – وفى الهند الغربية ، اتسع نطاق التبشير بين المسلمين إذ يلقى المبشرون المحاضرات باللغة الإنجليزية على المسلمين ، الذين نالوا حظا من التعليم الأوروبى ، ويحدم خلال ذلك الجدال على الأمور الدينية ، كما يقوم بعض المبشرين بالتبشير فى المحطات التى تلتقى فيها قطارات عديدة ، وجمعية التبشير تبدى ارتياحها إلى علاقة المسلمين بالمبشرين هناك ، وإلى رواج المطبوعات التبشيرية .

٧ – أفلحت جمعية التبشير فى فتح معاهد تبشيرية لها فى الهند الوسطى ، مثل مدينة مدراس – وحيدر آباد التى اختصت بالشئون الإسلامية .

سابعا – جزيرة سيلان :

١ – ابتدأت جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية ، إرسال مبشريها إلى جزيرة سيلان ،

منذ سنة ١٨١٧ ، حيث اتسعت أعمالها بعد ذلك ، حتى أصبح لها أكثر من ٢٠٠ معهد تبشيرى ، ٣٢٦ مدرسة يدرس فيها ٢٣ ألف تلميذ .

٢ – إن ما يصبو إليه مبشرو تلك الجمعية هو الاحتكاك بالمسلمين من أهالى هذه الجزيرة ، خصوصا القاطنين فى مقاطعة كندى وما جاورها . لأن هؤلاء الأهالى يظهرون العداء للمبشرين ، ولا يسمحون لأولادهم بالذهاب إلا إلى المدارس الخاصة التى أسسوها بأنفسهم لأولادهم .

ثامنا – بلاد الصين (قبل دخولها فى المعسكر الشيوعى) :

١ – علقت جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية أهمية على ما ورد بمؤلف القسيس مارشال برومنهال ، من أن هناك أهمية كبرى على المسألة الإسلامية فى بلاد الصين ، لذلك افتتحت الجمعية ٣٠٠ مدرسة فى بلاد الصين ، وكانت تبلغ ميزانية مبشريها هناك ١,٣٠٠,٠٠٠ فرنك .

٢ – وقد اختصت جمعية تبشير التوراة الطبية ، بالتبشير بين المسلمات الهنديات والصينيات ، ويقوم مبشروها ومبشراتها بأكثر من ٦٠٠٠ زيارة فى البيوت ، وتهتم بتعليم ٦٠٠٠ شخص كما تعالج ٣٢ ألف امرأة .

٣ – يكفى هذه الجمعية أن تظهر احتياجها تمطر عليها النقود من كل صَوْبٍ وحَدَب .

(ب) إرساليات التبشير الأمريكية :

١ – أهم إرساليات التبشير الأمريكية ، الجمعية التبشيرية الأمريكية التى يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠ .

٢ – اتسعت أعمال هذه الجمعية اتساعا هائلا ، حتى إنه بلغ عدد اللجان التى شكلتها من الوطنيين فى مناطق التبشير ٥٦٨ لجنة ، اشترك فيها ٧٣ ألف وطنى ، يدفعون إلى الجمعية مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ فرنك للقيام بنفقات الكنائس والمعاهد وتربية أولادهم .

٣ – يبلغ عدد التلاميذ الذين يدرسون فى مدارسها ٧٠,٠٠٠ تلميذ ، كما أن لديها كثيرا من النساء من المبشرات ، يزداد عددهن من يوم لآخر .

٤ – من جملة المبادئ والأصول التى يروجها مبشرو هذه الجمعية ، أنهم عندما يهبطون إحدى المدن لأجل التبشير ، يتركون الحرية التامة للذين يدخلون فى مذهبهم فى تأسيس وتشكيل كنائس خاصة ، يدير الوطنيون أعمالها ، حتى يتسنى للوطنيين الاستقلال فى أعمالهم ، إذا اتفق أن المبشرين طردوا من البلاد .

٥ – كانت هذه الجمعية تهتم بأمر التبشير فى بلاد تركيا وسوريا وفلسطين ، لأنها لا ترغب فى ترك البلاد التى كانت مهبطا للتوراة تحت سيطرة الإسلام .

٦ – أشارت الجمعية إلى أن الكنائس المسيحية الشرقية الخاملة فى هذه البلاد ، لها أربعة فروع كالآتى :

(ا) فرع تركية أوروبا وقتئذ ، ومركزها سافوكو فى بلغاريا .
(ب) وفرع آخر فى آسيا الصغرى ، ومركزه استانبول .
(جـ) وفرع ثالث فى سوريا ، وله مركزان فى مرهش وعينتاب .
(د) وفرع رابع فى الكردستان ، ومركزه خربوط .

وكل ما يتمناه مبشرو الجمعية الأمريكية التبشيرية ، استمالة الكنائس الشرقية ، وتنصير المسلمين بالتدريج ، وبالوسائط الفكرية والتعليمية ، لأنهم يعلمون يقينا أنه يتعذر تنصيرهم مباشرة .

٧ – إن أغنياء أمريكا يعضدون أعمال مبشرى تلك الجمعية ، بمدهم بالأموال الطائلة ، ولقد حدث خلال انعقاد المؤتمر التبشيرى المختلط فى (ووشتر) أن قام المستر الفريد ميرلنغ من أثرياء نيويورك الكبار ، وقال : « إن لدى أمرا أريد أن أبسطه عليكم ، وهو أننا أصدقاء ، منذ القدم ، اجتمعنا هنا ورأينا أننا كنا فى ضلالة لأن السعى وراء اقتناء الأصفر الرنان ، لا يأتى بفائدة أدبية ولذلك يجب أن تكرس مجهوداتنا للتأثير على رجال الكنيسة وعلى الاغنياء ، الذين يتمتع كل منهم بشىء من ثروة البلاد ، حتى يستعملوا ثروتهم لأغراض سامية نبيلة ، لأن العالم كله فى حاجة شديدة ليسوع المسيح ، ولذلك فإننا نقول للقائمين بأعمال التبشير ، سندر عليكم أموالنا فهل لكم أن تنضموا إلينا وأنتم فى شرخ الشباب ؟ ضحوا حياتكم ، نظير ما نبذله لكم من الأموال

لأننا نحن الآن فى سن الشيخوخة ، وأصبحت أيامنا معدودة ، فهل لكم أن تقفوا حياتكم على خدمة يسوع المسيح ؟ نحن نريد جمعية تبشيرية لايعطلها عن أعمالها غير الموت ، ولنبرم إذن هذا العقد بيننا » .

٨ – ثم اجتمع لفيف من أغنياء أمريكا لأول مرة سنة ١٩٠٦ ، بدعوة من أحد أغنياء التجار فى واشنطن ، بعد أن أعجب بما قام به شبان التبشير فى مؤتمرهم فى تاشفيل سنة ١٩٠٦ ، لذلك فقد قرر الممولون والأغنياء الأمريكيون تأليف لجنة منهم ، للمذاكرة مع رؤساء كل إرساليات التبشير الأمريكية فى الأمور الآتية :

(ا) زيادة المجهود لأجل تربية المبشرين العلمانيين .

(ب) أعمال الفكر والبحث لرسم خطة تنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ سنة .

(جـ) تشكيل لجنة هامة تتألف من ٦٠ عضوا أو أكثر فى وقت قريب ، لكن تتعهد بزيارة مراكز إرساليات التبشير وتقديم التقارير عنها .

٩ – كان من أثر اجتماع أغنياء أمريكا سالف الذكر ، رواج فكرة التبشير ، وتأسيس اللجان المتخصصة لهذا الغرض فى كل أرجاء الولايات المتحدة ، والتى يرجع أمرها جميعها إلى لجنة مركزية تتألف من ١٠٠ (مائة) شخص منتشرين فى الولايات المتحدة وكندا .

١٠ – ثم أقيمت اجتماعات صغيرة فى ١٠١ مدينة من أمهات مدن الولايات المتحدة ، ثم عقد بعد ذلك مؤتمر تبشيرى وطنى فى كندا ، ومؤتمر آخر فى شيكاغو ، وهذه المؤتمرات كانت تقام فى أفخم الفنادق حيث تنصب لها الولائم وقت انعقادها ، حيث يحضرها نفر كبير من أثرياء وأغنياء الأمريكيين .

١١ – وحتى يستميل المبشرون الأغنياءَ والأثرياءَ الأمريكيين كان كبار المبشرين يقومون بقراءة الإحصائيات والتقارير المالية ، فتنهال عليهم ملايين الدولارات .

١٢ – وقد حذت إرساليات التبشير النسائية ، حذو جمعيات التبشير الأخرى ، فطافت أرجاء الولايات المتحدة وأقامت الحفلات الشائقة ، فزادت

الايرادت الخاصة بها ، والتى كانت تعلن أنها تهدف إلى تحسين أحوال المرأة الشرقية والتحبب إليها .

١٣ – ثم أقام المبشرون الأمريكيون معرضا عاما لإرساليات التبشير فى مدينة بوسطن ، حيث افتتحه رئيس الجمهورية وقتئذ فى شهر أبريل سنة ١٩١١ ، وقد اشترك فى ترتيب ذلك المعرض ٤٠٠ رئيس من رؤساء إرساليات التبشير ، حيث عرضوا فيه نماذج من محصولات البلاد التى يرتادها المبشرون مع صور لمحطات التبشير المنتشرة ، وصور أخرى تمثل أعمال المبشرين ومن رسم الدخول فى المعرض المذكور أمكن تحصيل مبالغ كثيرة لأعمال التبشير ، وقد امتدت تلك المعارض التبشيرية إلى بلدان كثيرة أيضاً .

(ج) جمعية إرساليات التبشير الألمانية الشرقية :

١ – كانت هذه الجمعية فى مبدأ أمرها جمعية صغيرة للصلاة والتوسل ، لأجل تأسيس إرساليات تبشير فى المشرق ، عقب مذابح الأرمن سنة ١٨٩٥ ، أسسها القسيس (لبسيوس) حيث وصلت ميزانيتها إلى ١٨٦ ألف مارك .

٢ – ثم دخلت الجمعية دورها العملى فى نشر التبشير سنة ١٩٠٠ ، عندما نشر مؤسسها القسيس ليسيوس منشورا حماسياً ، قال فيه : « إن الشرق يدعو الغرب لشد أزره ، فجل ما نتوخاه أن نحرر الشرق بواسطة السيد المسيح ، ونخلص الكنائس المسيحية من ظلم الإسلام ، ونفتح طريقا للسيد المسيح بإرجاع هذه الكنائس سيرتها الأولى ، هلموا إلى قلب العالم الإسلامى ، لنحرز فوز الصليب على الهلال ، ولا يكفى المناضلة والمناوأة بل يجب شحذ السلاح » .

٣ – ولتنفيذ هذا المنشور أخذ ذلك القسيس يطوف فى بلاد الأناضول وسوريا ونشر تقاريره عن حقيقة حال الأرمن ، كما تشكلت لجان المانية لمساعدتهم ، كما أسس بعض المحطات التبشيرية هناك .

٤ – لما انتصرت اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥ ، توجه إلى روسيا لأجل تنصير الروسيين الذين يكرعون من المياه القذرة فى الكنيسة الروسية ، إذ قال : إن

الاهتمام بصيانة الكنيسة الشرقية لا يكفى للنهوض بالشرق ، بل يجب مناضلة ومناوأة الإسلام عدو المسيحيين الشرقيين القديم .

٥ – وقد أدرك مبشرو هذه الجمعية ما تهدف إليه أقوال رئيسهم ، وفهموا أن مناضلة الإسلام بصورة جدية حقيقة تفتقر إلى الوقوف عليه تماما ، ولذلك باشروا طبع المؤلفات المتعلقة بالإسلام وأصوله ونشرها بين العالم المسيحى ، كما رأوا من واجبهم الاقتداء بإرساليات التبشير الأخرى وذلك بترجمة الكتب الدينية إلى اللغات الإسلامية ، وتأسيس مدارس للمبشرين .

٦ – كما أنشأوا مجلات تبشيرية ، مثل مجلة شاهد الحقائق ، حشوها بالمقالات التبشيرية ، ومثل مجلة كونش أى الشمس ، لبث الأفكار الدينية المسيحية بين المسلمين فى تركيا وبلغاريا .

٧ – أورد رئيس إرساليات التبشير الالمانية فى تقريره عن أعمالها ، قوله : إن نار الكفاح بين الصليب والهلال ، لا تتأجج فى البلاد النائية ، ولا فى مستعمراتنا فى آسيا ، أو أفريقيا ، بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر ، سواء أكان فى إفريقيا أم فى آسيا ، خصوصا فى استانبول عاصمة الخلافة فيما مضى التى كانت كل الشعوب الإسلامية تولى وجوهها نحوها مما يقتضى من جمعية إرساليات التبشير الألمانية ، بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة ، وهى قلب العالم الإسلامى وقتئذ ، للقضاء عليها .

٨ – نشرت مجلة الشرق المسيحى والتبشير الألمانية التى هى لسان حال جمعية إرساليات التبشير الألمانية ، مقالا بخصوص تعيين الدكتور ريتشر رئيساً لهذه الجمعية ، وكان ما قالته : إن أهمية أعمال التبشير بين المسلمين تزداد يوما بعد يوم ، وتستغرق أكثر مجهودات ووسائل المبشرين الألمانيين ، حتى إن الجمعية اضطرت عقب تأسيس المدرسة التبشيرية لدراسة الإسلام وأصوله ومبادئه فى مدينة بوتسدام ، أن تترك الحرية التامة لرئيسها ، ريثما يتخصص للتبشير بين المسلمين .

٩ – إن القصد من تأسيس المدرسة التبشيرية لدراسة الإسلام فى مدينة بوتسدام ،

هو تربية المبشرين وإطلاعهم على الأمور الإسلامية ، والمؤلفات الدينية ، لأنه بالرغم من اطلاع المستشرقين الألمان ، وطول باعهم فى المؤلفات الإسلامية ، فإن التعليم والعقائد التى تلقى فى المساجد والمعاهد الإسلامية ، ما زالت خافية عليهم ، مما اقتضى ضرورة استكشاف ودراسة التفسير والتعاليم الصوفية واللغة العربية والتركية والفارسية والتاريخ الإسلامى لتلاميذ مدرسة بوتسدام التبشيرية .

تعليق :

تعدد الزوجات فى الأديان السماوية السابقة على الإسلام :

رأينا خلال هذا الباب كيف ينعى المبشرون على الإسلام ، إباحته لتعدد الزوجات دون تفهم للحكمة التى توخاها الدين الإسلامى من هذا التعدد ، والقيود التى وضعها لهذه الإباحة ، مع أن التعدد كان يوجد عند اليهود والمسيحيين حسب الآتى :

أولا : تعدد الزوجات عند اليهود :

إذا رجعنا إلى نسخة التوراة الموجودة الآن ، والتى تضم الأسفار الخمسة من العهد القديم من الكتاب المقدس لديهم ، نجد أنها خالية من نص يحرم تعدد الزوجات ، بل إن فى أسفار العهد القديم ، ما يدل على أن من الأنبياء من عدّد زوجاته بغير حصر مثال ذلك :

ورد فى الإصحاح ١١ من سفر الملوك أن النبى سليمان ، كان لديه ألف من النساء ٧٠٠ سبعمائة من النساء الحرائر وثلاثمائة من السرارى . كانت التوراة لم تحرم تعدد الزوجات ، فإن أحبار اليهود قد كرهوه ، واعلم أن يهود مصر ينقسمون إلى ربانيين وقرائيين ، وعند الربانيين لا ينبغى للرجل أن يكون له أكثر من زوجة ، وعليه أن يحلف يمينا على هذا حين العقد ، وإن كان لا حجر ولا حصر فى متن التوراة على تعدد الزوجات ، كما قدمنا ، لكن استثناء من ذلك يجوز تعدد الزوجات

بشروط معينة ، هى أنه إذا كان الرجل فى سعة من العيش ، ويقدر أن يعدل أو كان له مسوغ شرعى ، جاز له أن يتزوج ، وعقم الزوجة عشر سنين ، إن كانت بكرا أو خمس سنين إذا كانت ثيبا ، يوجب على الرجل أن يطلقها ، وله أن يتزوج عليها إذا قبلت وكان ذا ميسرة ، كذلك إذا جنت المرأة يجوز له أن يتزوج بأخرى .

وعند اليهود القرائيين التعدد جائز ، بشرط استطاعة الرجل العدل بين زوجاته فى المعاشرة الجنسية ، وفى النفقة وفى الكسوة ، فإن حدث ضرر من الرجل بالزوجة السابقة ، جاز لها أن تطلب منه الطلاق ، كذلك إذا تزوج الرجل على زوجته غدراً بها ، فإنه يكلف بطلاق تلك الزوجة ويستدل على الغدر من قرائن الأحوال ، كأن يتزوج بسيدة لا تدين باليهودية ، فيعد هذا غدرا منه بزوجته اليهودية السابقة .

والتعدد عند اليهود يجوز إلى أربع من الزوجات ، حتى ولو كانت ميسرة الرجل تسمح له بالزيادة ، وعللوا ذلك بأن يعقوب عليه السلام ، وهو المدعو بإسرائيل جمع بين أربع زوجات فحسب ، وحتى لا تحرم كل زوجة من مرة فى الأسبوع ، لأن الإحصان واجب على الرجل لكل زوجة .

ومن كل ما تقدم يتبين أن التوراة التى يؤمن بها اليهود والمسيحيون بفرقهم ، خصوصا فرقة البروتستانت ، لم تحرم تعدد الزوجات ، ولم تحجر على الرجل أن يتزوج بأى عدد من النساء ، ولكن أحبار اليهود كرهوا تعدد الزوجات ، فحاولوا التضييق منه ، وذلك بتحديد عدد الزوجات بأربع ، واشتراط وجود مبرر شرعى عند الزواج بأخرى ، واشتراط قدرة الرجل على الإنفاق على زوجاته ، واستطاعته العدل بينهن .

ثانيا : التعدد فى المسيحية :

المتتبع لنصوص الأناجيل الأربعة ، لا يجد إشارة صريحة إلى مبدأ منع تعدد الزوجات .

ذكر بعض الفقهاء المسيحيين ، أن التشريعات المدنية فى البلاد المسيحية كاليونان وإيطاليا والمانيا وفرنسا وأمريكا وبريطانيا وغيرها ، تنص على تحريم تعدد الزوجات ،

وقد أجمعت الكنائس المسيحية على هذا التحريم ، فهل أخطأ هؤلاء جميعا فى فهم شريعتهم ؟ وإجابة على هذا السؤال نقول :

(ا) إن كون الشريعة المسيحية تحرم تعدد الزوجات الآن شيء وكون الأناجيل تخلو من نص يحرم تعدد الزوجات شيء آخر ، لأن الشريعة المسيحية لا تعتمد على الأناجيل فقط ، بل إن من مصادرها أقوال آباء الكنيسة وقرارات المجامع المسكونية ، وهذه اتجهت الآن إلى تحريم تعدد الزوجات فى الوقت التى تخلو فيه الأناجيل من نص يتضمن هذا التحريم .

(ب) إن إجماع التشريعات المدنية فى البلاد المسيحية على هذا التحريم شيء ، وتحريمه فى شريعة المسيح عليه السلام شيء آخر ، فهذه التشريعات المدنية من وضع البشر بخلاف الدين .

(ج) أما إجماع الكنائس المسيحية على تحريم تعدد الزوجات فهو أمر ينازع فيه بعض فقهاء المسيحيين أنفسهم ، لأن منهم من يرى أن تحريم تعدد الزوجات عند المسيحيين كان بالنسبة لآباء الكنيسة فحسب ، ولم يحرم على غيرهم من المسيحيين إلا فى وقت لاحق .

والواقع أنه بالرجوع إلى كتابات آباء الكنيسة الأولين ، يتبين فيها أن ما كان محرما على الكهنة هو التزوج بأكثر من امرأة واحدة ، وفسر ذلك بأن المحرم على الكهنة هو تعدد الزوجات ، بينما فسر البعض الآخر هذا المحرم بأنه الزواج بأكثر من امرأة مطلقا ، بمعنى أنه إذا توفيت زوجة الكاهن ، لم يكن له أن يتزوج بغيرها ، فليست له إلا امرأة واحدة فى الحياة الدنيا ، وبناء على هذا التفسير أيضا يحرم على الكاهن تعدد الزوجات .

ولم يرد تحريم تعدد الزوجات على سائر المسيحيين صراحة فى النصوص الفقهية الأولى ، وإنما كانت هناك نصوص تمنع الرجل من تطليق زوجته ليتزوج بأخرى ، كما كانت هناك نصوص تحرم الزيجة الرابعة ولو كانت بامرأة واحدة .

(د) إن تحريم تعدد الزوجات أخذ فى الظهور بعد ذلك ، فى كتابات آباء الكنيسة الذين اعتبروا زواج الرجل على امرأته زنا ، ولكن كانت هناك آراء أخرى تجيز تعدد الزوجات فى المسيحية ، ومنها رأى مارتن لوثر مؤسس المذهب الإنجيلى ، الذى كان يعتبر تعدد الزوجات نظاما لا يتجافى مع أحكام الشريعة المسيحية .

(هـ) ولم يعارض تعدد الزوجات أى مجلس كنسى فى القرون الأولى ، ولم يقم أى حائل فى طريق ممارسته ، وكان ملوك النرويج يمارسون تعدد الزوجات ، فقد كان لشارلمان الملك زوجتان وعدة محظيات ، وقد عقد فيليب ملك هيس ، وفردريك ويليام الثانى ملك بروسيا ، باثنتين لكل منهما ، وقد باركها قس لوثريون ، وقد وافق مارتن لوثر نفسه على زواج الأول من اثنتين ، وقد تكلم فى مناسبات عدة عن تعدد الزوجات فى تسامح وذكر أن الله لم يحرم هذا الزواج ، وفى عام ١٥٣١ دعا القس فى مونستر صراحة بأن من يريد أن يكون مسيحيا حقيقيا ، فعليه أن يتزوج من عدة زوجات .

ثم مالبثت الدعوة إلى مبدأ الوحدة الزوجية أن ذاعت وانتشرت ، وساعد على ذلك ازدياد نفوذ آباء الكنيسة المعارضين لتعدد الزوجات ، واختصاص الكنيسة بالفصل بين رعاياها فى مسائل الزواج ، الأمر الذى أدى إلى تحريم تعدد الزوجات على المسيحيين ، حتى سادت فى العصر الحديث الآراء التى تحرم تعدد الزوجات على المسيحيين ، وحتى اعتبر نظام الزوجة الواحدة من خصائص الشريعة المسيحية ، ورغم ذلك لا يفوتنا أن نشير أيضا إلى أن شعب الأحباش المسيحى ، ما زال رغم اعتناقه المسيحية يمارس تعدد الزوجات حتى الآن[1] .

(١) كتاب تعدد الزوجات من النواحى الدينية والاجتماعية والقانونية تأليف الدكتور عبد الناصر توفيق العطار من سلسلة البحوث الإسلامية .

الفصل الثالث
المؤلفات والمجلات والصحف التبشرية

بعض الكتب الخطيرة المشوهة للإسلام والشائعة الانتشار[1]

أولا : المؤلفات الكبيرة :

١ — دائرة المعارف الإسلامية The Encyclopaedia of Islam صدرت بعدة لغات حية ، ويعاد طبعها فى الوقت الحاضر ، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل .

٢ — موجز دائرة المعارف الإسلامية Shorter Encyclopaedia .

٣ — دائرة معارف الدين والأخلاق Encyclopaedia of Religion And Ethics
(المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية) .

٤ — دائرة معارف العلوم الاجتماعية Encyclopaedia of Social Sciences .
(الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب) .

٥ — دراسة فى التاريخ (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) .

من تأليف أرنولد توينبى A. Toynbee .

(١) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام للدكتور محمد البهى .

ثانيا – الكتب :

١ – حياة محمد .
من تأليف سير وليام موير W. Muir .

٢ – الإسلام .
من تأليف الفردجيوم A. Geom:

٣ – دين الشيعة .
من تأليف د . م دونالدسون D.M. Donalddson :

٤ – تاريخ شارل الكبير .
من تأليف القس تيرين Bishop turpin.

٥ – « الإسلام » .
ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس H; Lammens

٦ – « الإسلام » (تحد للعقيدة) .
ظهر بالإنجليزية من تأليف المبشر زويمر S.M. Zweimer

٧ – « دعوة المئذنة » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف كنييت كراج K. Cragg

٨ – « الإسلام اليوم » .
بالإنجليزية من تأليف ا . ج . آربرى A. Arberry

٩ – « ترجمة القرآن » .
الترجمة الإنجليزية من وضع ا ، ج . آربرى .

١٠ – « تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى »
ظهر بالألمانية وترجم إلى العربية .
من تأليف جولد زيهر Gold Ziher .

١١ – « تاريخ العرب »

ظهر بالانجليزية والعربية وطبع عدة طبعات من تأليف فيليب حتى .

١٢ – « اليهودية فى الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهام كاش .

١٣ – « عقيدة الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف ا . ج فينسينك Vensink

١٤ – « الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام » .
ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون L. Massiggon

١٥ – « الحرب والسلام فى الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف مجيد قدُّورى .

١٦ – « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف د . ب . ماكدونالد D. B. Macdonald

١٧ – الاتجاهات الحديثة فى الإسلام .
ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف هـ . ا . د . جب Gibb .

١٨ – « طريق الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين ، اشترك فى تأليفه ونشره . هـ . ا . د . جب .

١٩ – « التصوف فى الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف د . ا .نيكلسون Nicholson

٢٠ – « مصادر تاريخ القرآن » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفرى Arthur Jeffry .

٢١ – أصول الإسلام فى بيئة المسيحية .
ظهر بالإنجليزية من تأليف أر . بل R. Bell .

٢٢ – « مقدمة القرآن » .
بالإنجليزية من تأليف د . بل .
٢٣ – « التطورات المبكرة فى الإسلام » .
بالإنجليزية من تأليف د . س . مرجوليوث D. S. Margoliouth .
٢٤ – « محمد ومطلع الإسلام »
بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
٢٥ – « الإسلام » .
بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
٢٦ – « الجامعة الإسلامية » .
بالانجليزية ولنفس المؤلف .
٢٧ – « قنطرة إلى الإسلام » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف إريك بيتمان .
٢٨ – « إسلام العصور الوسطى » .
ظهر بالإنجليزية من تأليف ج . فون جرنباوم : G. Von Grunebaun .
٢٩ – مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق .
٣٠ – « الأعياد المحمدية » .
بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
٣١ – الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية .
ظهر بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
٣٢ – « دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية » .
بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
٣٣ – « محاولات ... فى شرح الإسلام المعاصر » .
مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف .

ثالثا : الدوريات أو المجلات :

١ – مجلة العالم الإسلامى The Muslim world .

مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى هارتفورد بأمريكا ، وتوزع فى جميع أنحاء العالم .
٢ – « مجلة العالم الإسلامى » .
مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا وتوزع فى جميع أنحاء العالم .
٣ – « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » Le Monde Musalman .
أنشأها المستشرقون الأمريكيون فى جامبور Gambier بولاية أوهايو ohio كان لها بعض فروع بأوربا وكندا .
٤ – مجلة شئون الشرق الأوسط .
تصدر بالإنجليزية فى أمريكا ، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين ، واهتمامها موجه فى الدرجه الأولى إلى الجوانب السياسية .
٥ – « مجلة الشرق الأوسط » .
مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات .
٦ – وهناك كتب وصحف ومجلات تبشيرية أخرى ، تصدر فى بعض بلاد الشرق والإسلام باللغة العربية ، وتقوم بطبعها ونشرها الكنائس المحلية ، وهى معروفة لشعوب هذه المنطقة ، مما لا تدعو الحاجة إلى بيان تفصيلى عنها .

ولا تعليق لنا فى ختام هذا الفصل إلا قوله سبحانه وتعالى فى القرآن .
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

[الآية ٣٢ من التوبة]

(١) الآية : ٣٢ من سورة التوبة .

الباب الخامس

التعريف بالإسلام



التعريف بالإسلام

رأينا فى الفصول السابقة كيف حاول ويحاول المبشرون والمستشرقون تشويه صورة الإسلام النقية ، وإظهاره أمام شعوبهم وأمام الشعوب التى يتوجهون إليها بغير مظهره المثالى فى دعوته وتعاليمه التى تتمشى مع الكمال ، لذلك كان من الواجب التعريف بالإسلام طبقا لمفهومه السليم فى اعتقاد المسلمين وبقدر ما يسمح به المقام ، لأن دراسة الإسلام واسعة ومتنوعة ، فمن ثمارها علوم الفقه واللغة والتوحيد والحديث والبلاغة والأدب والتجويد والقراءات ، وما يدخل فى مفهوم هذه العلوم ، أو يتصل بها مما لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها جميعها ، ليس فى مؤلف واحد بل فى مؤلفات متعددة ، تخصص فى كل منها علماء متخصصون وفقهاءُ متميزون .

ما الإسلام :

الإسلام هو دين الله الذى أوصى بتعاليمه فى أُصوله وشرائعه إلى النبى محمد ﷺ ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه .

١ – قال تعالى فى سورة آل عمران : آية ١٨ ، ١٩ :

﴿ شَهِدَ اللهُ أنه لا إِلَهَ إلا هُو والملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُو الْعزيزُ الْحَكِيمُ • إن الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلَامُ ﴾ .

٢ – وقال تعالى فى سورة آل عمران أيضا : آية ٨٥ :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقد تلقى النبى محمد ﷺ ، عن ربه الأصل الجامع للإسلام فى عقائده وتشريعه ، وهو كتاب الله القرآن الكريم ، لأنه عند الله وعند المسلمين المصدر الأول فى تعرف التعاليم الأساسية للإسلام ومن القرآن الكريم يتبين أن للإسلام شعبتين أساسيتين هما (١) العقيدة (٢) والشريعة .

أولا – العقيدة [١] :

العقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شىء إيمانا لا يرقى إليه شك وهى أول ما دعا إليه الرسول ﷺ ، وطلب من الناس الإيمان به فى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهى دعوة كل رسول جاء من قبل نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، كما حكاه لنا القرآن فى قصصه عن الأنبياء والمرسلين وأممهم ومرحلة العقيدة التى دعا إليها نبينا هى من مبدأ الرسالة إلى نهاية وجوده فى مكة قبل الهجرة ، وتتجلى عناصر تلك الدعوة فى السور المكية كلها فى القرآن .

ثانيا : الشريعة :

وهى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها :

١ – ليأخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه ، وسبيلها أداء الواجبات الدينية ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج .

٢ – أو ينظم علاقته بأخيه المسلم ، وسبيلها تبادل المحبة بين المسلمين ، والأحكام الخاصة بتكوين الأسرة والميراث .

٣ – أو تنظم علاقة المسلم بأخيه من بنى الإنسان ، دون نظر إلى دينه ، وسبيلها التعاون فى تقدم الحياة العامة ، والسلم العام ، أى ما تعنيه « الدول فى الإسلام » .

٤ – أو تنظيم علاقة المسلم بالكون كله ، وسبيلها حرية البحث والنظر فى الكائنات واستخدام آثارها فى رقى الإنسان .

٥ – أو تنظيم علاقة الانسان المسلم بالحياة عامة ، وسبيلها التمتع بلذائذ الحياة الحلال دون إسراف أو تقتير [٢] .

(١) انظر كتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف .
(٢) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة ، للأستاذ الأكبر محمود شلتوت ، شيخ الأزهر السابق .

الفصل الأول

العقيدة

العقيدة فى نظام الإسلام هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ، لذلك كان لا وجود للشريعة فى عرف الإسلام بدون العقيدة ، ولا تنفرد إحداهما عن الأخرى ، وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة ، وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولا سالكا سبيل النجاة فى حكم الإسلام .

وقد عبر القرآن عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح مثال ذلك .

١ – قال تعالى فى سورة الكهف : آية ١٠٧ ، ١٠٨ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا * خالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُون عَنهَا حِوَلا ﴾ .

٢ – وقال تعالى فى سورة النحل : آية ٩٧ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حيَاةً طَيِّبَة وَلَنَجْزِيَنَّهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

٣ – وقال تعالى فى سورة الأحقاف : آية ١٣ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبنا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٤ – **﴿ وَالْعَصْرِ • إِنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ • إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالحق وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾** سورة العصر .

المساواة بين بنى آدم فى نظر الإسلام دون نظر إلى جنس أو لون :

إن الإسلام يسوى بين جميع المسلمين ، دون نظر إلى أى فارق بينهم من نوع كالذكورة والأنوثة ، أو لون كالبياض والسواد ، أو فروق اجتماعية كرئاسة ومرؤسية ، وحاكمية ومحكومية وغنى وفقر .

وإن درجات القرب من الله تتبع درجات القوة فى الإيمان ، والاستقامة على اتباع أحكام الشريعة التى فصلها فى كتابه الكريم .

قال تعالى فى سورة الحجرات : آية ١٣ :

﴿ يَأيها النَّاسُ إنَّا خلقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتْقَاكُمْ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة النساء : آية ١٢٣ ، ١٢٤ :

﴿ لَيْسَ بأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِى أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَبِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ الله وَلِيا وَلاَ نَصِيراً وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ .

المساواة بين المرأة والرجل فى المسئولية الدينية واستقلال كل منهما عن الآخر :

إن الإسلام تتساوى أمامه مسئولية المرأة مع مسئولية الرجل ، من الوجهة الدينية ، فتكلف المرأة بالعقيدة وبالعمل الصالح ، كما يكلف الرجل بهما تماماً

ومسئوليتها فى ذلك مسئولية لا تتأثر بمسئولية الرجل .

قال تعالى فى سورة التحريم : آية ١٠ ، ١١ :

﴿ ضَرَبَ الله مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صالِحَيْنِ فَخانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئاً وَقِيلَ ادْخلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ الله مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَونَ إذ قَالَتْ ربِّ ابْنِ لِى عندكَ بيتا فى الجنةِ ونجنى من فِرعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين ﴾ .

مساواة الابن الذى بلغ سن الرشد بوالده فى المسئولية الدينية واستقلال كل منهما عن الآخر :

إن الولد متى بلغ سن الرشد ، وهو اكتمال عقله ، تتقرر مسئوليته الدينية كاملة ومستقلة ، عن مسئولية والده .

قال تعالى فى سورة لقمان : آية ٣٣ :

﴿ يَأيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوْا يَوْماً لاَ يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً ﴾ .

عقائد الإسلام الأساسية :

إن أى مسلم عليه أن يؤمن بالعقائد الأساسية فى الإسلام ، وعددها أربع ، هى كالآتى :

أولا : وجود الله ووحدانيته وتفرده بالخلق والتدبير والتصرف ، وباستحقاق العبادة والتقديس ، وتنزهه عن المشابهة والحلول والاتحاد ، وعن المشاركة فى عزته وسلطانه ، والمماثلة فى الذات والصفات ولا تخضع القلوب ولا تتجه إلى شىء سواه .

قال تعالى فى سورة الإخلاص .

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحدا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام : آية ١٦٢ ، ١٦٤

﴿ قُلْ إنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أمِرْتُ وأنا أَوَّلُ الْمسْلِمين قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ .

ثانيا : الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده ، من نوح عليه السلام ، إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، لأن الله اصطفاهم من عباده وحملهم عن طريق ملائكته رسالته ووحيه إليهم ، لهداية الأمم التى أرسلوا إليها بالعقيدة والعمل الصالح ، دون

تفريق بين أحد منهم أو الإيمان بالبعض دون البعض الآخر ، وبذلك تكتمل وحدة الرسالات الإلهية .

قال تعالى فى سورة النحل : آية ٤٣ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء : آية ٧ ، ٨ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلا رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون. وَمَا جعلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الشورى : آية ١٣ :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة آل عمران : آية ٨١ :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾

وقال تعالى فى سورة البقرة : آية ١٣٦ :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بالله وما أُنزِلَ إِلَيْنَا وَما أُنزِلَ إلى إبراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحٰقَ ويعْقُوبَ والأَسباطِ وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى وما أُوتِى النَّبِيُّونَ مِنْ ربِّهِمْ لاَ نُفرِّقُ بيْنَ أَحدٍ منْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة النساء فيمن يفرق فى الإيمان ببعض الرسل دون البعض الآخر : آية : ١٥٠ - ١٥١ :

﴿ إنَّ الَّذِينَ يكْفُرُونَ باللهِ وَرُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بيْنَ اللهِ ورُسُلِهِ ويَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبعْضٍ ويُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سبيلاً ۝ أُولَٰئِكَ هُم الْكَافِرُونَ حقًا وأعْتدْنا لِلْكَافِرِينَ عذَاباً مُهِيناً ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأحزاب فى أن النبى محمدا ﷺ ختمت به رسالات السماء : آية ٤٠ :

﴿ ما كَانَ مُحَمَّدٌ أبا أحدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولَكِنْ رَسُولَ الله وخاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة المائدة عن رسالة محمد ﷺ وأنه بها تمت أسباب الكمال الدينى والدنيوى للإنسانية : آية ٣ :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ .

والرسالات التى كلف بها المرسلون قبل النبى محمد ﷺ ، كانت رسالات قومية ، أما رسالته هو ، فهى رسالة عامة ، موجهة للبشر جميعا فى أجناسهم ولغاتهم ، الموجودين وقت حياته ، والموجودين منهم بعد مماته إلى يوم الدين .

أما الرسالات السابقة فكانت رسالات قومية .

قال تعالى فى سورة الأعراف عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام :

﴿ لَقَدْ أَرْسلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾(١) .

﴿ وإِلَى عَادٍ أَخاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مالكم مِنْ إلَٰه غَيْرُهُ ﴾(٢) .

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾(٣) .

﴿ وَلُوطاً إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾(٤) .

﴿ وإِلَى مدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً ﴾(٥) .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بعْدِهِمْ مُوسى بآياتِنا إِلَى فِرْعَوْن وملَإِيهِ ﴾(٦) .

وقال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام

﴿ ورسُولاً إِلَى بَنِى إسرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ ربكُمْ ﴾(٧) .

(١) الأعراف آية (٥٩)
(٢) الأعراف آية (٦٥)
(٣) الأعراف آية (٧٣)
(٤) الأعراف آية (٨٠)
(٥) الأعراف آية (٨٥)
(٦) الأعراف آية (١٠٣)
(٧) آل عمران آية (٤٩)

وقال تعالى بالنسبة لعمومية رسالة النبى محمد ﷺ :

﴿ قُلْ يـٰأيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا ﴾[1] .

وقال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وأُوحى إِلَىَّ هذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ ومَنْ بلَغ ﴾[2] .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ وما أَرْسلْنَاكَ إلاَّ رَحْمةً لِلْعالَمِينَ ﴾[3] .

وقال تعالى فى سورة سبأ :

﴿ وما أَرْسلْنَاكَ إلاَّ كَافةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[4] .

ثالثا : الايمان بالملائكة ، وهم أجسام نورانية خلقهم الله سفراء الوحى بينه وبين رسله ، حتى يبلغوا رسالات الله إلى خلقه .

وقد قرر القرآن فيهم أنهم عالم غيبى ليس ماديا وهم ينفذون أوامر الله ، وأنهم ذوو وظائف وزعها عليهم ربهم سبحانه ، منها الآتى على سبيل المثال :

١ – قال تعالى عنهم فى سورة الأنبياء :

﴿ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يعْمَلُونَ ﴾[5] .

٢ – وقال تعالى فى سورة التحريم :

﴿ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ آية ٦ .

٣ – وقال تعالى فى سورة الشعراء عمن كلف منهم بتبليغ الوحى والرسالات إلى أنبيائه ورسله :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين . نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ آية ١٩٢ – ١٩٤ .

٤ – وقال تعالى عمن أيد به الأنبياءَ فى سورة البقرة :

﴿ وَآتَيْنا عِيسَى ابْن مَرْيَمَ الْبَيِّنَات و أَيَّدْنَاه بروُحِ الْقُدُسِ ﴾ آية ٨٧

---

(١) الأعراف آية (١٥٨)　(٢) الأنعام آية (١٩)
(٣) الأنبياء آية (١٠٧)　(٤) سبأ آية (٢٨)
(٥) الأنبياء آية (٢٦ – ٢٧)

٥ – وقال تعالى عمن يثبت به المؤمنين منهم فى سورة الأنفال :

﴿ إِذ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ آية ١٢ .

٦ – وقال تعالى فى سورة فصلت عمن كلفوا بتبشير المؤمنين الذين أحسنوا فى الدنيا بحسن العافية .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثم اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم الملائكة ألا تخافُوا ولا تحزنوا وَأَبْشِرُوا بالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتم تُوعَدُون ﴾ آية ٣٠ .

٧ – وقال تعالى فى سورة السجدة عمن كلف منهم بقبض الأرواح عند الموت :

﴿ قُل يَتوفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ آية ١١ .

٨ – وقال تعالى فى سورة الانفطار عمن كلف منهم بحفظ الإنسان فى دنياه :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكم لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ آية ١٠ – ١١ .

رابعا : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء ، سواءٌ منها ما أُنزل على محمد ﷺ ، وما أُنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن الإيمان لايتحقق إلا به ، فيجب الإيمان بإبراهيم وبموسى وتوراته ، وعيسى وإنجيله ، وبمحمد وقرآنه ، فاقتضى الأمر على المسلم الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب على مَنْ اصطفى من رسله .

خامسا : الإيمان بيوم الحساب وهو يوم القيامة ، حيث يجازى كل على عمله من خير أو شر .

قال تعالى فى سورة النجم :

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الجزاء الأَوْفَى * وَأَن إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ آية ٣٩ – ٤٢ وقال تعالى فى سورة الزلزلة .

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًا يره ﴾ آية ٧ ، ٨

وقال تعالى فى سورة الرحمن عن نعيم الآخرة :

﴿ ولمن خاف مَقَام ربِّه جَنَّتَانِ ﴾ آية : ٤٦ .

وقال تعالى فى سورة الهمزة عن عذاب الآخرة :

﴿ كلا لينبذنّ فى الْحُطَمَةِ * وما أَدراك ماالْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوَقَدَةُ * الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئدةِ ﴾ آية ٤ – ٧ .

وقال تعالى فى سورة البقرة عن جماع عقائد الإسلام الأساسية :

﴿ آمَنَ الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرِّق بين أحَد من رسله وقالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإليكَ الْمَصِيرُ ﴾ آية ٢٨٥ .

وقال تعالى فى سورة البقرة أيضاً :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهكمْ قِبَلَ المشرقِ والمغرب ولكِنَّ البِرَّ مَنْ آمنَ بالله والْيوم الآخِر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ آية ١٧٧

الإسلام :

هو أن يَشهد الرجل المكلف العاقل بالآتى فيقول :

١ – أشهد ألا إله إلا الله .

فالشهادة بوحدانية الله ، تتضمن كل العقيدة فى الله من جهتى الربوبية ، وهى الخلق والتربية والألوهية .

٢ – وأن محمدا رسول الله .

والشهادة برسالة محمد تتضمن التصديق بما جاءَ به فى الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وفروع الشريعة والأحكام .

والإسلام حينما يطلب من الناس الإيمان بتلك العقائد :

١ – لا يكرههم عليها لأن طبيعة الإيمان تأبى الإكراه .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ آية : (٢٥٦)

وقال تعالى فى سورة يونس :

﴿ ولو شاءَ ربُّك لآمَنَ مَنْ فِى الأَرْضِ كلُّهم جميعاً أفأنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ آية ٩٩ .

٢ – كذلك لا يحملهم على الإيمان بطريق الخوارق الحسية التى تدهش العقول وتلقى بها فى حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار .

قال تعالى فى سورة الشعراءِ :

﴿ إِنْ نشأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم من السَّماءِ آيةً فظَلَّتْ أعناقُهم لَهَا خاضِعين ﴾ آية : ٤ .

٣ – ولكن كانت حجته البرهان الذى يملأُ القلب من ناحية ويمس شعوره الباطنى وإحساسه الداخلى ، لذلك طلب منه النظر والتفكير فى هذا الكون ، بما يحتويه من أرض وما أُودع فيه من أسرار وبنى عليه من نظام محكم ، وأُفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات ، لا يلحقه خلل ولا انتكاس ، مما يوجب الاعتراف بأَنَّ لهذا الكون خالقاً مهيمنا عليه ، مدبرا له متصرفا فيه ، بماله من العلم الشامل ، والقدرة النافذة ، والحكمة البالغة ، حتى يصل إلى الغاية التى حددها له بعلمه وحكمته ، مما دل عليه وحيه لأنبيائه ورسله .

وهذا الطريق هو أُكثر ما أَرشد القرآن إليه ، ولا تكاد ترى سورة من سوره ، إلا وتدعو إلى التفكير والارشاد إلى إعمال العقل .

(ا) قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ إِنَّ فى خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ واخْتِلاَفِ اللَّيلِ والنَّهار والفُلْكِ التى تَجْرِى فِى الْبَحرِ بما يَنْفَعُ النَّاسَ ، وما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السماءِ من مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فيها من كل دَابَّةٍ وتصريف الرياح والسحاب الْمُسَخَّرِ بين السماءِ والأَرض لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلون ﴾ آية ٦٤ .

(ب) وقال تعالى فى سورة الذاريات :

﴿ وَالسماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَين لَعَلَّكم تَذَكَّرُونَ ﴾ آية ٤٧ – ٤٩ .

(جـ) وقال تعالى فى سورة الزخرف مشيرا إلى وجدان الإنسان الفطرى فى الاعتقاد بوجود الله :

﴿ وَلَئِنْ سأَلْتهم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيز العليم ﴾ آية ٩ .

وقال تعالى فى سورة فصلت :

﴿ وإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ ونأى بجانبه وإذَا مَسَّهُ الشر فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ آية ٥١ .

وقال تعالى فى سورة يونس مصورا إحساس فرعون ، حينما أُدركه الغرق إذ

اعترف بوجود الله بعد أن كان قبل ذلك منكرا له ، بل زاد على ذلك أنه ادعى الألوهية :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُم فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بغياً وَعَدْواً حتى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قال آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وَأنا مِنَ المسلمين ۝ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ۝ فاليوم نُنَجِّيكَ ببدنك لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيةً وإنَّ كَثِيرا مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنَا لغافلون ﴾ آية ٩٠ – ٩٢ .

٤ – وَحجة الإسلام فيما يتعلق برسالات الأنبياء والرسل السابقين عامة ورسالة النبى محمد ﷺ خاصة ، وما يعرف عن طريقها من ضرورة الإيمان بالملائكة والكتاب والنبيين واليوم الآخر ، حجته فى كل ذلك هو القرآن الكريم ، فهو المعجزة الدائمة الباقية على مر الزمان ، والتى تعمل عملها فى العقول مهما امتدت بها الحقب ، فتوجهها نحو الحق ، وتحضها على النظر فى آيات الله الكونية والنفسية ، قال تعالى فى سورة العنكبوت :

﴿ وَمَا كنت تَتْلُو من قبله مِنْ كِتابٍ وَلاَتَخُطُّهُ بيمينك إِذًا لاَرْتَابَ المبطلون ۝ بل هو آيات بَيِّنَات فى صدور الذين أُوتوا العلم وما يَجْحَدُ بآياتنا إلا الظَّالمون ۝ وقالوا لولا أُنزل عليه آياتٌ من رَبه قل إنما الآيات عِنْدَ الله وإنما أنا نذير مبين ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلْنا عليك الكتاب يُتْلَى عليهم إنَّ فى ذَلِك لَرَحْمَةً وذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قل كَفَى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أُولئك هم الخاسرون ﴾ آية ٤٨ – ٥٢ .

وحدانية الإله فى نظر الإسلام وإنكاره تعدد الآلهة :

يقرر الإسلام فى جانب الإله الوحدانية الشاملة .

١ – وحدانية الربوبية فلا خالق ولا مدبر ولا متصرف سواه .

٢ – ووحدانية الألوهية فلا معبود ولا مسئول ولا مستعان سواه ، وكثيرا ما يستدل بوحدانية الربوبية التى تشهد بها الفطرة ، ويعترف بها الإنسان على وحدانية الألوهية .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَاأَيها النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ۝ الَّذِى جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَل من السماء ماء فَأَخرجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً وأَنتمْ تعلمُونَ ﴾ . آية ٢١ – ٢٢ .

٣ – وقد نعى القرآن الكريم كثيرا على من عدَّد الآلهة فاتخذ إلهين اثنين ، أو اتخذ التثليث ، أو عبد شيئا من الخلق كالكواكب مثل : الشمس والقمر أو عبد الأصنام .

وقد حرك عقول المعدِّدين للآلهة نحو النظر والتفكير فيما يوجب وحدة المعبود تامة كاملة .

قال تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعه آلهةٌ كَما يقولون إذا لابْتَغَوْا إلى ذى العرش سَبيلا ﴾ آية ٤٢ .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهة إلا الله لَفَسَدَتا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ العرشِ عمَّا يصفون ﴾ آية ٢٢ .

وقال تعالى فى سورة المؤمنون :

﴿ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ وَلَد وما كان معه من إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بما خلق وَلَعَلاَ بعضُهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يشركون ﴾ آية ٩١ – ٩٢ .

وقال تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سواء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إلا الله وَلا نُشرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنَ دُونِ الله ﴾ آية ٦٤ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ إِنى وجَّهتُ وَجْهِىَ للذى فَطَرَ السمواتِ والأرض حنيفاً وَما أَنا من المشركين ﴾ آية ٧٩ .

منزلة الإنسان أمام الإسلام وحريته واختياره فى أداء الخير والشر :

يقرر الإسلام أن الله خلق الإنسان مستعدا لفعل الخير والشر ، فهو بإمكانه إسعاد نفسه بالخير أو أن يشقيها بالشر ، وذلك فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى فى سورة الإنسان :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ آية (٣) .

وقال تعالى فى سورة النحل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ماكانوا يعملون ﴾ آية (٩٧) .

من كُلِّ ذلك نرى أن الانسان خلقه الله بقدر من الحرية والاختيار فى حياته يفعل الخير مختارا فيثاب ، ويفعل الشر مختاراً فيعاقب ، وبتلك الحرية وهذا الاختيار كلفه الله ، وأرسل إليه الرسل لهدايته وإرشاده ، ثم تركه وما يختار لنفسه من خير أو شر ، وعلى هذا الأساس ، يكون جزاؤه يوم القيامة ، وإلا لبطلت التكاليف الشرعية .

قال تعالى فى سورة الأعراف .

﴿ هل يُجْزَوْنَ إلا ماكانوا يعملون ﴾ آية ١٤٧ .

وقال تعالى فى سورة الشمس .

﴿ ونفسٍ وَمَا سوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أفلح من زَكَّاهَا وقد خاب مَنْ دَسَّاهَا ﴾ آية ٧ – ١٠ .

أما القضاءُ والقدر اللذان وَرَدَ فى القرآن ذكرٌ لهما ، فقد استغلهما أعداءُ الاسلام ، فزعموا أن المسلمين يعتمدون عليهما فى حياتهم ، مما أدى إلى ضعفهم ، والحقيقة أن القرآن وفيه القول الفصل ينكر ذلك على من يعتذر بهما ، وقديما اعتذر المشركون عن شركهم ، بأنهم مجبورون بمشيئة الله على شركهم ، فنعى عليهم ذلك سبحانه وتعالى بما منحهم من عقل ، وماأرسل إليهم من رسل ليختاروا بأنفسهم طريق الهدى أو طريق الضلال .

قال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ سَيَقُولُ الذينَ أشركُوا لَوْ شَاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حَرَّمْنا من شيءٍ كذلك كَذَّبَ الذين من قبلهم حتى ذاقوا بَأْسَنَا قُلْ هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إنْ تَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإنْ أنتم إلا تَخْرُصُونَ . قل فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ البالغةُ فَلَوْ شَاءَ لهداكم أجمعين ﴾ آية ١٤٨ – ١٤٩ .

وقال تعالى فى سورة الليل :

﴿ فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بالْحُسنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ آية ٥ – ١٠ .

سماحة الإسلام :

من كل ما تقدم يتبين أن طبيعة الإسلام ، تدل على أنه دين يتسع للحرية الفكرية بألوانها المختلفة ، وبذلك فهو يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة ، التى يتفتق عنها عقل البشر فى صلاح الحياة وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة .

الفصل الثانى

الشريعة

ثانيا : الشريعة :

الشريعة هى النظم والأحكام التى شرعها الله سبحانه وتعالى ، وكلف المسلمين بها فى علاقتهم بربهم وعلاقتهم بالناس ، وهى فى مجموعها تنقسم إلى قسمين رئيسين ، حسب الآتى :

١ – القسم الأول : الأحكام التى يتقرب بها المسلمون إلى ربهم . وهذه تعرف باسم العبادات ، وهى الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة النبى محمد ﷺ ، والصلاة والصوم والزكاة والحج ، وهى العمد التى بنى عليها الإسلام ، إذ يقول رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

وكل هذه العبادات مفصلة فى علوم الإسلام المختلفة من توحيد وفقه ، يمكن الرجوع إليها فى كتب الفقهاء المتخصصين .

ويتبع تلك القواعد الخمسة – فروع مختلفة من المأمورات والمنهيات والمباحثات ومكارم الأخلاق ، تكفل ببيانها الكتاب والسنة .

٢ – القسم الثانى : ويضم أحكام المعاملات ، ويتفرع هذا القسم إلى فروع مختلفة كالآتى :

(ا) ما يتعلق بشئون الأسرة الإسلامية ، وأحكام الميراث بين أفراد هذه الأسرة ،

لأن الأسرة لبنة من لبنات الأمة ، فالزواج هو أصل الأسرة به تتكون ومنه تنمو ومن هنا كان تنظيم الفطرة البشرية عن طريق الزواج ، وهو سبيل تبادل المحبة بين الزوجين أولا ، وبين هذين الزوجين وأولادهما وأحفادهما ثانيا ، وبين هذه الأسرة وبين من يرتبط بها من الأسر والقبائل المختلفة بعلاقات القرابة والنسب والدين من جهة ثالثة .

والقرآن عالج هذه العناصر الثلاثة .

قال تعالى فى سورة الروم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّن أنفسِكُم أزواجا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وجَعَلَ بينكم مَوَدَّةً ورحمةً ﴾[1] .

وقال تعالى فى سورة النحل :

﴿ وَاللهُ جَعَلَ لكم مِنْ أنفسكم أزواجا وجعل لكم مِنْ أزواجكم بَنِينَ وَحَفَدَةً ورزقكم من الطيبات ﴾[2] .

وقال تعالى فى سورة الحجرات .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الناس إِنَّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وقبائلَ لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتْقَاكُم إنَّ الله عليم خبير ﴾[3] .

أما الميراث فى الإسلام فإن استحقاقه ينبنى على الآتى :

١ – علاقة القرابة والزوجية والولاء .

٢ – ولكل مستحق نصيبه فى الميراث دون اعتداد بذكورة وأنوثة وصغر وكبر .

٣ – أن الآباء والأبناء ، وهم الأصول والفروع لا يسقطون فى أصل الاستحقاق .

٤ – لا إرث للاخوة والأخوات مع وجود الأبوين .

٥ – إذا اجتمع فى المستحقين ذكور وإناث أخذ الذكر ضعف الأنثى إلا فى بعض الحالات كالاخوة لأم إذا ورثوا ، فإن الذكر منهم يرث مثل الأنثى .

ومما تجدر ملاحظته أن تركة المورث التى ينبى عليها استحقاق الميراث ، هى ما

(١) الروم آية (٢١)
(٢) النحل آية (٧٢)
(٣) الحجرات آية (١٣) .

يتبقى من ممتلكاته بعد قضاءِ ديونه وتنفيذ وصاياه المباحة فيما لا يجاوز الثلث ، وإن كان وارثا لا تنفذ الوصية له إلا بإجازة باقى الورثة ، وكل ذلك مفصل فى علم المواريث ومنْ شاءَ التوسع فى ذلك فليرجع إلى المصنفات والمراجع الخاصة بها .

والحكمة التى توخاها الإسلام فى توزيع الأنصبه على ما فصله من مستحقين ، ترجع إلى قواعد فى غاية العدل والحكمة نجملها فى الآتى :

(١) نظر الإسلام إلى أن توزيع التركة على أرباب القرابة والزوجية ، يضاعف إخلاص القلوب ويربط بعضها ببعض ، أما إذا خص البعض دون الآخر فإنه يورث تنافر القلوب وتفكك رابطة الأسرة .

(٢) عدم تكدس الأموال والتركات والتى يخلفها المورثون فى يد واحدة ، مما يؤدى إلى الطغيان المالى ، ويثير فى الجماعات الحقد وحرب الطبقات ، ويتنافى مع العدل والإنصاف .

(٣) أما فى إعطاءِ الرجل ضعف نصيب المرأة فى الميراث فإن ذلك يرجع إلى أن أعباءَ المرأة فى حياتها ، ونفقة أولادها وتكاليف زواجها ، مرفوعة عن كاهلها وموضوعة على الرجل ، فكان من العدل بينهما ، أن يكون لهذا الرجل فى كمية الاستحقاق للميراث ضعفها ، حتى يتمكن من القيام بأعباءِ حياته وحياة زوجته وحياة أولاده وأسرته ، أما إعطاء المرأة النصف ، فهو للوقاية مما يحتمل أن تقع فيه أو تصير إليه من فقد مصدر الإنفاق عليها .

وقد بين القرآن فى آيات ثلاث من سورة النساءِ أنصباء الأولاد والوالدين والزوجين والأخوة .

١ – قال تعالى :

﴿ يُوصِيكُم اللهُ فِى أَوْلادِكُم للذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فإنْ كُنَّ نِسَاءً فوق اثْنَتَيْنِ فَلَهُن ثُلُثَا ماتَرَكَ وَإن كانت واحدةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكل واحد منهما السُّدُسُ مما تَرَكَ إن كان له ولد فَإنْ لم يكن له ولد وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإن كان له إخوة فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ من بعد وصيَّةٍ يُوصِى بها أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُم وأبناؤُكم لاتَدْرُونَ أَيُّهُم أَقْرَبُ لكم نفعاً فَرِيضَةً مِنَ الله إنَّ الله كان عليما حكيماً ﴾[1] .

(١) النساء آية (١١)

٢ – وقوله تعالى :

﴿ وَلَكُم نِصْفُ ما ترك أزواجكم إنْ لم يكُنْ لَهُنَّ ولد فإن كان لَهُنَّ ولد فلكم الرُّبُعُ مما تَرَكْنَ من بَعْدِ وصَّية يُوصِينَ بها أو دَيْنٍ وَلَهُنَّ الربع مما تركتم إنْ لم يكن لكم ولد فإنْ كان لكم وَلد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإنْ كان رجل يُورَثُ كَلالَة أو امْرَأَةٌ وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يُوصَى بها أو دَيْنٍ غير مُضَار وَصِيَّةً من الله والله عليمٌ حليمٌ ﴾[1] .

٣ – والآية الثالثة قوله تعالى :

﴿ يَسْتَفْتُونكَ قُل الله يُفْتِيكُم فِي الْكَلالَةِ إنِ امْرُؤٌ هلَك ليس له ولد وَلَهُ أُخت فَلَهَا نِصْفُ مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إن لَمْ يكُنْ لها ولد فَإنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مما ترك وإن كانوا إخوةً رجالا ونساءً فَلِلذَّكَرِ مثلُ حظّ الأُنْثَيينِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شيء عَلِيم ﴾[2] .

(ب) ما يتعلق بالأموال والمبادلات :

نظر القرآن إلى المال نظرة واقعية ، فوصفه بأنه زينة الحياة الدنيا ، وسوى بينه وبين الأولاد ، فالمال قوام المعاش ، ولما كان الإسلام قد رسم للروح طريق سعادتها فى العقيدة والعبادة ، كان من الطبيعى أن يرسم للجسد طريق سعادته هو الآخر ، لذلك رسم له طرقا لتحصيل المال فيها النشاط والعمل والحيوية وعمارة الكون .

قال تعالى :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الكهف : آية ٤٦ .

---

(١) النساء (١٢) .
(٢) النساء آية (١٧٦) .

الطرق التى رسمها الإسلام لتحصيل المال :

١ – التجارة : قال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِه ﴾ الملك : آية ١٥ .

قال تعالى فى سورة قريش :

﴿ لإيلافِ قُرَيْش * إيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشتَاءِ وَالصَّيْف * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهم مِّنْ خوف ﴾ .

فقد أقر الله فيها مسلكهم فى التجارة ، واعتبرها نعمة تقتضيهم أن يشكروا الله عليها بعبادتهم له وحده ، فهو الذى أطْعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

٢ – الزراعة : وقد أشار القرآن إلى ذلك بالنظر إلى ما أنزل الله من السماءِ من مطر وكيف تتشقق الأرض بعد ذلك بمختلف الحبوب والفاكهة .

قال تعالى فى سورة عبس :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإنْسَانُ إلى طعامه * أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صبًّا * ثم شققنا الأرض شقا * فَأَنْبَتْنَا فيها حبًّا * وعنبا وَقَضْبًا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غُلْبًا * وفاكهة وَأَبًّا * مَتَاعاً لكم وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ آية : ٢٤ – ٣٢ .

٣ – الصناعة : وهى من أقوى العمد التى تقوم عليها الحضارة ، وقد أشار القرآن إلى صناعات عديدة لاغنى للحياة عنها فمثلا :

(ا) قال تعالى عن صناعة الحديد فى سورة الحديد :

﴿ وأَنْزَلْنَا الحديد فيه بَأْسٌ شديد ومنافع للناس ﴾ آية ٢٥ .

(ب) وقال تعالى عن صناعة الملابس فى سورة الأعراف :

﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُم وَرِيشاً ﴾ آية ٢٦ .

(ج) وقال تعالى عن صناعة المبانى والقصور فى سورة النمل :

﴿ قيلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عن سَاقَيْهَا قال إنَّهُ صَرْحٌ ممرد من قَوَارِيرَ ﴾ آية ٤٤ .

ولم يقيد الإسلام وقت تحصيل المال بقيدٍ مَا ، اللهم إلا أداء الصلاة خصوصا

صلاة الجمعة ، قال تعالى فى سورة الجمعة .

﴿ يَاأَيُّهَا الذينَ آمنوا إذا نُودِىَ للصلاة من يوم الْجُمُعَةِ فَاسعَوْا إلى ذكر الله وَذَرُوا الْبَيعَ ﴾ آية ٩ .

وقال تعالى فى نفس السورة السابقة (سورة الجمعة) :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فى الأرض وَابْتَغُوا من فضل الله ﴾ آية ١٠ .

عناية الإسلام بالمحافظة على المال وصرفه فى سبله المشروعة وعدم البخل والشح به :

يعنى الإسلام بالمحافظة على المال ، فيطالب الاعتدال فى صرفه ، وينهى عن الإسراف فيه ، كما ينهى عن البخل والشح وعدم القيام بصرفه فى غير وجوهه المشروعة .

(ا) قال تعالى فى سورة الفرقان :

﴿وَالَّذينَ إذَا أنْفَقُوا لم يسرفوا ولم يَقتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذلك قَوَاماً ﴾ آية ٦٧ .

(ب) وقال تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَلاَ تجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ آية ٢٩ .

(ج) وقال تعالى فى سورة التوبة :

﴿ والذين يَكْنِزُونَ الذَّهب والفضة ولا يُنْفِقُونَهَا فى سبيل الله فَبَشِّرْهُم بعذاب أليم. يوم يُحْمَى عليها فى نار جهنم فَتُكْوَى بها جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهم وَظُهُورُهم هذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسكمْ فَذُوقُوا ما كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ آية ٣٤ – ٣٥ .

وقال رسول الله ﷺ :

« إياكمْ وَالشحَّ فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » .

(هـ) ويقول صلوات الله وسلامه عليه أيضا :

« اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يسفكوا دماءَهم ويستحلوا محارمهم » .

تشديد الإسلام فى تحصيل المال بالطرق المشروعة :

١ – فينهى الإسلام عن تحصيل المال بطريق الربا ، لأن فيه استغلالا لحاجة الضعيف وقت اضطراره واحتياجه .

٢ – كما ينهى عن تحصيل المال بطريق السرقة والانتهاب والتسول .

٣ – ولا يرضى بتحصيله عن طريق التجارة فيما يفسد العقل ، والأخلاق والصحة ، كبيع الخمر والخنزير ، أو تحصيله بطريق المقامرة وبيع الأعراض والرقص ، أو بطريق الرشوة التى تذهب بالحقوق المشروعة لأصحابها .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بينكم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آية ١٨٨ .

وقال تعالى فى سورة النساءِ :

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لهم وَبِصَدِّهِم عَنْ سَبِيلِ الله كثيراً. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ﴾ آية ١٦٠ ، ١٦١ .

وقد عرض الإسلام لجانب النظم التى تبنى عليها المبادلات المالية ، وفيها أحكام العقود المختلفة ، التى أحلها الإسلام ، من بيع وإجارة ، وغيرهما من طرق استثمار الأموال كالمضاربة والشركة ، كما بين أحكام الأمانات وطرق الاستيثاق فى الديون ، وغير ذلك مما يجرى بين الناس ويحتاجون إليه فى انتظام حياتهم ، وحفظ حقوقهم ومصالحهم ، وهى مفصلة فى كتب الفقهاء المتخصصين ، ومن شاءَ التوسع فليرجع إليها .

(ج) فيما يتعلق بالعقوبات :

سلكت الشريعة الإسلامية بالنسبة إلى ارتكاب المحرمات طريقين هما :

١ – ما يتصل بالجانب الخلقى ، وهو ما كان من المحرمات خفيا كالغيبة والنميمة

والحسد والحقد والكذب ، فقصرت الشريعة العقوبة فيه على التحذير بالعقوبة الأخروية ، التى يحاسب عليها رب العباد يوم القيامة .

٢ – ما يتصل من المحرمات بجانب الحياة العامة ، فجعلت له عقوبات دنيوية ، لما لهذه المحرمات من آثار سيئة على الأفراد ، والجماعات ، وعقوبات هذه المحرمات إما نصّيّة أو تفويضية .

أولا : العقوبات النصية :

وهى التى نص عليها فى القرآن الكريم أو السنة بالنسبة لجرائم معينة هى :

١ – الاعتداء على الدين :

ويكون بالردة أو إنكار ما علم منه بالضرورة أو ارتكاب ما يدل على الاستخفاف والتكذيب ، وقد أثبت الفقهاءُ العقوبة على ذلك بالقتل استنباطا من الحديث النبوى ، لأن القرآن قرر جزاء ذلك حبوط العمل .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ ... وَمَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ آية ٢١٧ .

وقال رسول الله ﷺ : .

(من بدل دينه فاقتلوه) .

إذا ارتكب شخص جريمة القذف للمحصن ، ولم يستطع أن يأتى بأربعة شهداء ، فعقوبته ثمانون جلدة .

وهناك حكم بالنسبة لمن يضبط امرأته ولم يستطع إحضار شهود أربعة وقد فصل ذلك فى باب اللعان استخلاصا مما نزل عنه فى القرآن .

أما الزانى والزانية فعقوبة كل واحد منهما مائة جلدة بالنسبة لغير المحصن ، أما المحصن فعقوبته الرجم ، وإن كان الأخير موضع خلاف عند بعض الفقهاء كابن حزم الأندلسى الذى لم يثبت لديه حد الرجم وتفصيل كل ذلك فى كتب الفقه .

قال تعالى فى سورة النور :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثم لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذلك وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آيتان ٤ ، ٥ .

وقال تعالى فى سورة النور أيضًا :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لهم شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فشهادة أحدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بالله إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أن لَعْنَةَ اللهِ عليه إن كان من الكاذبين * ويدرأ عنها العذاب أن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شهادَاتٍ بالله إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِين ﴾ آيات ٦ – ٩ .

وقال تعالى فى سورة النور أيضًا :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وليشهد عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنين ﴾ آية ٢ .

٣ – عقوبة الاعتداء على الأموال بالسرقة :

وقد حدد الشارع هذه العقوبة بعد ثبوت الجريمة بقطع يد السارق .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَة فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آية ٣٨ – ٣٩ .

وفى كتب الفقه عالج الفقهاءُ استناداً إلى الأحاديث النبوية فى هذا الباب مقدار المسروق الذى يتقرر على أساسه حد القطع كما ذكروا محل القطع وكيفيته وتحدثوا عن التوبة وصلاح النفس وهل يسقطان الحد أولا يسقطانه الخ ما ذكروه عن ذلك .

٤ – عقوبة الاعتداء على الأمن العام بالمحاربة والإفساد فى الأرض :

وقد حددها الشارع فى القرآن أيضا بالقتل ، أو قطع اليد والرجل من خلاف .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ إنما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسولَه وَيَسْعَوْنَ فى الأَرْضِ فسادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقطَّعَ أَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنيَا ﴾ آية ٣٣ .

٥ – عقوبة الاعتداء على العقل بشرب ما يسكر :

وردت عقوبته فيما ورد عن النبى ﷺ أنه ضرب شارب الخمر بجريدة نحو أربعين ، وفعل ذلك أبو بكر الصديق ، وهو الذى جرى عليه الفقهاء .

وفى الخمر يقول سبحانه وتعالى فى سورة المائدة :

﴿ يَأَيها الَّذِين آمَنوا إنَّمَا الْخمْرُ والمَيْسِر وَالأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ. إنما يُرِيدُ الشَّيْطَان أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فى الْخمْرِ والْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾ .آية ٩٠ – ٩١ .

٦ – عقوبة الاعتداء على النفس بالقتل فى الأديان السماوية حسب النصوص الموجودة حاليا فيها :

أولا قص القرآن فيما قصه علينا جريمة القتل الأولى ، التى وقعت على الأرض من ابنى آدم ، وما أفضت إليه من الخسران والندم ، وربط بها أول تشريع جنائى

وهو القتل ، وجعل من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، كما نص عليه القرآن العظيم ، وسيأتى مزيد من التفصيل لذلك .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آية ٣٠ .

ورد بالتوراة أن القتل من أكبر الذنوب وأفظع الجرائم وأن جزاءه القصاص ، ففى سفر الخروج إصحاح [1] ٢١ عدد ١٢ ما يأتى :

« من ضرب إنسانا فمات فليقتل قتلا فإن لم يتعمد قتله بل أوقعه الله فى يده فسأجعل له مكانا يهرب إليه .. وإذا بغى إنسان على صاحبه فقتله اغتيالا ، فمن قدام مذبحى تأخذه ليقتل ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة و لم يقتل بل سقط فى الفراش ، فإن قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا إلا أنه يعوضه عطلته وينفق على شفائه وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل ، وكيا بكى ، وجرحا بجرح ورضًا برضٍ » .

وفى سفر التثنية إصحاح ١٩ ورد به :

« لا يسفك دم برىء فى وسط أرضك التى يعطيكها الرب إلهك ميراثا فيكون دمه عليك — وإن كان رجل مبغضا لصاحبه فكمن له ووثب عليه وضربه ضربة قاتلة فمات ، ثم هرب إلى إحدى هذه المدن فليتوجه شيوخ مدينته ويأخذوه من ثم ، ويسلموه إلى ولى الدم فيقتل ، ولا تشفق عينك عليه بل أزل دم البرىء عن إسرائيل فيصيب خيرا »[2] .

ثالثا : جريمة القتل فى الإنجيل :

يقول كثير من المسيحيين ومفسريهم ، إن قتل القاتل لم يكن من شريعة الإنجيل ،

---

(١) الكتاب المقدس ـــ العهد القديم .

(٢) الكتاب المقدس ـــ العهد القديم .

استنادا إلى نص ورد بإنجيل متى ، وبناء على ذلك كانت الدية محتمة عندهم فى حالة القتل العمد .

« سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الآخر ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين » (٢)

وللناظر أن يرى أن إنجيل متى السابق ، ليس فيه نفى للقود من القاتل ، وأن قوله (لا تقاوموا الشر) يجرى مجرى العفو والتسامح ، ولا يتنافى مع استمرار حكم القصاص الذى جاءت به التوراة ولاسيما إذا انضم إلى ذلك قول السيد المسيح عليه السلام :

ما جئت لأنقض الناموس ، وإنما جئت لأتمم .

رابعا : جريمة القتل فى القانون الرومانى :

(ا) إذا كان الجانى من الأشراف أو أرباب الوظائف الحكومية رفع عنه القتل واكتفى بنفيه .

(ب) وإذا كان من أواسط الناس كانت عقوبته قطع الرقبة .

(ج) وإذا كان الجانى من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب ثم تبدل ذلك الحكم فأصبحت العقوبة إلقاء الجانى فى حظيرة حيوان مفترس ، ثم تبدل ذلك فأصبحت العقوبة الإعدام شنقا .

خامسا : جريمة القتل فى العصر الحديث :

أصبحت جريمة القتل فى قوانين الأمم الحديثة ضمن الجرائم التى يختص بتوقيع العقاب فيها نظام الحكم فى هذه الدول ، حيث أصبح لرئيس الدولة حق تخفيف العقوبة أو حق العفو عن العقوبة .

---

(٢) إنجيل متى — الكتاب المقدس — العهد الجديد .

سادسا : جريمة القتل عند العرب قبل الإسلام :

كان العرب يقولون : (القتل أنفى للقتل) لكنهم انسياقا لحكم العصبية القبلية والحمية الجاهلية وجنون الثأر ، كانوا يسرفون فى القود من القاتل ، فمثلا :

(ا) كثيرا ما كانوا يطلبون غير القاتل بالقتل .

(ب) بل يطلبون العدد بالواحد .

(ج) ويطلبون قتل الرجل بالمرأة .

(د) وقتل الحر بالعبد .

(هـ) بل كانوا كثيرا ما يأخذون الإنسان بالبهيمة .

وقد أدى هذا الإسراف إلى دفعهم إلى الحروب ، فتمتد من قبيلة إلى قبيلة ، حتى تنتهى بفناء كثير من أفرادها .

سابعا : جريمة القتل فى نظر الإسلام :

لما كان الإسلام هو آخر الأديان السماوية ، اتخذ الحد الوسط بين طرف الإفراط والتفريط فى كل شىء ، فى عقائده وأخلاقه — كما قدمنا — وفى شرائعه التى تنظم حياة الفرد والجماعة ، ومن ذلك جريمة القتل إذ توخى فى عقوبتها أصولا بعدت بها عن طرف الإفراط والتفريط .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ﴾ آية ١٤٣

وفى سبيل وقاية المجتمع من جريمة القتل وضع عقوبة القتل للجانى القاتل مبيحا بها دمه ، فضلا عما جاء عنها من عقاب أخروى لمن ارتكب إثمها .

جاء عن رسول الله ﷺ فى الأحاديث النبوية :

« لا يحل قتل مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال :

زان محصن فيرجم .

ورجل يقتل مسلما متعمدا فيقتل .

ورجل يخرج من الإسلام ، فيحارب الله ورسوله ، فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض » .

أما القرآن فوردت به النصوص الآتية :

قال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشرِكُوا به شيْئاً وَبالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وَلا تقتُلُوا أَوْلادكُم من إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُم وَإيَّاهُم ولا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ منها وَمَا بَطَن ولا تقْتُلُوا النَّفسَ الَّتى حَرَّمَ الله إلا بالحقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم به لعلكم تعقلون ﴾ . آية ١٥١ .

وقال تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَلاَ تقْتُلُوا أولاَدَكُمْ خشيَةَ إمْلاقٍ نَحنُ نَرْزُقُهُمْ وَإيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً . وَلاَ تقْرَبُوا الزِّنَى إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً . وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ ﴾ . آية ٣١ - ٣٣ .

وقال تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عظيما ﴾ آية ٩٣ .

وقال تعالى فى سورة الفرقان :

﴿ وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الذين يَمْشُونَ على الأرضِ هَوْناً وَإذَا خاطَبَهُم الجَاهِلُون قَالُوا سَلاَمًا . والَّذِينَ يَبِيتُونَ لربهم سُجَّداً وقِيَامًا . والذين يقولون ربنا اصْرِفْ عَنَّا عذاب جهنم إنَّ عَذَابَها كان غَرَامًا . إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَامًا . والَّذِين إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يسرفوا ولم يَقْتُرُوا وكان بين ذَلِكَ قَوَامًا . والَّذِينَ لاَيَدْعُونَ مَعَ الله إلَهاً آخرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إلا بالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالحا فَأولئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . آيات ٦٣ - ٧٠ .

وقرر الإسلام التكافؤ بين الناس جميعا فى الدماء ، ولم يجعل لدم أحد فضلا على دم آخر ، ولم ير فى المجموعة البشرية من هذه الناحية شريفا لا تمتهن حياته بجريمته ، وآخر غير شريف تكون عقوبته إعدام حياته .

قال رسول الله ﷺ عليه وسلم من خطبة له فى حجة الوداع :

(أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألاهَل بلغت اللهم أشهد) .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَأيها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ والْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بالأنثى ، فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إلَيْهِ بإحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ، فمنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِى الأَلْبَاب لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . آية ١٧٨ - ١٧٩ .

ومع أن الإسلام أقر القصاص عقوبة لجريمة القتل لم يرأنه واجب متعين لابد منه ، بل خير بينه وبين العفو ، وخيّر فى العفو بين الدية أو الصلح وبين العفو المطلق أيضا .

قال تعالى فى سورة الشورى :

﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ آية ٤٠ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ منْ أَخِيه شىءٌ فَاتِّبَاعٌ بالمعْرُوفِ وأَدَاءٌ إلَيْهِ بإحْسَان ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . آية ١٧٨ .

انفراد الجانى فى المسئولية أمام الإسلام :

١ - قرر الإسلام أن مسئولية الجانى لا يتحملها أحد غيره .

قال تعالى فى سورة الأنعام :
﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نفسٍ إلا عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . آية (١٦٤) .

٢ – لا يتحمل الجانى من المسئولية أكثر مما ارتكب عند العقاب .
قال تعالى فى سورة النحل :
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِ ﴾ . آية ١٢٦ .

ثامنا : جريمة القطع أو الجرح :

وتكون باعتداء الجانى بقطع عضو أو جرحه ، وعقوبتها هى المسماة فى لسان الفقهاءِ باسم القصاص فيما دون النفس ، ، وقد استدل الفقهاءُ على العقوبة فيها بما ورد فى القرآن وفى السنة وبإجماع المسلمين .

١ – قال تعالى فى سورة المائدة :
﴿ وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فيها أَنَّ النَّفْسَ بالنفسِ وَالْعَيْنَ بالعينِ وَالْأَنْفَ بالأَنْفِ وَالاذُنَ بالأُذن وَالسنَّ بالسنِّ وَالْجروحَ قِصَاصٌ ﴾ . آية ٤٥ .

فهذه الآية وإن كانت حكاية لما كتبه الله فى التوراة على بنى إسرائيل ، إلا إنه سبحانه وقد حكاها فى القرآن أيضا من غير إنكار لها ، فإنها تكون حكما لازما للمسلمين أيضا .

٢ – قال تعالى فى سورة البقرة :
﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . آية ١٩٤ .

٣ – وقال تعالى فى سورة النحل :
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابرِين ﴾ . آية ١٢٦ .

٤ – وقال تعالى فى سورة الشورى :
﴿ وجزاءُ سَيِّئَةٍ سيِّئَةٌ مِثْلُها ﴾ . آية ٤٠ .

وأما ماورد فى السنة :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرُّبَيِّع كسرت ثنية جارية ، فطلبوا إلى أهلها العفو ، فأبوا فعرضوا عليهم الأرش (وهو البدل المالى للجناية) فأبوا ، فأتوا رسول الله ﷺ فأبوا إلا القصاص ، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص ، فقال أنس بن النضر : يا رسول الله أتكسر ثنية الرُّبَيِّع ؟ لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أنس « كتاب الله القصاص » فرضى القوم ، فعفوا ، فقال رسول الله ﷺ : (إنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبرَّهُ) .

وأما ما ورد بإجماع المسلمين :

فقد اتفقت الأمة من لدن النبى ﷺ ، على مشروعية القصاص ، ثم تلاحقت أجيال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين على مشروعيته ، دون أن يعلم أن هناك مخالفا أو منكراً له .

ثانيا : العقوبات التفويضية :

وهى التى رأت الشريعة أن تفوض الإمام أو الحاكم فى أن يعاقب على بعض الجرائم بعقوبة يراها رادعة ، وهى المعروفة فى كتب الفقه باسم التعزير ، وتكون فى الصور الآتية :

١ – فى الجرائم التى لم تحدد لها شريعة الإسلام عقوبة معينة .
٢ – فى الجرائم التى حددت لها عقوبات معينة كما سبق لكن لم تتوافر فيها شروط تنفيذ هذه العقوبة ، كأن وجدت شبهة فى الزنا ، أو السرقة ، أو القصاص ، أو حصل شروع فى قتل لكن لم تتم جريمة القتل .

ومن أمثلة التعزيز فى عهد عمر بن الخطاب :

١ – كان يحلق الرأس .

٢ – كان ينفى الشخص المستحق للتعزير .
٣ – كان يحرق حوانيت الخمارين والقرية التى تباع فيها الخمر .
٤ – عندما احتجب سعد بالكوفة عن الرعية أمر بإحراق قصره .
٥ – استعمل درته ليضرب بها من يستحق الضرب ، ولقد ضرب النوائح حتى بدا شعرهن .
٦ – كما اتخذ داراً ليسجن فيها من يستحق التعزير بالسجن .

القسم الثالث – الدولة فى الإسلام :

تتميز الدولة فى الإسلام بمزايا ومقومات هى سرُّ العظمة والمجد والقوة ، وهذه المقومات تنحصر فى أربعة :

أولا : الأخوة الدينية :

رفع الإسلام درجة الجماعة الإنسانية عن أن يكون تجمعها وتعاونها راجعا إلى غير المبادىءِ والمثل العليا ، فجعل العقيدة هى الوحدة المشتركة بينهم والروح السارية فيهم ، لأنه بوصفه دينا عالميا ، لم يعتبر الجنسية ، ولا العنصرية ، ولا التوطن فى بلد معين ، هو أساس تكوين الدولة لأن فى ذلك تحديدا أو تضييقا فى عالميته .

١ – فكانت الأخوة الدينية بين المسلمين هى أصدق تعبير عن هذه الوحدة المشتركة .

قال تعالى فى سورة الحجرات :
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . آية ١٠ .

كما قرر هذه الأخوة رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه بقوله : (المسلم أخو المسلم) .

وقد طبق مبدأ الأخوة لأول مرة بمؤاخاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار عندما

قدم إلى المدينة بعد الهجرة ، فآوى الأنصار إخوانهم من المهاجرين وآثروهم على أنفسهم فيما يحتاجون إليه .

قال تعالى فى سورة الحشر حاكيا عن الأنصار فى المدينة :
﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . آية ٩ .

٢ – غلبت أخوّة الإيمان كلَّ صلة سواها ، حتى صلة النسب ، فنسى المرء بها قبيلته ، وخرج على عشيرته ؛ وأصبحت صلة النسب عارية عن الفائدة والأثر ، إذا تجردت عن أخوة الإيمان ، فلا يرث غير المسلم المسلم ولا العكس ولو كان أباه أو أخاه .

قال تعالى فى سورة المجادلة :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ . آية ٢٢ .

٣ – ربطت هذه الأخوة بين المسلمين ، حتى أصبحوا أسرة واحدة كبرى ، يفرح المسلم لفرح أخيه ، ويحزن لحزنه ، ويعاونه عند الحاجة ، ويرشده ويهديه إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ويعامله بما يحب أن يعامل به ، ويحفظه فى ماله وعرضه حاضرا وغائبا ، ويسعى فى إصلاح ذات البين إن وقع هناك خلاف .

قال تعالى فى سورة الحشر :

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ﴾ آية ١٠
وقال تعالى :
﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ . (آل عمران آية ١٠٣ .

وقال تعالى فى سورة الأنفال : آية ٦٢ ، ٦٣ .

﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبالمؤمنينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

وقال رسول الله ﷺ :

(لا يؤمن أحدُكُم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يحب لِنَفْسِهُ) .

ثانيا : التكافل الاجتماعى :

وهو شعور كل مواطن بأنه مسئول وحامل لتبعات نفسه وأخيه من المواطنين ، فكما يسأل عن نفسه يسأل أيضا عن غيره .

وللتكافل شعبتان : إحداهما مادية .

وسبيلها : مَدُّ يَد المعونة للمحتاجين ، وإغاثة الملهوفين ، وتفريج كربة المكروبين ، وإشباع الجائعين ، وتأمين الخائفين ، والمساهمة فى إقامة المصالح العامة .

وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى ، وأطلق عليه عددا من العناوين المحببة ، فهو تارة زكاة بوصفه ركنا من أركان الدين ، وتارة إحسان ، ومرة صدقة ، وأخرى إنفاق فى سبيل الله بوصفه فضيلة إنسانية ، وينصرف إلى جميع أصناف المال من نقد وزرع وماشية يجب للفقير على الغنى بشروط وأحكام موضحة تفصيلا فى فروع الفقه المختلفة .

وثانيتهما : شعبة أدبية : وهي تعاون المسلمين المعنوى بالنصح والإرشاد والتوجيه والتعليم ، وقد سمَّاهُ القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَلْتكن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ويأمُرون بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ . آية ١٠٤ .

وقال تعالى فى سورة التوبة :

﴿ والمؤمِنُونَ والمؤمنَات بعضهم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ ﴾ آية ٧١ .

وقال رسول الله ﷺ :

(الدين النَّصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقد قصَّ علينا القرآن وورد عن الرسول ﷺ خبر مصير بعض الأمم السابقة التى تركت الامتثال للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

جاءَ على لسان النبى ﷺ : (لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، ودخل النقص عليهم فى دينهم نهتهم علماؤهم ، فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ، ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرّق كلمتهم وأذلهم وشتت شملهم) ثم قرأ ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة آية : ٧٨ ، ٧٩ .

ثالثا : الشـــورى :

هى السبيل إلى تبين الحقيقة ، ومعرفة الآراء الناضجة لأصحاب العقول والأفكار السليمة ، وقد أمر بها القرآن الكريم وجعلها عنصرا من العناصر التى تقوم عليها الدولة فى الإسلام ، حتى إنه ليوجد به سورة كريمة عرفت باسم « سورة الشورى » وقد سميت بذلك لأنها السورة الوحيدة التى قررت الشورى عنصرا من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ، فكان النبى ﷺ يجمع أصحابه ويطرح عليهم المشكلة ويبدى كل رأيه ، فإذا أجمعوا على رأى أو ترجَّح عندهم رأى عن طريق الأغلبية أو بقوة البرهان والدليل ، أخذ به ، وبذلك قضى الإسلام على الاستبداد بالرأى ، وحقق للفرد والجماعة الكرامة الفكرية والحق الطبيعى فى تدبير شئون الإدارة والحكم .

قال تعالى فى سورة الشورى :

﴿ وَما عِندَ اللهِ خيْرٌ وأبْقى للذين آمنوا وعلى ربهم يَتوكَّلُون . والَّذين يَجْتَنِبون كبائِرَ الإثْم والفواحش وإذا ما غَضِبُواْ هُم يَغْفِرونَ . والذين استَجابُوا لربهم وأقاموا الصلاة وَأَمْرُهم شُورَى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذَا أَصَابَهم الْبَغْىُ هم يَنْتَصِرُونَ ﴾ آية ٣٦ - ٣٩ .

ولقد امتحنت الشورى بعد غزوة أحد ، عندما أصيب المسلمون ، فزعم المنافقون أن هذا كان نتيجة نزول النبى ﷺ على مشورة الشباب من أصحابه وإهمال رأيهم ، مع أنهم أحد أسباب ما أصاب المسلمين فيها . وقد حسم ذلك كله القرآن وأكد مبدأ الشورى .

فأمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليهم بالشورى مع أصحابه ، ربطا للقلوب وتقريرا لما يجب أن يكون بين المؤمنين من ضرورة التضامن فى سياسة الأمور . ولم يهزم المسلمون إلا لترك الرماة مواقفهم فوق الجبل لحماية ظهور المقاتلين ، وحلول المشركين محلهم ، والموقف الانهزامى الذى وقفه المنافقون قبل وأثناءَ المعركة ، وفى تأكيد مبدأ الشورى يقول الله فى سورة آل عمران :

﴿ فَبِما رَحْمةٍ من الله لِنتَ لَهم ولو كُنت فظًّا غَلِيظَ القَلْب لانفضُّوا من حوْلِك فاعْفُ عَنْهم واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُم فِى الأَمْر فإذَا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ على الله ﴾ آية ١٥٩ .

١ - لذلك كان النبى ﷺ ، يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحى ، باعتبار أن الشورى من ألزم الواجبات على صاحب الأمر .

٢ - وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه — فى خلافته — يستشير صحابة الرسول ﷺ ، فيما يعرض له من شئون ، تقتضى أخذ رأى جماعة المسلمين .

٣ - وفى خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — منع كبار صحابة النبى ﷺ من الخروج من المدينة لحاجته إلى استشارتهم .

هل هناك نظام للشورى وضعه الإسلام ؟ .

لم يضع القرآن الكريم أو الرسول صلوات الله وسلامه عليه نظاما خاصا

للشورى ، لأنه من الشئون التى تتغير فيها وجهات النظر بتغير الأزمان والأجيال والتقدم البشرى ، وتشريع نظام ثابت للشورى بقواعد معينة ، قد يكون فيه تضييق على المسلمين فى مختلف العصور ، لذلك ترك مبدأ الشورى دون تحديد بنظام محدد ، رحمة بالناس ، والعبرة فى الإسلام هى كفالة الحرية التامة فى إبداء الآراء استهدافا للمصلحة العامة ، مالم تمس أصلا من أصول العقيدة ، أو ركنا من أركان العبادة .

ومادامت الكرامة والحرية قد تحققتا فى مبدأ الشورى كان انعقاد الجماعة على رأى موجبا الطاعة من جانب المسلمين لهذا الرأى لأن هذا الرأى صدر من أولى الأمر الذين هم أهل النظر ممن عرفوا بكمال النضج فى بحث الأمور والغيرة الدينية على المصلحة العامة ، مثل أولئك الذين يقومون بواجب القضاء والفصل بين الناس ، وأولئك الذين يبحثون جانب السياسة الخارجية وعلاقة الدولة بالدول الأخرى ، وأولئك الذين يبحثون جانب سياسة الدول المالية أو شئون الزراعة والتجارة والصناعة وهكذا .

وبالجملة هم أهل الحل والعقد من خيرة العلماء وأهل الفكر الإسلامى المستند إلى الأصول المقررة فى الدين ، فإجماعهم يقوم مقام النص عند عدمه .

قال تعالى فى سورة النساء :

﴿ يَاأَيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وَأولِى الأَمْرِ منكم ﴾ آية ٥٩ .

رابعا : العدل :

عنى القرآن بمبدأ لعدل ، حفظا لكيان المجتمع البشرى ، كما حذر من الظلم حتى مع الأعداء ، الذين يحملون للمسلمين من الشنآن والبغض ما تنوء بحمله القلوب ، لأن اطمئنان الناس على حقوقهم ومنع الغير من سلبها هما أهم دعائم السعادة التى يسعى إليها البشر ، بل إن العدل هو الهدف من بعث الرسل وإنزال الشرائع والأحكام .

(١) قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شنآن قَوْمٍ عَلَى ألا تَعْدِلوا اعدلوا هو أَقْرَبُ لِلتقوى ﴾ آية ٨ .

(٢) وقال تعالى فى سورة النحل :

﴿ إن الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان ﴾ آية ٩٠ .

(٣) وقال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وإذا قُلْتم فاعدلوا ﴾ آية ١٥٢ .

(٤) وقال تعالى فى سورة الحديد :

﴿ لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبينات وَأنزلنا معهم الكتاب والميزان لِيَقُوم الناس بِالْقِسطِ ﴾ آية ٢٥ .

(٥) وقال تعالى موجبا العدل فى شئون الأسرة عند تعدد الزوجات ، وذلك فى سورة النساء : ﴿ فإنْ خِفْتُم ألا تَعدِلُوا فَوَاحِدَة ﴾ آية ٣ .

(٦) وقال تعالى فى سورة البقرة موجبا العدل فى كتابة الوثائق التى تحفظ بها الديون :

﴿ يَأَيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَيْنٍ إلى أجل مُسَمًّى فاكْتُبُوه وَلْيَكْتُبْ بينكم كاتب بالعدل ﴾ آية ٢٨٢ .

(٧) وقال تعالى فى سورة النساء آمرا بالعدل فى الشهادة :

﴿ كونوا قَوَّامِينَ بالقسط شهداء لله ولَوْ عَلَى أنفسكم أَو الوالدين والأَقربين ﴾ آية ١٣٥ .

(٨) وقال تعالى فى سورة النساء آمرا بالعدل فى القضاء :

﴿ إنَّ الله يأمركم أَنْ تُؤدوا الأَماناتِ إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكُمُوا بالعدل ﴾ آية ٥٨ .

دولة الإسلام وعلاقتها بباقى الدول :

أولا : وحدة الإنسانية فى الإسلام مما يقتضى توافر الإسلام بينها دائما .

أعلن الإسلام منذ ظهوره وحدة الإنسانية وأبطل تفاوتهم بسبب دنياهم ، ودلَّل على ذلك بأن الناس من أب واحد ، لذلك جعل وحدتهم فى الإنسانية سببا للتسوية

بينهم فى تشريعه ، فأحكامه سارية على جميع أفراده دون نظر إلى غنى أو فقير أو أبيض أو أسود أو شريف أو وضيع ، ولم يفرق بينهم إلا بالتقوى .

قال تعالى فى سورة الحجرات :

﴿ يأيها النَّاسُ إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وَأُنثى وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَائل لِتَعَارَفُوا إن أَكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خَبِير ﴾ آية ١٣ .

وقال تعالى فى سورة النساء :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وَبَثَّ منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأَرحام ﴾ آية ١ .

وقال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، من خطبة كبيرة له :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم ، فهم والمسلمون فى نظر الإسلام إخوان فى الإنسانية يتعاونون على الخير ولكل دينه ، دون إضرار بأحد ولا انتقاص لحق أحد او إكراه له على الإسلام ، لأن الإسلام يرى ان حالة السلم هى الأصل فى علاقات الأمم والناس .

قال تعالى فى سورة يونس :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَاسَ حَتَّى يَكُونُوا مؤمنِينَ ﴾ آية ٩٩ .

ثانيا : حالة الحرب فى الإسلام :

(١) يؤذن للمسلمين فى الحرب إذا امتدت يد أعدائهم للعدوان عليهم ، ووضعت أمام دعوة الإسلام العراقيل ، فيقوم المسلمون برد العدوان إقرارا للسلم .

قال تعالى فى سورة الحج :

﴿ أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا وإنَّ الله على نصرهم لقدير، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أَنْ يَقُولُوا ربنا الله ﴾ آية ٣٩ ، ٤٠ .

ولا يبيح الإسلام الدخول فى الحرب إلا بعد إعلان العدو بها فى مدة تكفى لوصول خبرها إليه .

(٢) والإسلام يحرم حرب العدوان واختلاس ثروات الشعوب .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقَاتِلُونكم ولا تعتدوا إنَّ الله لايُحِبُّ المعتدين ﴾ آية ١٩٠ .

٣ — ومن أحكام الإسلام فى الحرب أن لها حكم الضرورات ، وهذه تقدر بقدرها دون بغى ولا عدوان على الأعداء أو تخريب أو تنكيل بهم .

٤ — وأن غير المحاربين والمديرين للحروب لا ذنب لهم فى هذه الحرب ، لذلك لا يُنالون فيها بسوء .

٥ — إذا جنح الأعداء إلى السلم فلابد أن يسارع المسلمون إلى وقف الحرب تغليبا لجانب السلم ، وكل ذلك دون إذلال لجانب المسلمين .

قال تعالى فى سورة الأنفال :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم، وإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ الله ﴾ آية : ٦١ ، ٦٢ .

٦ — يعامل أسرى الحرب بالبر والإحسان ، حتى يتم إطلاق سراحهم إما منا وإما فداء ، فحرم الإساءة إليهم أو التنكيل بهم أو قتلهم .

٧ — لا يبيح الإسلام قتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والمدنيين .

٨ — اكتفى الإسلام فى وقف الحرب من جانبه ، بكف شر المحاربين دون حاجة إلى ضرورة التسليم من جانبهم ، بل يكفى أن يعاهدوا على حفظ الحقوق ووقاية الناس من الطغيان والظلم .

الشروط المفروض توافرها فى المعاهدات فى الإسلام :

١ — ألا يمس قانونه الأساسى وشريعته العامة التى بها قوام الشخصية الإسلامية .

قال رسول الله ﷺ :

« كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » أى أن كتاب الله يرفضه ويأباه .

٢ — أن تكون المعاهدة مبنية على التراضى من الجانبين ، ومن هنا لا يرى الإسلام قيمة لمعاهدة تنشأ على أساس من القهر والغلبة ، لفقدانها شرط التراضى .

٣ — أن تكون المعاهدة واضحة المعالم بينة الأهداف ، تحدد الحقوق والالتزامات تحديدا واضحا جليا لا يدع مجالا للتأويل والتخريج واللعب بالألفاظ ، وفى التحذير من الغموض والالتواء .

قال تعالى فى سورة النحل :

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﴾ آية : ٩٤ .

لأن الدخل هو الغش الخفى يدخل فى الشىء فيفسده .

٤ — ضرورة الوفاء بالمعاهدات إذا استكملت شروطها وحافظ عليها الطرف الآخر ، دون أن تبدو منه نية الخيانة ، ولم تتغير الظروف التى وضعت المعاهدة بمقتضاها ، فإن ظهرت نية الخيانة من جانب العدو أو تغيرت الظروف التى تمت فيها المعاهدة ، فإن الإسلام يوجب إعلان الطرف الآخر بنبذ المعاهدة ، ولا يسمح بالمهاجمة إلا بعد وصول نبأ النبذ إلى العدو ، قال تعالى فى سورة الأنفال مشيرا إلى خيانة العدو :

﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ آية : ٥٨

وقال تعالى فى سورة الأنفال أيضا : ﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون ﴾ آية : ٥٥ ، ٥٦ .

وقال تعالى فى سورة التوبة مشيرا إلى تغير الظروف :

﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ﴾ آية : ٣

القسم الرابع

الإسلام والنظر فى الكون :

لفت الإسلام الأنظار إلى مافى الكون ، وأنه سخره لبنى الإنسان ، ليعملوا فيه ويكافحوا لإسعاد أنفسهم وبنى جنسهم ، بما يحويه هذا الكون من كواكب ونجوم وبحار وأنهار وجبال ووديان ، وليستجلوا ما استطاعوا من خبايا أسراره التى لاتنتهى ، مادام هناك عقل يفكر .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ﴾ آية : ٢٩

القسم الخامس

الإسلام والتمتع بلذائذ الحياة الحلال :

الإسلام أباح للمسلمين التمتع بنعم الحياة ، على وجه لايخرج بهم عن حد القصد والاعتدال دون تقتير أو إسراف .

١ ــ قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ آية : ٣٢

٢ ــ وقال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ آية ٨٧ ، ٨٨ .

٣ ــ وقال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ اية ٣٣ .

أثر التحلى بالأخلاق الحميدة على النفوس :

إن التحلى بالأخلاق ، والتمسك بالقيم ، يتضح أثره على النفوس ، فتطهير الباطن أساس كل إصلاح ظاهرى ، لذلك كانت آثار الأخلاق الفاضلة على النفوس المتحلية بها هى تطهير النفوس من أمراضها المستعصية التى من ضمنها الحقد والحسد والنفاق والجبن والكذب والخيانة وجميع ما تعارف الناس عليه من سيئ الأخلاق وفاسدها .

وقد أشار إلى ذلك رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه فيما يروى عنه من جوامع الكلم :

« إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

أى أن صلاح الباطن ينعكس أثره على الظاهر ، بحيث يكون فى حدود ما شرعه الله .

والشريعة فى أقسام أحكامها جميعا تستند إلى الأخلاق ، لأن الأخلاق هى المعتصم ، وهى الصمام الذى يتمسك به من أراد أن يكون مسلما حقا ، لأنها انفعال النفس وتأثيرها بما جاء فى الإسلام من حسن الفضائل فتتحلى به ، والبعد عن الرزائل التى نهى عنها ، ومن هنا كانت عناية الإسلام بالأخلاق عناية تفوق كل عناية ، وتوصيات الرسول أكبر شاهد على ذلك .

١ ــ قال رسول الله ﷺ :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

٢ ــ وقال رسول الله ﷺ :

« أثقل مايوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

٣ ــ وورد عن النبى ﷺ ، أنه جاءه رجل ذات مرة ووقف بين يديه وسأله : « ما الدين يار سول الله ؟ فقال : « حسن الخلق » فجاءه من قبل يمينه وسأله السؤال نفسه ، وكان الجواب : « حسن الخلق » ثم جاءه من الشمال ومن الخلف وسأله

نفس السؤال وكان جواب الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو نفس جوابه السابق .

٤ ــ وورد عن الرسول ﷺ حكم شديد عن سوء الأخلاق ، إذ قيل له عن امرأة : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال : « لا خير فيها هى من أهل النار » .

هذا هو الإسلام بعقيدته وشريعته فهل يوجد به ما يُعاب عليه من جانب أعدائه من المبشرين والمستشرقين ؟

الباب السادس

التعريف بنبى الإسلام محمد ﷺ

صلى الله عليه وسلم



التعريف بنبى الإسلام محمد ﷺ

أما وقد تكلمنا فى الفصل السابق عن التعريف بالإسلام فإنه من اللازم أن نتكلم فى هذا الفصل عن نبى الإسلام محمد ﷺ ، وبالقدر الذى يقتضيه المقام .

من نبى الإسلام ؟

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة ابن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويمتد نسبه بعد ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويلتقى نسبه من جهة أُمه بنسبه مع أبيه فى كلاب بن مرة ، لأن أُمه هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومن الأُمور المسلم بها تاريخيا ودينيا أن إسماعيل [1] بن إبراهيم عليه السلام كانت سكناه فى بلاد الحجاز ، حيث امتدت ذريته ، وبلاد الحجاز كانت تسمى فى العصر القديم جبال فاران وهذا ما حققه الشيخ عبد الله الترجمان [2] الذى كان مسيحيا وأسلم قديما ، فى كتابه تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، إذ يقول : إن جبال فاران هى مكة وأرض الحجاز ، لأن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٢٥ من عدد ١٢ إلى عدد ١٨ .

(٢) كتاب محمد نبى الإسلام في التوارة والإنجيل والقرآن للمؤلف .

الأرض ، فكان إقليم الحجاز من نصيب فاران فتسمى هذا الإقليم باسمه ، وقد ذكرت التوراة بيانا تفصيليا عن عدد وأسماء بنى إسماعيل عليه السلام ، وأنهم سكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر – هذا بالإضافة إلى ماورد فى القرآن الكريم من ايات تقطع كل شك فى ذلك ، وتقرر بصريح النص والعبارة ، أن سكن ذرية إسماعيل ابن إبراهيم فى أرض الحجاز .

١ – قال تعالى فى سورة إبراهيم حاكيا عن إبراهيم عليه السلام :
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ آية : ٣٥ – ٣٧ .

٢ – وقال تعالى فى سورة البقرة مشيراً إلى مكان البيت الحرام والكعبة بمكة المكرمة :
﴿ وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربّنا تقبلْ منّا إنك أنتَ السميعُ العليمُ ﴾ آية : ١٢٧ .

٣ – وقال تعالى فى سورة الحج أيضا :
﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لابراهِيمِ مَكَانَ الْبَيْتِ ألاتُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالركعِ السجود . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ آية ٢٦ – ٢٧.

ميلاده :

ولد محمد صلوات الله وسلامه عليه فى أواخر القرن السادس الميلادى سنة ٥٧١ ميلادية تقريبا من أبوين كريمين ، فوالده هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه السيدة آمنة بنت وهب ، كما قدّمنا ، ولم يكن فى أجداده من تلوث بسفاح الجاهلية ، بل كان تناسله منهم من نكاح مشروع ، فلقد طهر الله أصوله تطهيرا ، تمهيدا لاصطفائه من تلك الأصول الطاهرة ، ليكون هدى ونوراً ورحمة للعالمين ، ولقد رُوى فى صحيح الإمام مسلم [1] عنه ﷺ : « إن الله اصطفى من بنى

(١) صحيح الإمام مسلم للقشيرى .

إسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفانى من بنى هاشم ، وأنا خيار من خيار من خيار من خيار » .

ولقد توفى والده وأمه حامل به ، إذ خرج عبد الله بعد زواجه ، وحمل زوجته فى شهورها الأولى ، فى قافلة تجارية إلى بلاد الشام ، والتى سميت حاليا فلسطين وسوريا ولبنان ، وعند رجوع القافلة تخلف عند أخوال أبيه من بنى عدى بن النجار فى يثرب ، لشدة مرضه ، إلا أن المنية لم تمهله فتوفى ودفن هناك .

ولما تمت مدة حمل والدته به وضعته ، وأُبلغ عبد المطلب بذلك ففرح بهذه البشرى ، وسماه محمدا نتيجة إلهام له بهذه التسمية ، وهذا ما عبر به إذ قال : سميته محمداً ليكون محموداً عند الله وعند الناس .

رضاعه :

جريا على عادة العرب فى إرسال أبنائهم إلى خارج مكة فجر طفولتهم ، والتماس المراضع لهم فى البادية ، حيث ينشأ الطفل صافى الذهن صحيح الجسم ، فى جو البادية الذى لم تدنسه عادات المدن وتقاليدها ، لذلك كان محمد ﷺ فى طفولته من نصيب المرضعة حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ، وهى من قبيلة هوازن . وتذكر كتب السيرة المختلفة كثيرا من جوانب الخير والبركة ألمت بأسرة حليمة ببركة وجوده عندهم زهاء خمسة أعوام ، وليس هناك ما يمنع ذلك ، لأن العناية الإلهية تصاحب الأنبياء والمرسلين منذ فجر حياتهم ، وتنضح البركة منهم على من حولهم .

طفولته وشبابه :

عندما رجع محمد صلوات الله وسلامه عليه من بادية بنى سعد فى الخامسة من عمره إلى مكة ، سافر مع أمه إلى يثرب وكانت سنه ست سنوات – لزيارة أخوال والده عبد الله بها ، وهم بنو النجار ، وفى طريق عودته إلى مكة توفيت والدته ودفنت بالأبواء ، ورجع إلى مكة تصحبه جاريته أم أيمن ، فأسبغ عليه جده عبد المطلب ، الكثير من عطفه وحنانه ، لأنه كان يتوقع له شأنا عظيما ، إلا أن عبد المطلب توفى

بعد حين ، وكان محمد ﷺ فى الثامنة من عمره ، وكانت لوفاة والدته ثم وفاة جده عبد المطلب أثرهما فى نفس الرسول فى طفولته . ثم كفله أبو طالب ، وسافر معه إلى بلاد الشام فى إحدى رحلاته التجارية ، وكانت سنه ﷺ اثنى عشرة سنة ، وهناك التقى وأحد الرهبان النصارى فى طريق الرحلة ، يقال له بحيرى ، حيث رأى فيه الأوصاف التى بشرت [1] بها التوراة والإنجيل فى النبى الذى تنتظره كل الأمم ، فبذل هذا الراهب المسيحى النصح لأبى طالب بالعودة بابن أخيه سريعا إلى مكة ، وألا يوغل فى بلاد الشام ، خشية عليه من أذى اليهود وشرهم إن اكتشفوا فى ذلك الغلام الأمارات التى تدل على أنه النبى المنتظر .

ثم شهد الرسول لمدة أربع سنين حرب الفجار ، حيث كانت سنه خمسة عشر عاما ، وكان يناول أعمامه السهام أحيانا ويقاتل معهم أحيانا أخرى ، حيث انضمت قبيلة قريش إلى قبيلة كنانة دفاعا عن قداسة الأشهر الحرم ومكانة أرض الحرم ، ضد قبيلة قيس ، ثم انتهت الحرب بالصلح بين الفريقين .

كما شهد الرسول وهو فى سن العشرين حلف الفضول ، وهو الميثاق الكبير الذى عقدته قريش بعد حرب الفجار فى دار عبد الله بن جدعان بمكة وتعاهدت فيه أن تحمى الضعفاءَ والمظلومين ، حتى يأمن كل شخص على ماله وعياله ، وهذا الحلف هو حلف إنسانى يدعو إلى مكارم الأخلاق ، ولقد نوه الرسول ﷺ عنه وأثنى عليه إذ يقول : « لقد شهدت مع عمومتى حلفا فى دار عبد الله بن جُدْعان ما أود لو أن لى به حُمرَ النعم » .

ولما بلغ مراحل الشباب ووصل إلى سن الخامسة والعشرين ، ولم ير الناس عليه إلا الصفات الكريمة والخلال الحميدة ، ولقد اشتهر بين قومه بصدق الحديث ، والأمانة إلى أعلى ما تدل عليه فى أوصافها ، فضلا عن نضج عقله وكمال رجولته وسمو خلقه ، ولقد استأجرته السيدة خديجه بنت خويلد للذهاب بتجارتها إلى بلاد الشام ، فعاد وقد ربحت تجارتها ربحا كبيرا وظهرت له بعض الإرهاصات لاحظها

(١) انظر البشارات بالنبى محمد كتاب : « محمد نبى الإسلام فى التوارة والإنجيل والقرآن » للمؤلف .

من كان قريبا منه كميسرة غلام السيدة خديجة خصوصا عندما شاهده نسطورا الراهب النصرانى ، ورأى خاتم النبوة بين كتفيه [1] ، فقصها على سيدته خديجة مما جعلها تميل إلى الزواج بهذا الشاب المتصف بتلك الأوصاف الكريمة ، وكانت هى فى سن الأربعين ، والنبى محمد ﷺ فى سن الخامسة والعشرين ، وظلت معه إلى أن ماتت فى العام العاشر من البعثة النبوية ، وقد بلغت سن الخامسة والستين ، دون أن يتزوج الرسول عليها فى حياتها ، بل كان وفيًا لها بعد مماتها فيذكرها دائما ويترحم عليها ، لأنها كانت مثلا صادقا للوفاء والإخلاص والأمانة والتعاون ، بالوقوف إلى جانبه أيام قيامه بنشر دعوته العظمى بالإيمان بالله وترك عبادة الأصنام ، وبذلت فى ذلك جهدها كله بل ومالها كله ، وقد ولدت للرسول ﷺ أولاده جميعا ، ماعدا إبراهيم ، وهم : القاسم والطيب وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وقد مات معظمهم فى حياته ، أما فاطمة ، فإنها توفيت بعد الرسول بوقت قصير .

وزواج النبى ﷺ تطرق إليه أعداء الإسلام للنفاذ منه إلى القدح فى شخصه الكريم ، وهم قسمان اتفقوا بسوء نية على ذلك :

١ — خصوم الإسلام من جماعة المبشرين ، اتخذوا القدح فى الإسلام صناعة يتفرغون لها ويتكسبون منها ، فلا غنى لأصحاب هذه الخصومة وهذه الحرفة عن اختلاق المآخذ وتصيد التهم التى تجرى بها أرزاقهم وتتصل بها أعمالهم ، سواءَ عرفوا الحقيقة البريئة مما افتروه أو جهلوها وأعرضوا عن البحث فيها ، لأنهم يريدون الاتهام ولايستريحون إلى معرفة ما يهدم كل ما عملوه ويصرفهم عن كل ما ألفوه وعقدوا النية عليه .

٢ — خصوم الإسلام من جماعة المستشرقين ومن لف حولهم ، ممن يخاصمونه على السماع أو يتلقفون الدراسات الإسلامية تلقفا لا يفيد الدارس ، لأنهم مسخرون إما خدمة للتبشير أو خدمة للاستعمار .

وأكبرُهمْ هؤلاءِ المبشرين والمستشرقين أن يشوهوا سمعة النبى ﷺ وأن يتلوه

(١) انظر خاتم النبوة ص ١٩ فى كتاب « محمد نبى الإسلام فى التوارة والإنجيل والقرآن للمؤلف .

فى صورة معيبة لا تلائم شرف النبوة ، ولكن هذه الخطة ارتدت إليهم فأصابتهم فى مقتل ، كما سنبينه فيما يلى بتوفيق الله تعالى :

١ — لم يكن عسيرا على رسول الإسلام — وقد بلغ من المكانة والشرف مما بلغه بين قومه — أن يجمع أجمل بنات العرب وافتهن قبل النبوة أى عدد يريده من أشرفهن ، فقد كان تعدد الزوجات بدون تحديد هو القاعدة المتبعة عند العرب ، فلم يكن بحاجة إلى ادعاء النبوة ليصل إلى تحقيق هذا الغرض كما زعم المفترون .

٢ — ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ولأهله الطعام والكساء والزينة ممّا يتوافر لسيِّدٍ من سادات الجزيرة العربية فى زمانه ، فقد كان هذا ميسوراً له قبل النبوة وبعدها .

ولم يفعل ذلك فى مطلع شبابه أو بعد أن دانت له بلاد العرب وأصبح سيدها ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته بشكايتهن عن شظف العيش فى داره ، فخيَّرهن بين البقاء على هذه الحال أو بين الطلاق ، فاخترن الحياة معه على شظف العيش .

٣ — لم يحدث قطُّ أن اختار زوجة واحدة . لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يبن بعذراء قط إلا بالسيدة عائشة ، وقد اختارها لأنها بنت صديقه وصفيه أبى بكر الصديق — ولما كان فى عنفوان شبابه لا يجاوز الخامسة والعشرين كانت زوجته السيدة خديجة تقارب الأربعين ، وقد اختارته زوجا لها لأنه الصادق الأمين فيما اشتهر به بين قومه ، وعاش معها إلى يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية ، ثم وفّى لها بعد موتها ، فلم يفكر فى الزّواج حتى عرضت عليه سيدة مسلمة ، رقت له فى عزلته ، فخطبت له السيدة سودة ، بإذنه ، ثم زواجه بباقى زوجاته أمهات المؤمنين ، كان الباعث له صلة الرحم ، والضن بهن على المهانة ، ومعظمهن كن أرامل أيمات فقدن الأزواج أو الأولياءَ ، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكفاءِ لهن إن لم يفكر فيهن رسول الله ﷺ .

فالسيدة سودة بنت زمعة : مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة ، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها فيكرهوها على الردة .

والسيدة هند بنت أبى أمية (أم سلمة) ، مات زوجها وابن عمها عبد الله المخزومى ، وقد اعتذرت إلى الرسول بسنها لتعفيه من خطبتها وكان عليه السلام يعلم أن أبا بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت ، لذلك طيب خاطرها وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها .

والسيدة رملة بنت أبى سفيان ، تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فتنصر زوجها وفارقها فى غربتها بغير عائل يكفلها ، فأرسل النبى ﷺ إلى النجاشى يطلبها من هذه الغربة المهلكة ، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها سبيل دينها ، ولعل فى الزواج بها سببا يصل بينه وبين أبى سفيان بوشيجة المصاهرة ، فتميل به عن جفاءِ العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام .

والسيدة جويرية بنت الحارث ، سيد قومه ، كانت بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق ، فأكرمها النبى عليه الصلاة والسلام أن تذل ذلة السبايا وأعتقها وتزوجها ، وحض المسلمين على إعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعا وحسن إسلامهم وخيرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله ، فاختارت البقاءَ فى حرم الرسول .

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، مات زوجها فعرضها أبوها على أبى بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ، وبث عمر أسفه للنبى فلم يشأ أن يضن على صديقه ووليه بالمصاهرة التى شرف بها أبا بكر قبله ، وقال له : يتزوج حفصة من هو خير لها من أبى بكر وعثمان .

والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب ، سيد بنى قريظة اليهودية خيرها النبى ﷺ بين أن يردها إلى أهلها ، أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارت البقاءَ عنده على العودة إلى ذويها .

والسيدة زينب بنت جحش ابنة عمته زوجها من مولاه زيد بن حارثة ، فنفرت منه ،

وعز على زيد أن يروضها على طاعته ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام يوصيه بمصابرتها والإمساك عليها وتقوى الله فى شأنها ، ولكنها كانت كارهة للبقاء معه فطلقها ، ثم تزوجها النبى ﷺ بإذن ربه نسخا لعادة التبنى وجبرا لخاطرها ، فإنه هو الذى زوجها بزيد ، وكانت ابنة عمته ، ولو أرادها زوجة له قبل أن يزوجها لزيد لفعلَ ، ولكن أعداء الإسلام جعلوا من تزوجه بها قصة حشوها بأكاذيبهم للنيل من نبوته ﷺ ومن دين الإسلام ، لعنهم الله لعنا كبيرا .

والسيدة زينب بنت خزيمة ، مات زوجها عبد الله بن جحش فى غزوة أحد ، فلم يتقدم لخطبتها من أصحاب الرسول أحد ، فتزوجها الرسول حيث لم يجد لها كفيلا من قومها .

الفصل الأول

الدعوة إلى الإسلام ونبذ عبادة الأصنام (١)

كان محمد ﷺ بعيدا عن جهالات قومه وضلالهم فلم يسجد لصنم قط ، بل كان يبغض الأصنام بغضا شديداً ، وكلما تقدمت به سنه واقترب من كمال الرجولة آثر العزلة والانفراد ، حتى لقد كان يبقى الليالى ، ذوات العدد فى غار حراء ، خصوصا فى شهر رمضان من كل عام ، ويحمل معه الطعام والماءَ الذى تعده له زوجته السيدة خديجة ، وكان فى اعتكافه فيه يواصل عبادته بالتأمل والتفكير فى عظمة الله الذى خلق هذا الكون العجيب وما يحيط به من أسرار ، وأشرقت نفسه بهذه الرياضة الروحية العالية ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءَت مثل فلق الصبح ، فتقع كما رآها فى منامه ، ليس فيها أوهام أو أضغاث أحلام .

وحينما أراد الله أن يعلى كلمته ويتم على العالمين نعمته ، أرسل أمين وحيه جبريل إلى محمد الأمين عندما بلغ الأربعين ، فدخل عليه الغار فضمه ضمة شديدة ، حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله ، وقال اقرأ فقال النبى ﷺ : ما أنا بقارئ ، فكرر جبريل معه هذا العمل والقول ، والرسول يجيبه بنفس الجواب ، ثم قرأ عليه أمين الوحى قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الانسان من عَلَق* اقرأ وربك الأكرم * الذى علَّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

(١) كتاب « سيرة الرسول » للدكتور محمد الطيب النجار أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر .

وبعد ذلك تركه الملك ، فرجع رسول الله ﷺ إلى بيته بعد أن نزل من الغار وفؤاده يرجف ، حتى دخل على زوجته السيدة خديجة ، وقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم أخبر السيدة خديجة بما وقع له فى غار حراء ، فطمأنته وبينت له أن وراء هذا الحادث خيرا كثيرا ، وكان مما قالته له : « والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

وزيادة فى بعث الطمأنينة فى نفسه انطلقت به زوجته الكريمة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل – وقد كان عنده علم بالكتب السماوية – فلما سمع من الرسول ما حدث له ، بشَّره بأن هذا هو الوحى الذى كان ينزل على الأنبياء من قبل ، وأنه سيكون نبى هذه الأمة ، وتمنى ورقة لو يطول به العمر حتى تظهر رسالة محمد ، فيكون من أنصاره وأعوانه ، ولكن شاءَ الله أن يموت ورقة بعد ذلك ، ولا شك أن ورقة ابن نوفل – وهو نصرانى عاش معاصراً للنبى الرسول ﷺ – عرف صدقه وأمانته وكريم صفاته ، لذلك فإنه لما سمع بنزول الوحى عليه لم يدهش ، ولم يتملكه العجب ، بل قرر سريعا أنه الرسول ، وأن من جاءه هو أمين الوحى جبريل ، جاءه من قبل السماء ليبلغه هذه الرسالة التى بشرت بها الكتب السماوية .

يقول الدكتور نظمى لوقا فى كتاباته – وهو نصرانى يعيش فى وقتنا الحاضر فى مصر – مَا مِنْ نبى حمل إلينا توكيلا موثقا بأنه ينطق بلسان الوحى ، وإنما كانت آيته صدق ما أتى به . وأما المعجزات فلا حجة لها إلا لمن شهدها شهود العيان ، وبيننا وبين ذلك أجيال وأجيال ، فتبقى بعد هذه الآيات المعاصرة الآية الكبرى التى لا يثبت بغيرها صدق ، ولا يغنى عن غيابها ألف دليل مغاير مهما بلغت درجته من الإعجاز ، وهذه الآية الكبرى هى صدق الكلمة من حيث هى . فإن الحقيقة آية نفسها ، بل برهانها فى مضمونها ، فيطمئن إليها العقل ، ويبدو ما يباينها هزيلا واضح البطلان .

إن موقف الناس من الوحى واحد ، أيًا ماكانت الرسالة الموحى بها والرسول المخبر عنها ، ولم يطلب من رسول قبل محمد برهان عيانى على وحيه كى يطالب به محمد ، فمن اعترف بوحى من السماء إلى رسول من البشر لزمته الحجة ألا ينكر

نزول الوحى على محمد من حيث المبدأ ، ولا ينبغى بعد سقوط الاعتراض على الوحى من حيث المبدأ إلا النظر فى مضمون ذلك الوحى ، فإن كان هذا المضمون حاويا آية صدقه فى ذاته ، وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يريبها ، فلا مفر من الإقرار بصدقه .

ومن هنا وجب النظر النزيه فى رسالة محمد ، فالعقائد والأديان كلها عقائد غيبية تحدد صلة الإنسان برب هذا الكون ، ولكنها تتباين بوجه من الوجوه . وهذا تعليل توالى الديانات والرسالات السماوية مع أطوار البشر ومستويات إدراكهم ووعيهم العمرانى ، لأن البشر يتطورون ويتقدمون فى وعيهم العمرانى ، لذلك كانت الشرائع السماوية تلاحق البشر فى تطورهم ، كما أن غذاءَ الإنسان يلاحق المرء فى تدرجه من الرضاع إلى الطفولة واليفاع والكهولة . وفى كهولة البشر انبرى الإسلام لإصلاح عقيدتهم بوصفهم أمة واحدة ، وربطهم برباطها فى الدنيا والآخرة ، وسلك فى هدايتهم الأسلوب العقلى ، يحترم فطرتهم وبداهتهم ، دون أن يخرسهم بخارق العادة أو إغشاء بصرهم بأطوار غير معتادة أو إخراس لسانهم بقارعة سماوية أو قطع حركة فكرهم بصيحة إلهية (١) .

والنبوة فى الإسلام لا تأليه ولا شبهة تأليه فيها ، وهى مسألة كانتْ تحتاج إلى توضيح وَحسْم ، لأن شعوب الأرض كانت قد درجت على تألية الملوك والأبطال والأجداد ، فكان الرسل معرضين لمثل ذلك الرباط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب ، أو بنسب من الأنساب . لكن انظر تَجِدْ كتاب الإسلام يقرر الآتى :

قال تعالى فى سورة الكهف :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ﴾ آية ١١٠ .

وقال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قل لا أَملِكُ لِنَفْسِى نفعاً ولا ضرًا إلا ما شاءَ الله ولو كنتُ أَعْلَمُ الغيب لا ستكثرتُ من الخير وما مسَّنِى السوء إنْ أنا إلا نذير وبَشِيرٌ لقوم يؤمنون ﴾ آية ١٨٨ .

(١) كتاب « محمد الرسالة والرسول » للدكتور نظمى لوقا .

ولا تتكرر النبوة على هذا الأسلوب ، لأنه لا حاجة للبشرية لذلك التكرير ، فإن طور الأسلوب العقلى المجرد هو آخر أطوار البشرية ومن تفتح عقله عليه أن يعمل فكره وقد تسلم قيادة نفسه . ا . هـ .

وبعد (١) مدة من الزمان فتر فيها الوحى عن النبى ﷺ – وصلت على أرجح الأقوال إلى أربعين يوما – اشتد خلالها شوق الرسول لنزول الوحى ، ثم تتابع الوحى على النبى ﷺ بعد ذلك ، بنزول القرآن والدعوة به إلى الله ، فآمنت به خديجه بنت خويلد زوجته ، كما آمن به على بن أبى طالب كرم الله وجه ، وزيد بن حارثة مولى النبى ، وأم أيمن حاضنته ، كما اضمن به أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود . واستمرت دعوة الرسول إلى الله سرا لمدة ثلاثة أعوام من بدء نزول الوحى ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عن المشركين ﴾[2] وعندئذ جهر بدعوة الإسلام فبدأ بعشيرته الأقربين ، وهم أهله وعمومته وأبناؤهم ، فدعاهم إليه على طعام أمر بوضعه لهم ، فلما اجتمعوا كلمهم فى شأن الدعوة والإيمان بالله وترك عبادة الأصنام ، فغضبوا وقاطعوا كلامه وانصرفوا عنه ، لكنه دعاهم إليه إلى وليمة ثانية حيث تحدث إليهم فى أمر الدعوة والإيمان بالله ، لكنهم لم يلتفتوا إلى ما يدعوهم من خير ، بل انصرفوا عنه كما انصرفوا فى المرة السابقة .

ثم انتقل الرسول ﷺ بدعوته بعد ذلك إلى أهل مكة جميعا ، فاتجه يوما نحو الصفا ، وصعد إلى أعلاه ونادى على قبائل قريش كلها ، فلما أقبلوا عليه يسألونه عن حاجته قال :

« أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أكنتم

(١) كتاب « سيرة الرسول » للدكتور محمد الطيب النجار .
(٢) الحجر : آية ٩٤

مُصَدِّقِىَّ ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ومن الآخرة نصيبا ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

لكن قبائل قريش رفضت قبول الدعوة ، وصاح أبو لهب يتكلم باسمها ، وكان رجلا بذيئا سريع الغضب ، تبًا لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟! فسكت النبى ﷺ ونظر إليه نظرة يملؤها الأسى والأسف ، إلاَّ أن رب الدعوة دفع هذا البذىء بآيات من القرآن تشجيعا للنبى ومقدمة بشارة بأن الله سينصر الحق على الباطل ويتم نوره ولو كره المشركون .

قال تعالى فى سورة المسد :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب ﴾ آية ١ – ٣ .

و لم تكتف قريش من دعوة النبى ﷺ بالموقف السلبى ، بل وقفت منها موقف العداء السافر ، لأنها رأت فيها الخطر الداهم الذى يهدد مركزها الأدبى والمادى ، لأن فى نجاح الدعوة الإسلامية ضياعاً لسلطان قريش الادبى والمادى ، إذ كانت تقوم بحراسة الاصنام وسقاية الحجاج إلى البيت الذين كانوا يفدون إلى مكة فتنشط التجارة وتزداد الثروة لديهم ، ثم انتقلت قريش بعد ذلك – إزاء إصرار الرسول على القيام بواجب الدعوة – إلى العمل على قتل الدعوة الإسلامية باضطهاد النبى والمؤمنين به ، وذلك بإيذائهم وبالقول والفعل ، طبقا لما أفاضت به كتب السيرة النبوية المختلفة ، ولقد كانت تلك الفترة من اروع الفترات فى تاريخ الاسلام والمسلمين ، حيث كان المؤمنون الأبطال ، مُثلا عليا فى التضحية والفداء ، وقوة العزيمة وثبات الإرادة ، فضربوا للناس الأمثال ، ورسموا لأصحاب المبادئ السامية كيف يكون الجهاد فى سبيل الله ، والعمل على نصرة الحق وهزيمة الباطل ، و لم يفت قريش فى صدها للدعوة وحربها لها أن تلجأ إلى طريق الإغراء والترهيب ، حتى يفتنوا الرسول ﷺ عن دينه أو يحولوه عن وجهته ، لكنه لم يعبأ بما قدموه من مغريات أو بما بذلوه من مرغبات ، ومضى فى دعوة ربه لايلوى على شىء ، وعندما لاحظ أن قريشا تزيد

فى اضطهاد وتعذيب المؤمنين عزَّ عليه ذلك ، فأشار عليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، لأن فيها ملكا لا يُظلم أحد عنده ، فخرج إليها بعض المسلمين على مرتين ، فى المرة الأولى خرج أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من البعثة النبوية ، لكنهم رجعوا بعد ثلاثة أشهر لما سمعوا أن المسلمين أصبحوا بمكة فى مأمن من قريش بعد إسلام حمزه وعمر بن الخطاب .

أما الهجرة الثانية : إلى الحبشة ، فقد كانت فى السنة السادسة للبعثة النبوية ، حيث خرج من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلا وإحدى عشرة امرأة ، ولم يعودوا منها إلا بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة .

وتمادت قريش فى عدوانها على النبى وعلى المسلمين ، خصوصا بعد أن فشلت قريش فى إرجاع مهاجرى المسلمين من الحبشة ، لأن نجاشى الحبشة رفض ذلك ، ففكرت فى أن تقاطع بنى هاشم وبنى المطلب – وهم الذين كانوا يحمون النبى – فلا يتزوجون من بناتهم ولا يتاعون منهم ولايبيعون لهم شيئا ، ولايشترون منهم ولا يخالطونهم ، ولا يقبلون منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا إليهم الرسول ﷺ ليقلتوه ، وسجلوا تلك القرارات فى صحيفة ختمت بأختام ، وعلقت فى جوف الكعبة ، ونظرا لهذه المقاطعة الاقتصادية انتقل كل بنى هاشم وبنى المطلب ومعهم الرسول إلى شعب بظاهر مكة يدعى شعب أبى طالب ، عانى فيه الرسول ومن رافقه الحرمان ألوانا ، حتى لقد بلغ من سوء الحال أن أكلوا أوراق الأشجار ، واستمرت هذه المقاطعة المروعة ثلاثة أعوام متتابعة ، لم يجرؤ أحد من بنى هاشم وبنى المطلب خلالها أن يدخل مكة ، ومع ذلك فقد ضربوا أروع الأمثال فى الصبر والاحتمال ، فيما عدا أبا لهب ، فإنه لم يرع للقرابة حرمة ، ولا للرحم مودة ، ولذلك انضم إلى قريش ضد أهله وقرابته .

ثم أذن الله بالقضاء على صحيفة المقاطعة ، حيث قام خمسة من بعض كرام قريش بشقها ، وأعلنوا نقضها ، فخرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب ، ورجعوا إلى مكة ، لكن لم تمض عدة شهور حتى توفى أبو طالب ، ثم ماتت بعد ذلك السيدة خديجة زوجة النبى ، وبموتهما زادت قريش من إيذائها للرسول وعدائها ، لذلك رأى الخروج إلى الطائف وإبلاغ دعوته إلى قبيلة ثقيف التى كانت تقيم هناك ، لأنها

كانت تلى قبيلة قريش فى الأهمية ، إلا أن ثقيفا لم تكتف برفضها لدعوة الخير المبذولة لها بل أغرت عبيدها وسفهاءها بالنبى يسبونه ويصيحون وراءه بل ويقذفونه بالحجارة حتى ابتعد عن الطائف ورجع إلى مكة .

ولما أراد الله لدعوته الانتشار بعد توقفها فى مكة وما حولها التقى جماعة من الخزرج والنبى ﷺ فى مكة فى موسم الحج ، فحدثهم عن دعوته وبيَّن لهم أصول دينه وتعاليمه ، ودعاهم إلى الدخول فيه وتلا عليهم بعض آيات من القرآن ، فأجابوا دعوته ، وأسلم ستة منهم ، ووعدوه بنشر الإسلام بين أهلهم ليسبقوا اليهود فى الإيمان ، وأنهم سيعودون إليه فى موسم الحج القادم ليرى أثر دعوتهم فى المدينة . وقال بعضهم لبعض : والله إنه النبى الذى تتحدث عنه اليهود ، وتهددنا به إذ كانت جماعات اليهود التى تجاور المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة – يتوعدون أهل المدينة من الأوس والخزرج بين الحين والحين بظهور نبى من العرب يبعث ، قد قرب زمانه ، يعرفونه بأوصاف ذكرت فى كتبهم ، ويتمنون لقاءه والالتفاف حوله ، حتى يقوى أمرهم ويطردوا الاوس والخزرج من المدينة .

وفى موسم الحج التالى لعام ٦٢١ ميلادية ، وفد اثناعشر رجلا من أهل المدينة على النبى ﷺ مع الستة الذين أسلموا من قبل، وتقابلوا معه فى مكان اتفق عليه من قبل عند العقبة بالقرب من منى ، وأخبروه أن من وراءهم من اهل المدينة مستعدون لقبول الدعوة الإسلامية وحماية الرسول ﷺ ، وفى هذه المقابلة تمت بيعة العقبة الأولى . وعند رجوعهم بعث معهم النبى ﷺ مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويجمع المسلمين ويصلى بهم ، وقد كان لمصعب بن عمير أثر عظيم فى إقبال الناس على الدخول فى الإسلام لأنهم لم يروا عنتا أو مشقة ، بل وجدوا يسرا وفضائل يصلح بها حالهم ، ويستقيم أمرهم فى الدنيا وفى الآخرة .

ولما عاد مصعب بن عمير إلى مكة فى موسم الحج ، بعد إقامة دامت بالمدينة عاما تقريبا ، قص على النبى ﷺ خبر المسلمين بالمدينة ، وأنهم فى ازدياد وقوة ، وسيجىء وفد كبير منهم فى موسم الحج ، ولما جاء الوفد واعدهم النبى أن يقابلهم فى آخر موسم الحج ليلا عند العقبة مستخفين حتى لا ينكشف أمرهم ، وكان

عددهم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين بالإضافة إلى الاثنى عشر رجلا الذين بايعوا النبى ﷺ فيما سبق .

ثم جاء الرسول ومعه العباس ، وبعد الكلام معهم بايعه وفد المدينة ، ثم طلب منهم النبى ، أن يختار الوفد من بينهم اثنى عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم ، ثم رجعوا كل إلى رحله ، ولما سمعت قريش بأمر تلك البيعة بدأت نفوسهم فى الاضطراب ، وامتلأت قلوبهم بالفزع لهذا الحدث الخطير ، لأنه تحول كبير فى أمر الدعوة الإسلامية وصاحبها ، فقد وجدت قوة جديدة تقف إلى جانب المسلمين ، وأرضا طيبة تتهيأ لاستقبالهم فصار المسلمون يتسللون ويخرجون من مكة فى ظلام الكتمان والخفاء حذرا من قريش ، للحاق بإخوانهم المسلمين من أهل يثرب . حتى لم يبق بمكة إلا عدد قليل وأبو بكر وعلى بن أبى طالب وكان بقاؤهما بأمر من رسول الله ﷺ .

الهجـرة :

دب الخوف والفزع فى قريش بعد ماتم من بيعتى العقبة وظهور الإسلام فى المدينة ، لذلك اجتمع زعماؤها فى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون بصاحب الدعوة بعد أن عظم أمره واشتد خطره ، وبعد النقاش والجدال رأى أحدهم أن يخرجوه من مكة وينفوه إلى مكان بعيد ، وطالب آخر بحبسه وشد وثاقه حتى يموت ، لكن هذين الرأيين رفضا ، وعندئذ تقدم أبو جهل برأى وافقوا جميعا عليه ، بأن تقدم كل قبيلة من بينها شابا جليدا وسيطا نسيبا يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إلى النبى ﷺ فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ويستريحوا منه ، وبهذا الفعل يتفرق دمه فى القبائل ، ولا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب محاربة قبائل العرب فيرضون عنه بالدية .

إلا أن الله سبحانه وتعالى أطلع رسوله على ما بيتوا من أمر ، وأذن له فى الخروج والهجرة للمدينة ، فاصطحب معه أبا بكر ، وكان ذلك فى العشر الأواخر من شهر صفر فى السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية ، وقد أمر على بن أبى طالب أن يبيت فى مكانه ، وسجاه ببردته حتى يتوهم المشركون المحيطون بمنزله وجوده ، ولما أشرق

النهار وتبين المشركون خروج الرسول من منزله رغم إحاطتهم به فزعوا أشد الفزع ، فطاردوه فى كل مكان ، وقعدوا له كل مرصد ، ورصدوا مائة ناقة ناجزة لمن يأتيهم بمحمد ﷺ حيا أو ميتا ، لكنهم فشلوا ووصل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة ، بعد رحلة فى صحراء الجزيرة العربية استمرت اثنى عشر يوما . وبوصوله إلى المدينة بدأت صفحة كبرى فى تاريخ الإسلام هى :

تأسيس الدولة الإسلامية الكبرى :

إن الأسس التى أقام الرسول ﷺ بناء الدولة الإسلامية عليها تنحصر فى الآتى :

١ – بناء المسجد :

فقد اشترى الرسول ﷺ مِرْبَدا للتمر كان مملوكا لغلامين يتيمين بالمدينة ، وقد أمر الرسول بقطع مابه من نخل وتسوية ما به من حفر ، وبناه هو وأصحابه باللِبن ، وجعل سقفه من الجريد وأعمدته من جذوع النخل ، وكان المسجد مكان للصلوات الخمس ، ومدرسة للتعليم والتهذيب أستاذها النبى ﷺ ، وطلابها هم أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وكان محكمة للقضاء بما أنزل الله ، وكان دار للشورى يتداول فيه الرسول والمسلمون فى أهم شئونهم ، لأن الرسول ﷺ كان يتشاور مع أصحابه كى يتلمس وجه الخير والرشاد ، عملا بقوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (١) . وكان يحترم الرأى الصائب وينفذه ولو تعارض مع رأيه دون أى تعصب ممقوت أو استبداد برأيه ، وكان المسجد مركزا لقيادة الجيش تعقد فيه الألوية للرؤساء والقواد ويزودون بالنصائح والتعليمات ، وكان نزلا لاستقبال الوفود والرسل الذين توجههم الدول وزعماء القبائل للقاء الرسول عليه الصلاة والسلام .

٢ – المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار :

عمل الرسول ﷺ على تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم

(١) آل عمران : آية ١٥٩

برباط قوى متين ، وذلك أنه عقد أخوة نادرة المثال بين المسلمين الأنصار سكان المدينة ، وبين المهاجرين إليها من مسلمى مكة ، وجعل لهذه الأخوة من الحقوق والواجبات ما للأخوة النسب ، فكان يترتب عليها أن يتوارث الأخوان فى الله ، كما يتوارث الأخوان فى النسب . واستمر الحال على ذلك إلى أن نزلت آية ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أَوْلَى ببعض**﴾ (١) فاقتصر التوارث على الأخوة من النسب .

٣ – إبرام المعاهدة بين الرسول ﷺ وبين اليهود :

كانت هناك قبائل يهودية تقيم بجوار المسلمين فى المدينة ، وهذه القبائل هى يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ، وقد احتدم العداء بين تلك القبائل اليهودية وبين سكان المدينة من الأوس والخزرج قبل دخولهم فى الإسلام ، وزاد من ضراوة هذا العداء دخول الأوس والخزرج فى الإسلام ثم مجىء إخوانهم المهاجرين المسلمين من مكة وانضمامهم إلى المسلمين بالمدينة .

ولما لاحظ الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة بعد الهجرة اشتعال هذه العداوة رأى بحسن سياسته وجميل تدبيره أن يبدأ هؤلاء اليهود بالمودة ، ويبسط لهم يد السلام ، ويتفق معهم على التضامن والتعاون ، حتى تكون المدينة بسكانها كلها صفا واحدا وقوة واحدة ضد من تسول له نفسه الطمع فيها أو النيل منها ، فانتهى الأمر إلى كتابة معاهدة بينهم وبين الرسول ﷺ حددت حقوق المسلمين وواجباتهم وحقوق اليهود وواجباتهم ، وكانت ترتكز على الأسس الآتية :

(ا) حسن الجوار بين جميع الأطراف فى السلم ، وكلّ منهم له حريته الدينية .
(ب) الدفاع عن المدينة بمعرفة المسلمين واليهود وقت الحرب .
(جـ) التعاون التام بين الفريقين إذا نزلت شدة الحرب بأحدهما أو كليهما .

ولكن اليهود غدروا ونقضوا العهود والمواثيق مع النبى ﷺ والمسلمين ، ولم يكتفوا بذلك بل شاركوا المشركين فى العدوان على المدينة وعلى أهلها من المسلمين ،

(١) الأنفال آية ٧٥ والأحزاب آية ٦

مما اضطر النبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يقف منهم موقف الحزم ، ويحاربهم ويكسر من شوكتهم ، مما جعلهم عبرة لكل ناقض للعهد خائن للمواثيق .

٤ – أثر المؤاخاة بين الأوس والخزرج :

كانت العصبية القبلية بين الأوس والخزرج سكان المدينة قبل الاسلام معول هدم وتدمير يهدد بإفناء هاتين القبيلتين ، وكان يساعد على زيادة نار العداوة بينهما قيام اليهود بإشعال الفتنة دائما بينهما لذلك كان من أهم ما قام به الرسول ﷺ هو القضاء على تلك الفرقة بين هاتين القبيلتين فى المدينة بالتأليف والمؤاخاة بينهم .

قال تعالى فى سورة الأنفال :
﴿ **وألَّفَ بين قلوبهم لَوْ أنفقْتَ ما فى الأرض جميعا ما ألَّفتَ بين قلوبهم وَلَكِنَّ الله ألَّفَ بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾(١) وأن يعمل بمعاونة الهدى الإلهى على توجيه هذه العصبية القبلية إلى الدفاع عن الحق ونصرته على الباطل ، وإعلاء كلمة الإسلام وإرضاء الله ورسوله حتى لكأنهما كانا يتصاولان تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا فيه غناء لرسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ فى الإسلام ، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك فمثلا : قام فتية من قبيلة الأوس بقتل كعب بن الأشرف اليهودى عدو الإسلام ورسوله جزاءً غدره وخيانته وظلمه وعدوانه ، وذلك بتحريضه المشركين فى مكة على المسلمين بعد انتصارهم فى غزوة بدر ، ولم يكتف بذلك بل إنه أخذ يشبب بنساء المسلمين حتى أوذى المسلمون وضجروا .

ولما رأى الخزرج ذلك اختاروا واحدا آخر من اليهود ليقتلوه لم يكن ليقل خطرا عن كعب بن الأشرف ، وهو سلام بن أبى الحقيق ، فإنه بعد طرده مع يهود بنى النضير جزاء نقضهم للمعاهدة بينهم وبين المسلمين ، توجه إلى حى من أحياء اليهود الأخرى وهو خيبر ، ومن هناك أخذ يثير النفوس ضد المسلمين ، وتوجه على رأس وفد إلى مكة يحرض قريشا على قتال النبى ﷺ والمسلمين ، حتى حزّب الأحزاب

(١) الأنفال آية ٦٣ .

عليه مما أدى إلى خروج أحزاب كثيرة من العرب ، فبالإضافة إلى قريش فى مكة ، تمكن من إثارة بعض القبائل كقبيلة غطفان معها على النبى والمسلمين ، لأجل القضاء على المسلمين ، لذلك كان جزاؤه القتل وفاقا لما قدمت يداه .

٥ – تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة :

كان الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة ، يتطلع إلى التوجه فى الصلاة إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة ، لأن الكعبة أقدم من بيت المقدس الذى كان متوجها إليه وقتئذ . وكانت قبلة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام مفخرة للعرب ، حيث كانت مثابة للناس وأمنا ومزارا ومطافا ، وذلك أدعى إلى دخول العرب فى الإسلام واستمالتهم إليه ، ومخالفة لليهود الذين كانوا يقولون إنه يخالفنا فى ديننا ثم إنه يتبع قبلتنا ، ثم يقولون عن أوصاف الرسول المذكورة فى التوراة إنه يتحول إلى الكعبة فى الوقت الذى كان فيه متجها إلى بيت المقدس ، وكان النصارى يقولون عنه : ما باله يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته ، فلما نزل قوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام وحيث ما كنتم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ وَإِنَّ الذين أُوتُوا الكتاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ من ربهم وما الله بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ آية ١٤٤ .

وانقطعت حجة اليهو والنصارى ، وأصبح لزاما عليهم تصديقه والاعتراف[1] بنبوته ، وكان اتجاه الرسول إلى الكعبة بعد ذلك مؤيدا لما كان مسطورا فى كتابهم .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَإِنَّ الذين أُوتُوا الكتاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق من ربهم وما الله بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وكان تحويل القبلة إلى الكعبة نعمة كبرى من جانب الله سبحانه وتعالى ، إذ

(١) انظر كتاب « محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » ص ٣٥ ، ص ٣٦ للمؤلف .

جعل للمسلمين شخصيتهم الدينية المستقلة عن اليهود والنصارى ، واتصالا بدين أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى فى سورة البقرة أيضا :

﴿ وَمِنْ حيث خَرَجْتَ فَوَلِّ وجهك شَطْرَ المسجد الحرام وحيثُ مَا كنتم فَولوا وُجُوهكُم شَطْرهُ لِئَلا يَكُونَ للناس عليكم حُجَّةٌ إلاَّ الذين ظَلَمُوا مِنْهُم فَلا تَخْشَوْهُم واخْشَوْنِى ولأُتِمَّ نِعْمَتِى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ آية ١٥٠ .

وقد كان فعلا تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام عاملا مهما وأساسا متينا فى بناء الدولة الاسلامية الكبرى ، ساعد على تأليف قلوب أهل مكة وسائر القبائل العربية فى أرجاء شبه جزيرة العرب نحو الاسلام رويدا رويدا ، حتى أشرقت أنواره فيها ، ثم امتد ضياؤه بعد ذلك إلى باق أرجاء المعمورة المتحضرة ليصبح دين العالمين .

٦ – توجيه المسلمين إلى القتال :

من يتتبع آيات القرآن الكريم التى تعرضت للقتال يتبين منها أنها تهدف إلى غرضين

أولها : الدفاع عن النفس ورد الظلم ودفع العدوان .

ثانيهما : الدفاع عن الدعوة الإسلامية تقريرا لمبدإ حرية العقيدة إذا وقف أحد فى سبيلها :

(ا) بفتنة من آمن .

(ب) أو بصد من أراد الدخول فى الإسلام .

(جـ) أو بمنع الداعى من تبليغ دعوته .

١ – لاحظنا فى بداية هذا الفصل مدى الظلم ، الذى كان يصيب المسلمين قبل الهجرة فى أنفسهم وفى أموالهم حتى ضج بعض أصحاب الرسول ﷺ بالشكوى فأشار إليهم بالهجرة إلى الحبشة ، ولما تمت هجرته إلى المدينة ووجد الإسلام فيها التربة الخصبة لنمو الدعوة وعاد إليها من هاجر إلى الحبشة ، عمل الرسول ﷺ على نشر الدعوة الإسلامية بين القبائل المجاورة وتأمينها من العقبات والمصاعب ، ولكن أعداء الإسلام وهم قريش وحلفاؤها من يهود المدينة لم يتركوها للانطلاق ، بل كانوا

يتربصون بالرسول ، ويقفون منه ومن دعوته بالمرصاد ، ويوصدون فى وجهه الابواب ، لذلك كان لامندوحة من قتال المسلمين لهؤلاء الظالمين ومن شايعهم من المعاندين .

قال تعالى فى سورة الحج :

﴿ أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهم ظُلِمُوا وإنَّ الله على نصرهم لَقَدير. الذين أُخرجُوا من ديارهم بغير حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا ربنا الله وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بعضهم ببعض لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ومساجد يُذْكر فيها اسم الله كثيرا وَلَيَنصُرَنَّ الله من ينصره إنَّ الله لقوى عزيز ﴾ . آية : ٣٩ ، ٤٠ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ الله الَّذِينَ يُقَاتِلُونكُمْ وَلا تعْتدُوا إنَّ الله لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ. واقْتُلوهُم حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخرجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُم عِنْدَ المسجد الحرام حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فيه فَإنْ قَاتَلُوكُم فَاقْتُلُوهُم كَذَلِكَ جزاءُ الْكَافِرِينَ﴾ . آية : ١٩٠ ، ١٩١ .

وقال تعالى فى نفس السورة السابقة ، تقريرا لحرية العقيدة والبعد بها عن الأغراض والأهواء ، لكى يكتمل لها الجو الملائم فينضوى تحت لوائها من يشاءُ دون خوف الفتنة والاضطهاد :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإنِ انْتَهَوا فَلا عُدْوَانَ إلا عَلَى الظَّالِمينَ ﴾ . آية : ١٩٣ .

كما قال سبحانه وتعالى فى سورة الأنفال :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدين كُلُّهُ لله فَإنِ انْتَهَوْا فَإنَّ الله بما يعملُونَ بصير ﴾ آية : ٣٩ .

٢ – إن الإسلام بطبعه وروحه المسالمة لا ينهى عن البر والإحسان لمن يخالفوننا فى الدين ما داموا هادئين مسالمين ، لكنه شرع القتال حتى يدافع المسلمون عن أنفسهم وتأمين دعوتهم من أن تقف الفتنة فى طريقها .

قال تعالى فى سورة الممتحنة :

﴿ لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فى الدّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجُوكم مِن ديارِكم وظاهروا على إخراجكم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ آية : ٨ ، ٩ .

٣ – ثم إن الإسلام يأمر أتباعه بالجنوح إلى السلم ، متى جنح لها أعداؤهم ، لأن الغرض هو تأمين الدعوة وألا تكون فتنة ، والسلام كفيل بذلك .

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنفال :

﴿ وَإنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وتوكَّل عَلَى الله إنَّهُ هُوَ السَّمِيع العليم. وَإنْ يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ فإنَّ حَسْبَكَ الله هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بنصرِهِ وبالمؤمنين ﴾ آية : ٦١ – ٦٢ .

٤ – وإذا أراد بعض المشركين ترك قتال المسلمين وأن يلقى للمسلمين بالسَّلام فلا جُنَاحَ فى ذَلِك وليس للمسلمين سبيل لمحاربتهم .

قال تعالى فى سورة النساء :

﴿ فَإنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُم وَأَلْقَوا إليكُمُ السَّلَمَ فمَا جَعَلَ الله لَكُمْ عَلَيهِمْ سبيلاً ﴾ آية : ٩٠ .

٥ – أما إذا لم يكن ميلهم للسَّلام حقيقيا ، بل كانوا مخادعين وقد بدا منهم الشر كان على المسلمين أن يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ويقطعوا دابر الفتنة ، وفى ذلك يقول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ سَتَجِدُونَ آخرين يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُم كُلَّ مَا رُدُّوا إلى الفتنة أُرْكِسُوا فِيها فإن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حيث ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ آية : ٩١ .

٦ – لما اتحدت قبائل العرب المختلفة على قتال المسلمين أمر الله بقتال المشركين من كل القبائل .

قال تعالى فى سورة التوبة :

﴿ وَقَاتِلُوا المشرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلونَكُمْ كَافَّةً ﴾ آية : ٣٦ .

٧ – والمتتبع لمواقف الرسول ﷺ مع أعدائه لا يجد فيها بدءًا بهجوم أو عدوان ، إنما نراها جميعاً ردّا للظلم والعدوان طبقاً للآتى :

أولا : فغزوة بدر الكبرى لم تكن عدواناً من جانب المسلمين بل كانت لرد الظلم والعدوان السابقين على الهجرة ، هذا الظلم الذى أدّى إلى إخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله ، فضلا عن أنها كانت دفاعا عن النفس والمال والوطن عندما خرج المشركون بجموعهم من مكة لمحاربة المسلمين بالمدينة .

ثانيا : وفى غزوتى أُحد والأحزاب كان المشركون هم الذين بدأُوا بالشر والعدوان فجيَّشوا الجيوش ، وألّبوا القبائل والأحزاب ، وهاجموا حدود المدينة وحاصروها .

ثالثاً : لما تمّ صُلح الحديبية بين قريش والمسلمين ، وكانت الهدنة بين الفريقين عشر سنوات مادام كل الفريقين يحترم العهود والمواثيق ، تجد قريشا بعد أقل من عامين هى التى غدرت وخانت نصوص معاهدة الصلح ، فحاربت قبيلة خزاعة التى كانت حليفة للمسلمين .

ومن أجل ذلك تجهز الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى عشرة آلاف من المسلمين ليغزوا قريشا فى مكة فسلَّمت إليه مكَّة وأذعنت ، وتَّم ذلك فى العام الثامن الهجرى .

ولقد كان للقتال فى الإسلام أثران كبيران هما كالآتى :

١ – كان القتال أهم الأسباب فى نمو المجتمع العربى وتطوره ، فلولا القتال الذى وقع بين المسلمين وبين المشركين من العرب لما دانت الجزيرة العربية بالولاء والطاعة للرسول ﷺ ، فبعد فتح مكة فى العام الثامن الهجرى والقضاء على اليهود جزاءَ غدرهم وخيانتهم استكمل القضاءَ على قبائل المشركين المعاندين فى أنحاء الجزيرة العربية ، ثم وفدت إليه الوفود من أنحاء الجزيزة العربية تعلن ولاءَها لله والطاعة لرسوله ﷺ ، حتى إذا مارجعوا إلى قومهم وأهلهم وذويهم بلغوهم الأمانة التى حملوها إليهم ، فشرح الله صدورهم للإسلام ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

ومن هذه الوفود وفد عبد القيس ، ووفد تميم ، ووفد بنى سعد بن بكر ، ووفد ثقيف ، ووفد اليمنين ، ووفد حضرموت ، ووفد البحرين ووفد عمان .

حتى إذا كان العام العاشر الهجرى ، أصبح المجتمع القبلى الذى كان كالقطيع الضال يتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، أصبح مجتمعاعربيا إسلاميًّا يديره رأس واحد ، ويدير أموره رئيس واحد ، يتجه إلى غاية واحدة وهدف واحد وتلاشت العصبية القبلية فى أمواج المبادئ الاسلامية العادلة التى ربطت القبائل العربية برباط قوى متين هو رباط الأخوة الإسلامية .

٢ ــ هيأ القتال المجتمع العربى – بعد تطوره وصبغته بالصبغة الإسلامية وانتصاره على الشرك – إلى إقامة الأمة الفاضلة ، وذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليكونوا خير دعاية لهذا الدين الحنيف ، وحمل رسل الإسلام الكريمة إلى العالمين .

قال تعالى فى سورة الحج :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عن المنكرِ ولله عَاقِبَةُ الأُمورِ ﴾ آية ٤١ .

وقال تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَلْتكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخير وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنهونَ عَنِ المُنكَرِ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ آية : ١٠٤ .

٧ – وضع أساس النظام الاقتصادى :

وضع الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعد الهجرة أساس النظام الاقتصادى لمجتمع المسلمين فى المدينة مستضيئاً بما أنزل الله عليه من الهدى طبقا للآتى :

أولا : جعل للفقراء حقّا معلوما فى أموال الأغنياء ، وذلك لأن فريضة الزكاة ركن أساسى من أركان الإسلام أوجب أداءها على كل مسلم قادر ، وهو يملك النصاب الذى حدده الشارع فى الزروع والثمار ، وفى الإبل والبقر والغنم ، وفى

عروض التجارة وتوعَّد من يمتنع عن أدائها بالعذاب الأليم ، بل إن مانعيها وصفوا فى القرآن بأنهم مشركون .

قال تعالى فى سورة التوبة :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذهبَ والفِضةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فى سبيل الله فَبَشِّرْهُم بعذابٍ أَليم . يَوْمَ يُحْمَى عليها فى نار جهنم فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُم هذا مَا كَنَزْتُمْ لأنفسكُمْ فَذُوقُوا ما كنتم تَكْنِزُونَ ﴾ آية ٣٤ ، ٣٥ .

وحض الله سبحانه وتعالى على الإنفاق فى سبيله ، مبينا أنه هو التجارة الرابحة ، وينمو فيها رأس المال لا إلى عشرة أمثال فحسب بل إلى سبعمائة بل يضاعفه الله أضعافا كثيرة .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ سُنْبلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ والله وَاسع عَليمٌ . ﴾ آية : ٢٦١ .

وفتح الإسلام أبواب الإنفاق الكريمة للإحسان إلى الفقراء والمساكين ، كفارة للخطايا والذنوب :

(ا) فكفَّارة يمين ما حنث فيه الإنسان تكون بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

(ب) وكفارة الظهار تكون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين .

(ج) وكفَّارة الإفطار فى رمضان تكون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين .

قال رسول الله ﷺ .

« الصدقة تطفئُ الخطيئة كما تطفىءُ الماءُ النار » .

ثانيا : دعا الإسلام إلى احترام النفس ، وحفظ للإنسان كيانه ، وأشفق عليه من الذلة والمهانة ، لذلك دعا الفقراء إلى ان يأكلوا من كسب يمينهم وعرق جبينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . حتى لا يكونوا عالة على المجتمع وسوسا ينخر عظامه .

جاءَ فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال (١) :

« مَا أَكَلَ أَحدٌ طعاماً قَط خيرا مِنْ أَنْ يأْكل مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وإنَّ نَبِىَّ الله دَاوُدَ عَلَيه السَّلام كَانَ يأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ »

وكان رسول الله ﷺ يشتغل بالتجارة قبل البعثة كما كان فى صباه يرعى الغنم .

ثالثا : تحريم (٢) الربا فى المعاملات – وذلك أن الربا هو اعتصار للضعيف المدين واستغلاله ، وزيادة فى القوة للقوىّ الدائن بحصوله على الفائدة الربوية ، وتفصيل ذلك واضح بجلاء فى كتب الفقه المختلفة .

ذلك أن أحكام الإسلام ينتظمها إطار واحد يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، وهذا الإطار هو التراحم فيما بين الناس وتقوى الله عملا وقولا ، لذلك فإن الحقَّ سبحانه وتعالى أوصى بإمهال المدين المعسر ، حتى يصيب من اليسر ما يمكنه من أداء دينه دون استغلاله ، وفى هذه التوصية رحمة بالمعسر .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَأَيها الَّذِين آمنوا اتَّقُوا الله وذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إنْ كنتم مُؤْمِنِينَ . فَإن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ الله وَرَسُولِهِ وإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أموالكم لاتَظْلِمون ولا تُظْلَمُونَ ﴾ آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

وقال تعالى فى نفس السورة (سورة البقرة) :

﴿ وإنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسرةٍ وأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنتم تعلمُون . وَاتَّقُوا يَوْماً تُرجَعُونَ فِيهِ إلى الله ثمَّ تُوَفَّى كُلُّ نفسٍ مَا كَسَبَتْ وهم لا يظلمون ﴾ آية ٢٨٠ ، ٢٨١ .

فالإسلام جاءَ بأحكام متزنة ، تعترف بالملكية الخاصة وتهذيبها بفرض الزكاة ، وتحريم الفائدة الثابتة وأية صورة أخرى من صور الربا ، وهذا هو النظام الذى وضعه الرحمن جل جلاله صلاحا للبشر .

---

(١) صحيح البخارى .

(٢) « وضع الربا فى بناء الاقتصاد القومى » بحث للأستاذ عيسى عبده إبراهيم .

أما الفائدة الربوية فى نظام المعاملات الرأسمالى فقد تبين فساده لعلماء الاقتصاد والمال ، وأنه نوع من الهمجية الأولى .

أما نظام الشرق الشيوعى فإنه لمَّا عجز عن علاج الربا ومساوئه أطاح بالملكية الخاصة جميعها .

عالمية رسالة محمد ﷺ :

لما كانت رسالة نبى الإسلام ﷺ تمتاز عن غيرها من دعوات الرسل السابقين بأنها دعوة عالمية لا تقتصر على أناس بأعينهم ولا على زمن بعينه ، بل تشمل الناس جميعا ، وتعم الأزمنة والعصور منذ أعلن الرسول دعوته إلى أن يرث الله الارض ومن عليها ، لذلك أرسل الكتب إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب يدعوهم إلى دين الله تعالى الذى ارتضاه لعباده ، وكانت تهدف جميعها وإن اختلف أسلوبها إلى فكرة واحدة ، هى الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ، والاعتراف برسالة الداعى إليه ، وهو محمد ﷺ .

وهؤلاء الملوك والأمراء هم قيصر الروم ، وأمير بصرى ، وأمير دمشق والمقوقس أمير مصر ، وملك الحبشة ، وكسرى ملك الفرس ، وأمير البحرين وأمير عمان ، وأمير اليمامة .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ آية ٦٧ .

وقال تعالى فى سورة سبأ :

﴿ وما أرسلناك إلا كَافَّةً للنَّاس بَشِيراً ونَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ آية ٢٨ .

وفاة الرسول ﷺ :

أما وقد دانت جزيرة العرب لدعوة الله سبحانه ودخلت فى دين الله أفواجا ،

تجهز الرسول ﷺ فى موسم الحج من العام العاشر الهجرى لأداء فريضة الحج وهى الحجة الأولى بعد الهجرة ، وقد شاءَ الله أن تكون الأولى والأخيرة ، ومن اجل ذلك سميت حجة الوداع ، وقد حج مع الرسول جمع كبير من المسلمين من مختلف القبائل العربية ، حتى ينالوا شرف الحج مع النبى ﷺ ، وليروا عن كثب تلك المناسك المقدسة كما يؤديها الرائد الأكبر ، كما تقضى بها تعاليم الاسلام الحنيف . وفى يوم الوقوف بعرفة الخالد وقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه وألقى على المسلمين خطبته الجامعة ، بين فيها أصول الدين وفروعه ومبادئه وآدابه ، ثم نزل قوله تعالى فى هذا اليوم :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لكم دينكم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾(١) .

وبعد أداء مناسك الحج أقام الرسول ﷺ بمكة عشرة أيام ، وبعدها قفل راجعا إلى المدينة ، وبعد وصوله إلى المدينة ، بدأت أعراض المرض تظهر عليه ، فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة ، واشتدَّ عليه المرض الذى استمر ثلاثة عشر يوما ، ثم فاضت روحه الطاهرة ضحى يوم الاثنين ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية ، وقد جعل الله الذى يقدر الليل والنهار حياة الرسول ﷺ وسلم موقوتة بإتمام رسالته ، ثم دفن فى حجرة زوجه عائشة ، حيث كانت وفاته ، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، فكان الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

قال تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله واليومَ الآخِرَ وذَكَرَ الله كَثِيراً ﴾ آية — ٢١ .

---

(١) المائدة آية ٣

الفصل الثاني

نواحى العظمة فى شخصية النبى محمد ﷺ

إن الذى اتفق فى شخصية الرسول ﷺ ، كان أعجب أعاجيب الاتفاق وكان المعجزة التى تفوق المعجزات ، ولنتكلم عن بعض نواحى العظمة فيه[1] :

أولا : عظمة النبى ﷺ بوصفه داعيا إلى عقيدة وشريعة الإسلام . إن أى داع لابد له من مقومات فى شخصيته هى :

الفصاحة – والوسامة – والثقة – والإيمان – والغيرة .

١ ـ الفصاحة :

كانت لرسول الله ﷺ فصاحة اللسان واللغة ، وهى صفة اجتمعت للكلام ولهيئة النطق بالكلام ولموضوع الكلام فكان أعرب العرب ، واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها ، وقدرته على إيقاعها فى أحسن مواقعها ، فهو صاحب كلام سليم فى منطق سليم ، فما من حديث له حفظه الرواة الثقات إلا وهو دليل صادق على أنه قد أوتى حقا جوامع الكلم ، ورزق من فصاحة الموضوع كفاء ما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام .

قال رسول الله ﷺ مشيرًا إلى بعض أسرار فصاحته فى الكلام :

« أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين زوجته رضى الله عنها :

« ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه » .

---

(١) كتاب عبقرية محمد للأستاذ عباس محمود العقاد .

٢ — الوسامة والثقة :

كانت للنبى ﷺ مع الفصاحة صباحة ودماثة تحببانه إلى كل من رآه ، وتجمعان إليه قلوب من عاشروه ، ولم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا ، أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد ﷺ بين الضعفاء والأقوياء على السواء .

وحسبك من حب الضعفاء إياه أن زيد بن حارثة وقد كان فتى مُسْتعبداً فقد أباه وأسرته ، ثم ظهر له أبوه بعد طول الغيبة ، لكنه يؤثر البقاء مع النبى عليه الصلاة والسلام على الذهاب مع أبيه ، وحسبك من حُبِّ الأقوياء إياه أنه جمع على محبته أناساً بينهم من التفاوت فى المزاج والخصال ما بين أبى بكر وعمر وعثمان ، وخالد وأبى عبيدة وهم جميعا من عظماء الرجال .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام جامعاً ، أيضا ، لمحبة الناس إياه وثقتهم به كأفضل ما تتجمعان ، فقد كان مشهورا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه ، وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه كما شهد بهما أحبابه وموافقوه ، وامتلأ هو من العلم بمنزلته من ثقة القوم ، فأحب أن يستعين بها على هدايتهم وترغيبهم فى دعوته ، فكان يسألهم « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق » ؟ فيقولون : « نعم — أنت عندنا غير متهم ، ما جَرَّبنا عليك كذبا » .

٣ — الإيمان والغيرة على نجاح الدعوة :

قضى النبى عليه الصلاة والسلام شبابه ، وهو مؤمن بفساد الزمان وضلال الأوثان . فلما نزل عليه الوحى آمن برسالته ودعوة ربه إياه إلى القيام بأداء تلك الرسالة ، لكنه لم يهجم على هذا الإيمان هجومَ ساعة ولا هجوم يوم ، ولم يتعجل الامر تعجل من يخدع نفسه قبل أن يخدع غيره ، ولكنه تردد حتى استوثق وجزع حتى اطمأن . وخطر له فى فترة من الوحى أن الله قلاه وأعرض عنه ، ولم يأذن له فى دعوة الناس إلى دينه ، ثم تأتى الطمأنينة من وحى ربه ، ومن وحى قلبه ومن وحى صحبه فصدع بما أمر ، ورضى ضميره بما أُوتى من الهداية ، على النحو الذى

رضيت به ضمائر الأنبياء وأصحاب الفطرة الدينية ، لذلك بلغت دعوته الغاية التى بلغت .

ثانيا : عبقرية النبى عليه الصلاة والسلام العسكرية :

فإنه كان على اجتنابه العدوان يحسن من فنون الحرب ، مالم يكن يحسنه المعتدون عليه وهم مع هذا مثال نادر فى الشجاعة ، يقول على بن أبى طالب ، كنا إذا حمى البأس اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو ، وقد شارك فى جميع الغزوات والمواقع الهامة مشاركة القائد الذى لا يعفى نفسهُ مع أن القيادة عادة تعفى من مشاركة الجند فيما يستهدفون ، لكن الرسول ﷺ لم يكن كذلك ، وثباته فى غزوة أحد هو الذى أبعد شبح الهزيمة عن المسلمين رغم كثرة قتلاهم فى هذه الغزوة وقد ولى أكثر الجيش وأوشك أن ينفرد وحده فى وجه الرماة والطاعنين بالسيوف والرماح ولولا ثباته للحقت الهزيمة بالمسلمين ، وخروجه فى ظلام الليل ليطوف بالمدينة مستطلعاً وقد هددها الأعداء بالغارة والحصار ، مع أن المدينة كانت حيئذ حافلة بمن يؤدون عنه مهمة الاستطلاع وهو قرير فى داره لكنه أراد أن يرى بنفسه فلم يثنه خوف ، ولم يعهد بهذا الواجب إلى غيره ، وإنه لم يجتنب الهجوم والمبادأة بالقتال لعجز أو خوف مما يجهله ولا يجيده ، ولكنه اجتنبه لأنه نظر إلى الحرب نظرته إلى ضرورة بغيضة يلجأ إليها ولا حيلة له فى اجتنابها ، ويجتنبها حيثما تيسَّرتْ له الحيلة الناجحة ، مما يؤكد أن الإسلام ما كان ليتنصر بالقوة لو لم يكن إلى جانب ذلك صالحا للانتصار ، وأن الأديان الأخرى ماكانت لتحجم عن عمل أقدم عليه نبى الإسلام لو كانت دعوتها كدعوته ، وكانت أسبابها كأسبابه .

فالإسلام فى بداية عهده كان هو المعتدى عليه ، ولم يكن من قِبَله اعتداء على أحد ، وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أُمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة ، وحروب النبى كما وضحنا فيما سبق[1] — كلها كانت حروب دفاع ، ولم تكن منها حرب هجوم إلا على سبيل المبادأة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار على القتال .

---

(١) انظر صفحة ٢٣٦ تحت عنوان توجيه المسلمين إلى القتال . من هذا الكتاب .

والإسلام كان يمكن أن يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع لكن لايعاب عليه أن يحارب بالسيف سلطة تقف فى طريقه ، وتحول بينه وبين إسماع المستعدين للإصغاء إليه ، لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى فى إخضاعها عن القوة ، ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية ، وإنما كانوا أصحاب سلطة وسيادة موروثة ، وزوال هذه السلطة يزيل مالهم من سطوة الحكم والجاه ، وقصد النبى ﷺ بالدعوة عظماء الأمم وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التى تأبى العقائد الجديدة ، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هى التى كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء .

والرسول عليه الصلاة والسلام كان عند الحرب يصيب فى اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه إصابة التوفيق وإصابة الحساب وإصابة الاستشارة ، لأن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والإنشاء لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير كما تستفيد من شجاعة الشجاع ، وهى التى تُجَنِّدُ كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام ، فلو تتبع حروبه عليه الصلاة والسلام قائد عسكرى من أساطين الحروب فى العصر الحديث ، ليقترح وراء خططه مقترحا أو ينبه إلى خطأ لأعياه التعديل ، فالحرب الحديثة مثلا ترى أن القائد عليه أن يختار الموقع الملائم له ، وأن يختار الفرصة ، وأن يعاجل العدو وقبل تمام استعداده .

وكان النبى عليه السلام سابقا إلى تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها ، فكان لا يبدأ أحدا بالعدوان ، لكنه إذا علم بعزم أعدائه على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه جهد ما تواتيه الأحوال ، بل ربما وصل إليه الخبر (كما حدث فى غزوة تبوك) والناس مجدبون والقيظ ملتهب والشدة بالغة فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى يقودها ولا يكف عن التأهب السريع وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال .

وكان يعمد إلى القوة العسكرية حيث أصابها فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ، ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء وإضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة فى أيدى المهاجمين ، إلا أن يكون الهجوم وبالا على المقدمين عليه كما حدث فى غزوة الخندق .

والقوة المعنوية لها وزن كبير فى الجيش ، لذلك كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه عظيم الاعتماد عليها ، وهى قوة الإيمان ، فإذا كان نابليون يقول : إن نسبة القوة المعنوية إلى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة إلى واحد ، بلغت نسبة هذه القوة المعنوية إلى الكثرة العددية فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام كنسبة خمسة إلى واحد فى بعض المعارك .

والقيادة الحديثة لا تغفل القضاء على القوة المالية أو التجارية للعدو ، وهكذا كان النبى عليه الصلاة والسلام يحارب قريشا فى تجارتها ويبعث السرايا فى إثر القوافل كلما سمع بقافلة منها .

وإذا كانت القيادة الحديثة تعنى بالاستطلاع والاستدلال فإن الرسول عليه الصلاة والسلام سبقها فى ذلك ، فكان يستطلع عن عدد القوم ، وعدد الإبل التى ينحرونها كل يوم ، فيعرف قوة الجيش بمعرفة مقدار الطعام الذى يحتاجون إليه ، وكان يجمع بعد استطلاعاته معلومات الخبراء من أصحابه ثم يتشاور معهم وهو المسمى حاليا بمجلس الحرب ، وتاريخ السيرة النبوية شاهد على أن الرسول ﷺ لم يخطئ قط فى استطلاعه أو فيما يصل إليه من نتائج هامة بعد اجتماعه مع الخبراء من أصحابه ، مما يوضح بجلاء أنه كان قائدا حربيا بين أهل زمانه بغير نظير فى رأيه وفى الانتفاع بمشورة صحبه ، وتبرز حروبه قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة فى توجيه كل ما توافر لديه كقائد إلى المعركة من قوى سواء قوة الرأى والكلام والسلاح .

وفى الحروب الحديثة يتردد ذكر الأوامر المختومة ، التى تصدر إلى قواد السرايا والسفن ، ليفتحوها عند مدينة معلومة أو بعد مسيرة ساعات أو فى عرض البحر عند درجة معينة من درجات الطول والعرض ، ويتفق فى أمثال هذه البعوث أن يكون القائد وحده مطلعا على سر البعثة ورجاله جميعا يجهلونه ، ولا يعرفون أهم خارجون فى غزوة أم مناورة استطلاع ؟ ، ويستمر الحال إلى ماقبل الحركة المقصودة بساعات معدودات ، وهناك تصدر الأوامر التى لا بد من صدورها للتهيؤ والتنفيذ . ولا خوف من كشفها فى تلك الساعات لصعوبة الاستعداد الذى يقابلها به العدو إذا انكشف له قبل تنفيذها بفترة وجيزة ، وهذه الأوامر المختومة ليست بحديثة ،

فقد عرفت فى المأثورات النبوية على أتم أصولها التى تلاحظ فى أمثالها ، ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام ، بعث عبد الله بن جحش ومعه كتاب أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين فيأتى مكان يسمى « بطن نخلة » ليرصد بها عير قريش وبعلم شيئا من أخبارها ، وفى هذه السرِّيَّة التامة أمكن إنجاز كثير من المهام ، وهى سُنَّة حكيمة من سنن النبى ﷺ فى جميع المطالب . وهى فى حروب الدعوات على التخصيص أقمن باتباعها ولهذا كان إذا أراد صلوات الله وسلامه عليه غزوة ورَّى بغيرها على النحو الذى يتبعه قادة الحروب إلى الآن .

والدعوة فى الحرب لها غرضان أصيلان ، هما من الأهمية بمكان ، على سائر أغراضها هما :

١ – إقناع العدو والناس بالحق الذى اعتدى عليه العدو وكانت الحرب بسببه وقد تكفل بهذه الدعوة القرآن وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقادة الإسلام جميعا ، لأن الدين الإسلامى كله دعوة من هذا القبيل .

٢ – إضعاف العدو عن القتال بإضعاف عزمه وإيقاع الشتات بين صفوفه ، وربما بلغ النبى ﷺ برجل واحد فى هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة وبالمكاتب والدواوين الإعلامية وبذر الأموال ، وأصدق مثل على ذلك ما كلف به الرسول عليه الصلاة والسلام نعيم بن مسعود الغطفانى ، ليخذل أعداء المسلمين المحيطين بالمدينة فى غزوة الخندق ، فخرج نعيم بن مسعود ، حتى أتى يهود بنى قريظة ، أول فرقة من أعداء المسلمين ، فخذَّلها على قبيلة قريش وقبيلة غطفان ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان وكان على رأس أعداء المسلمين من قبيلة قريش ولم يخرج من عنده حتى خذله على يهود بنى قريظة ، ثم أتى بعد ذلك قبيلة غطفان فقال لهم وخذلهم على يهود بنى قريظة ، وعندئذ دب الشك فى نفوس أعداء الإسلام فيما بينهم ، ونجح تدبير نعيم بن مسعود فى خذلانهم وإضعافهم وتمزيقهم جميعا ، فرحلت قريش وغطفان عن المدينة ، وكرت كل منهما راجعة إلى بلادها .

ثالثا : عظمة النبى ﷺ السياسية :

تولى النبى ﷺ أعمالا كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة فى مدلوله ، لكن أدخلها فى أبواب السياسة وأجمعها لضروبها كان المعاهدة التى تمت بينه وبين قريش فيما يسمى فى كتب السيرة بصلح الحديبية ، فقد بدأ الرسول ﷺ بالدعوة إلى الحج فى السنة السادسة للهجرة ، فلم يقصره فى تلك السنة على المسلمين ، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل العربية ، إلا أن قريشا حالت بينه وبين العمرة ، وأبرمت معه صلحا أو معاهدة بمعرفة سهيل بن عمرو ، وكان من شروطها :

١ – أن توقف الحرب بين المسلمين وبين قريش عشرة أعوام .

٢ – أن من جاء إلى المسلمين من قريش يردونه ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا تلتزم قريش برده .

٣ – أن يرجع النبى والمسلمون من غير عمرة هذا العام ، ثم يأتى العام المقبل ، فيدخلها بأصحابه ، بعد أن تخرج منها قريش فيقيموا بها ثلاثة أيام ليس معهم إلا القوس والسيف فى القراب .

٤ – من أراد أن يدخل فى عهد محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه .

والمتتبع لهذه الظروف خصوصا خروج النبى عليه الصلاة والسلام وآثاره السياسة قبل المعاهدة ، يجد الآتى :

١ – بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته للعمرة ، ولم يقصرها على المسلمين ، بل شارك معهم من أراد الحج من العرب ، فجعل له وللعرب قضية واحدة فى وجه قريش ، ومصلحة واحدة فى وجه مصلحتها ، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى ، فأفسد على قريش ما تعمدته من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة المسلمين والرسالة الإسلامية ، فليست إذن دعوة الإسلام معزولة عن العرب ، ولكنها دعوة ينتصر لها العرب ولا يذلون بها ، فإذا خالف العرب قريشا فى شىء ، فذلك شأن قريش وحدها أو شأن المنتفعين منها ، وليس هو بشأن القبائل العربية جميعها .

٢ – أفسد على قريش حيلها بما تعمدته من إغضاب العرب على الإسلام ، وبما ادعته من أنه يقطع الأرزاق ويهدد الأسواق التى يعمرها الحاج ، ويستفيد منها الغادون إلى مكة والرائحون إليها ، بدليل أن النبى ﷺ نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة ، كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام ، فإذا حال بينهم حائل وبين ما يقصدون إليه ، فهى جناية يقع إثمها على قريش .

٣ – لما أعلن النبى عليه الصلاة والسلام أنه خرج إلى مكة معتمرا لا غازيا ، كان يقول ذلك ويكرره ، ولم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش فحسب ، بل فصل بين قريش ومن معهم من الأحابيش ، وجعل الزعماء وذوى الرأى يختلفون فيمابينهم على ما يسلكون من مسالك فى دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه الصلاة والسلام يكرر الوصية لأتباعه بالمسالمة والصبر ، منعا للاتفاق بين خصومه على قرار واحد ، وقلَّ من أتباعه من أدرك قصده ومرماه ، حتى الصفوة المختارون .

أما بعد اتفاقه ، ﷺ ، مع قريش على شروط المعاهدة ، فإن المتتبع لتلك الشروط يراها لأول وهلة أنها مجحفة بحقوق المسلمين ، لكن عند فحصها ومناقشتها ، يرى أنها كانت فتحا ولم تكن هزيمة ، وأن قبولها كان سياسة فى غاية الحكمة والمقدرة السياسية من النبى عليه الصلاة والسلام طبقا للآتى :

١ – أن توقُّف الحرب بين المسلمين وبين قريش كان عهد مهادنة استراح فيه النبى ﷺ من قريش ، ففرغ ليهود خيبر والممالك الأجنبية ، يرسل الرسل إلى عظمائها بالدعوة إلى دينه ، وفتح الأبواب لمن يفدون إليه ممن أنكروا بغى قريش ، وآمنوا أن تكون نصرتهم للإسلام حربا يبتلون فيها بما لا يطيقون .

٢ – بالنسبة إلى الشرط الثانى ، فإن المسلم الذى يترك النبى باختياره ليلحق بقريش ليس بمسلم ولكنه مشرك فى قلبه ، فهو يشبه قريشا فى دينها الوثنى وهى أولى به من نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، أما المسلم الذى يرد إلى المشركين مكرها فإنما الصلة بينه وبين النبى والمسلمين هى الإيمان القلبى ، وهو شىء

لا سلطان عليه للمشركين ، ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب ، فإن كان الرجل ضعيف الدين ففتنته قريش عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان ثابت العقيدة فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين .

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها الخاسرة بذلك الشرط ، الذى حسبته غنما لها وخذلانا للرسول ﷺ ، لأن المسلمين الذين نفروا من قريش ولم يقبلهم المسلمون فى حوزتهم رعاية للعهد ، خرجوا إلى طريق القوافل ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم إلى النبى لأنهم خارجون من ولايته بحكم الهدنة ، ولااستطاعوا أن يحجزوهم فى مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية .

٣ – بالنسبة للشرط الثالث ، فإن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نادى فى السنة التالية أصحابه أن يتجهزوا لعمرة القضاء ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، وخرج معهم جمع كبير ممن لم يشهدوا الحديبية يتبعهم النساءُ والاطفال ، وساقوا أمامهم ستين بدنة هدايا للفقراء بمكة ، وقد حملوا السلاح والدروع والرماح ، وعلى رأسهم مائة فارس يقودهم محمد ابن مسلمة ، وذلك للحيطة ، كما قال لصحبه : إن هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منه ، ويتركه فى الحراسة على مقربة من مكة ، حيث يوصل إليهم عند الحاجة .

وقد كان منظر المسلمين والتفافهم حول الرسول آية من الآيات فى هذه الرحلة إلى مكة فأسلم من الضعفاء والأقوياء من كان عصياً على الإسلام ، فريق منهم بهرهم وفاء النبى بعهده مع استطاعة نقضه ، وفريق منهم راعهم مظهر الدين ورحم الإسلام فيما بين المسلمين ، وجمال ما بينهم وبين نبيهم من طاعة وتمكين ، وفريق منهم علموا أن العاقبة للإسلام فجنحوا إلى طريق السلامة والسلام .

وبالنسبة للشرط الرابع ، فقد جهر بمخالفة النبى ﷺ من لم يكن يستطيع قبل ذلك الجهر بها .

رابعا : عظمة النبى ﷺ الإدارية :

يتجلى ذلك فى سليقته المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة وتقرير النظام وتعرف

التبعة ، وتعرف الاختصاص بالعمل فلا يسنده إلى كثيرين متفرقين ، فمثلا :

١ – كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعى ، أو عمل المجتمع يحتاج إلى تدبير ، ومن أقواله المأثورة « إذا خرج ثلاثة فى سفر فَلْيُؤَمِّروا أحدهم » .

ومن أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير ، وخليفة للأمير ، وخليفة للخليفة إذا أُصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة .

وكان قوام الرئاسة عنده شرطين ، هما جماع الشروط فى كل رياسة ، وهما الكفاءَة والأمانة ؛ ولذلك فمن المأثور عنه « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غَشَّ الله وغَشَّ رسوله وغش جماعة المسلمين » « وأيما رجل أَمَّ قوما وهم له كارهون لم تجاوز صلاته أُذنيه » .

٢ – كان حريصا على تقرير التبعات فى الشئون ما كبر منها وما صغر ، على النهج الذى أوضحه فيما قرره فى حديثه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت بعلها ، وهى مسئولة عن رعيتها ، والعبد راع فى مال سيده ، وهو مسئول عن رعيته . ألافكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

٣ – لم يترك أحداً يدعى لنفسه حقا فى إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهى ، غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس ، رغم أن أوامر الإسلام ونواهيه كانت معروفة لطائفة كبيرة من المسلمين أنصارا كانوا أو مهاجرين ، فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلا من المشركين غضب عليه الصلاة والسلام غضبا شديدا ، ولما أراد أن يصادر الخمر نهج فى ذلك منهجا يقصد به إلى التعليم والاستنان ، يعلمه من تفقه فى دينه ومن لم يتفقه ، لأن المحرمات الاجتماعية ينبغى ان تكون فى يد ولى المسلمين لا فى يد كل فرد يعرف الحلال والحرام ، لان المسألة تدخل فى صميم عمل ولاة الأمور ، لذلك خرج بنفسه فشق بعض أزقة الخمر ، ثم أمر رجلا بعينه وأناسا بأعينهم ولآهم هو أن يمضوا فى إتمام عمله .

جاءَ فى رواية ابن عمر رضى الله عنه : « أمرنى النبى ﷺ أن آتيه بمدية ، فأتيت بها ، فأرسل بها فأرهفت ، ثم أعطانيها فقال : أغْدُ علىّ بها ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جُلِبَتْ من الشام فأخذ المدية منى ، فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ، ثم أعطانيها ، وأمر الذين كانوا معه أن ينضموا معى ويعاونونى ، وأمرنى أن آتى الأسواق كلها ، فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ، ففعلت ، فلم أترك فى أسواقها زقا إلا شققته » .

ومن أقواله ﷺ فى ذلك : « السمع والطاعة حق ، مالم يُؤمَرْ بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، الإمام الجائر خَير من الفتنة وكل لا خير فيه ، وفى بعض الشر خيار » ومن قوله : « إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » .

٤ – كان له إلهام نافذ فى تدبير المصالح العامة ، وعلاج شئون الجماعات ، ينظر فى تدبيره إلى العالم الإنسانى بأسره ، لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد ، إذ يقول : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » فتلك وصية من يرى حصر الوباء فى مكانه ، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتعريض المدن كلها لعدواها .

ويوم أن استقبلته وفود المدينة بعد الهجرة من مكة ، تنافست فى ضيافته ، فأشفق أن يقدح فى نفوسها شرر الغيرة بإيثار أُناس منهم دون أُناس فترك لناقته خطامها ، تسير ويفسح الناس لها طريقها ، حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك ، وفصلت فيما لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لامضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها .

٥ – ولما فضل بالغنائم أناسا من أهل مكة ضعيفى الإيمان على الأنصار ، وهم الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد ، وغضب بعض الأنصار ، تكلم بكلام فيه حكمة الإدارة والرياسة والتربية الخلقية ، فهو مدير حين تكون الإدارة تدبير أمور ، ومدير حين تكون الإدارة تدبير شعور ، يقول ﷺ : « أوجدتم يامعشر الأنصار فِيَّ لساعة من الدنيا ، تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم

إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » .

٦ – وحتى قبل الرسالة فإن سليقة الرسول ﷺ الإدارية ، كانت واضحة وظاهرة ، فإنه لما عرض عليه أمر الخلاف بين القبائل على أيها يستأثر بإقامة الحجر الأسود عند تجديد قريش لبناء الكعبة ، أشار عليهم بالرأى الذى لا رأى غيره ، فجاءَ بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم فى حمل طرف من أطرافه .

هذا هو نبى الإسلام ﷺ ، فهل يوجد فى شخصه الكريم مايعاب عليه من جانب أعدائه أعداء الإنسان وأعداء الإنسانية من المبشرين والمستشرقين .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتى فى الصُّدُور ﴾[1] .

---

(١) سورة الحج آية : (٤٦)

الباب السابع

واجب المسلمين فى الوقت الحاضر



واجب المسلمين فى الوقت الحاضر

يتبين من الفصول السابقة ماقام ويقوم به المبشرون والمستشرقون عامة من تدبير المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، وتشويه الصورة المشرقة للدين الإسلامى الحنيف والرسالة المحمدية وذلك بنشر الأضاليل وتكرارها وتردادها ، وذلك حتى يفقد المسلمون الثقة بأنفسهم ، فيعتقدوا أن الإسلام هو سبب انحطاطهم ، وأن المبشرين والمستعمرين وتعاليمهم وتربيتهم هى الطريق الوحيد لنهضتهم ورقيهم ، لكن سرعان ما استيقظ المخلصون من رجال الإسلام ، فأرشدوا إلى هذه الهاوية التى كاد المسلمون يتردون فيها ، فكشفوا لمواطنيهم المسلمين ما كان يحيكه التبشير المسيحى والاستعمار لهم ، فبدأ المسلمون يحسون ويتألمون ، ثم أخذوا يدفعون ويتمردون ، ثم وقفوا يعملون لطرد المستعمرين وأذنابهم من المبشرين ، وبعد ذلك اتجهوا إلى ماضيهم المجيد ، ورجعوا إلى كتابهم الرشيد ، فبدأت فى كل قطر نهضة ، وفى كل أمة إسلامية يقظة .

ولكن هل نكتفى بذلك بحجة أن الإسلام له من القوة الذاتية فى نفسه ما يستحيل على أعدائه أن تؤثر فيه ، لصفاء جوهره وقدسية تعاليمه ، وقوة حجته وسلامة منطقه .

إن واجب المسلمين يقتضيهم – بعد أن كشفوا ما يحيكه أعداء الإسلام لهم – القيامَ بنشر الإسلام والدعوة إليه ، إذ لاريب أن الرسالة الإسلامية موجهة إلى البشر جميعا ، وهى مهما اشتملت عليه من عوامل الانتشار ، واحتوت من الحجة والبرهان ، فهى دائما فى حاجة إلى من يقومون بعرضها بأسلوب يتمشى مع كل

بيئة ويتخذ من الوسائل ما يتوافر لكل عصر ، والقرآن قد أهاب بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بأن يبذل مافى وسعه لنشر الدعوة بين الأمم ، وبين العربى والعجمى ، والأحمر والأسود ، والمسلمون مأمورون تبعا له ﷺ ، بحمل الشعلة ، وتبليغ الرسالة الإسلامية إلى كل ركن فى العالم وإيصال آداب القرآن وتعاليمه إلى كل مكان على وجه هذه الأرض ، لأنه دَيْن فى عنقهم ، إذ أخذ الله عليهم الميثاق فى ذلك ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ يَٰأيها النَّبِىُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً • وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً • وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾[1] .

وقال تعالى أيضا :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[2] .

ويمكن تلخيص واجب المسلمين حاليا بالنسبة للدعوة الاسلامية فى اتباع ما يأتى[3] .

١ – أن يتمسك المسلمون بتعاليم الإسلام وآدابه ، حتى يضعوا المثل الكامل والقدوة الحسنة لجذب الناس إليه ، وهذه مهمة العلماء المسلمين والوعاظ وأئمة المساجد وأولياء الأمور ، والآباء والأمهات بالنسبة لأولادهم منذ الصغر بتربيتهم تربية إسلامية كاملة ، والعمل على ربط البيت المسلم بالمسجد وذلك بالسماح على نطاق واسع للسيدات والفتيات المسلمات بالتردد فى ثياب محتشمة على المساجد لأداء الصلوات فى الأوقات المختلفة مع جماعة المسلمين عند أمن الفتنة طبقا لما كان عليه العمل فى صدر الإسلام الأول فى الأماكن المخصصة لهن ، لأن المرأة المسلمة لن تمنع من التردد على المسجد فى عصر

(١) الأحزاب آية : (٤٥ – ٤٧)
(٢) النحل آية : (١٢٥)
(٣) عوامل انتشار الإسلام : بحث لفضيلة الشيخ على عبد الرحمن الأمين عضو مجمع البحوث الإسلامية ، من بحوث مجمع البحوث الإسلامية .

النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وعصر خلافة بنى أمية وصدر خلافة بنى العباس ، وحرمان نساء المسلمين من التردد على المساجد للعبادة جاء نتيجة جهل حكام المسلمين فى عصر ضعف الدولة العباسية[1] .

٢ – تطوير مناهج التعليم فى مراحل التعليم المختلفة : الابتدائية والإعدادية ،والثانوية والجامعية ، مما يجعلها تتلاءم مع طبيعة العلوم الإسلامية واستيعابها ، مع الاهتمام الكامل بدراسة القرآن الكريم وحفظه ، حتى ينشأ جيل جديد يفهم الإسلام ويتأثر بتعاليمه ويسير وفق هديه .

٣ – العمل على إزالة العوامل والأسباب التى فرّقت بين جماعة المسلمين ، وجعلتهم أحزاباً مختلفة ، ومذاهب شتى ، سياسية واجتماعية ، ومزقت المسلمين تمزيقا عنيفا ، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى جوهر الإسلام ، وعماده القرآن الكريم والسنة النبوية وأعمال الخلفاء الراشدين المهديين بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبذلك يتجلى مفهوم الإسلام الاجتماعى والسياسى الأصيل ، فيضم شتات الأمم الإسلامية المبعثرة ، ويغذى الشباب المسلم الممزق بين التفسيرات اللادينية ، والنظريات المادية الشرقية والغربية الخالية من الغذاء الروحى .

٤ – يجب على الحكومات الإسلامية أن تتجه نحو التشريع الإسلامى ، ففيه كل أسباب النهضة والرقى ، وأن تنقى قوانينها وتشريعاتها مما علق بها من قوانين ومواد أجنبية ، تختلف عن بيئتها وطباع أهلها ، وبذلك يتحول المجتمع فى فترة وجيزة إلى مجتمع إسلامى صحيح ، فى نظمه وأخلاقه وقوانينه ومعاملاته .

٥ – العمل على تطوير الكتب الدينية والمؤلفات الإسلامية ، حتى يظهر الإسلام بصورته الجميلة المبسطة السهلة ، لأن الإسلام دين يخاطب العقل ولا يدعو إلى الانطلاق دون التجارب الأخرى والحضارات المختلفة ، بل ويدعو إلى القراءة والعلم ، فإن أول سورة نزلت فى القرآن الكريم ، سورة العلق ، قال تعالى :
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ • خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ • الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ آية ١ – ٥ .

(١) المرأة العربية بين البيت والمجتمع : بحث للأستاذ الغزالى حرب – مجلة العربى فبراير سنة ١٩٧٢ .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾[1] .

وما دام باب البحث والاجتهاد مفتوحا أمام العلماء المتخصصين فى علم الفقه ، كان من اليسير حل المشكلات الكبيرة من اجتماعية واقتصادية والتى تعرض حاليا فى حياة الناس لم تكن معروفة فى العهد الإسلامى الأول ، فإن تطور الحياة وما أحدثته المواصلات والمبتكرات الحديثة من طائرات وإذاعة صوتية ومرئية من اتصال قوى بين المدن والدول ، وارتباط وثيق بين الشعوب والأمم ، وتشابك شديد بين المصالح ، واحتكاك مستمر بين الآراء والأفكار ، كل ذلك قد أحدث بعض المعاملات الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية والنظريات العلمية ، مما لانجد له حكما فى الكتاب والسنة ، وما استنبطه الفقهاءُ الأقدمون فى المذاهب المختلفة ، مما يستدعى تتبع هذه المشكلات واستجلاء هذه النظريات ، ثم يقوم الفقهاءُ المسلمون بعرضها على قواعد الإسلام ومبادئه وأسس تشريعه ، حتى يوضحوا للشعوب الإسلامية الحائرة حكم الإسلام فى تلك التصرفات ، وبذلك يخرجون الناس من حيرتهم أو ارتباكهم .

٦ – تثقيف الدعاة المسلمين المزمع إرسالهم إلى الدول الأجنبية ، وتطوير مهمتهم حتى يكونوا على المستوى الذى يليق بالإسلام ، وأن يكونوا على دراية بكيفية نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية على أوسع نطاق ، لأن أغلبهم حاليا ما أرسلوا إلا لتعليم الحساب والخط والإملاء ، ومبادىء اللغة العربية والعلوم الدينية فى مدارس إسلامية ابتدائية وإعدادية أو ثانوية فى الدول المبعوثين إليها[2] .

٧ – إنشاء المنظمات الإسلامية المختلفة التى تخدم الإسلام وتكون مهمتها :

أولاً : كشف أساليب التبشير المسيحى ومؤامرات المبشرين والمستشرقين أولا بأول ، والرد عليهم وعلى افترائهم وأضاليلهم ضد الإسلام والمسلمين ونشر هذا الرد على العالمين .

ثانيا : القيام بالدعوة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ، وهذه يجب أن يجند لها الشخصيات للفكرة العاملة الواعية ، وأن توضع تحت تصرفها الإمكانيات الواسعة من الأموال ووسائل الإعلام والدعاية والنشر ، وأن تعمل الحكومات الإسلامية خصوصا تلك التى أفاء الله عليها من نعمة وخيرة ، وفجر لها من باطن الأرض البترول والمعادن المختلفة ، بتقديم المساعدة الفعالة لمنظمات الدعوة الإسلامية : سواء فى داخل بلادها أو خارجها ، وتحيطها برعايتها الكاملة وعنايتها الواضحة مع تشكيل جهاز نسائى للدعوة الإسلامية (يضم خريجات الكليات الدينية الإسلامية) ، وبذلك يتمكن من النفاذ إلى البيوت الإسلامية ، والاختلاط بالنساء المسلمات فى بيوتهن وإرجاعهن إلى تعاليم الإسلام ، وما دامت المرأة أو الفتاة المسلمة ، أصبحت على بينة من دينها فلن تتمكن المبشرات المسيحيات من النفاذ إلى عقيدتها عند الاحتكاك بها .

ثالثا : عقدُ المؤتمرات الإسلامية الدورية فى الدول الأجنبية ، لأن عقد مثل[1] هذه المؤتمرات يعتبر دفعة قوية لمدّ النشاط الإسلامى فى هذه المناطق النائية بزاد من الحماس الدينى وفيض من الروح المعنوية الصامدة .

٨ – على الدول والحكومات الإسلامية عامة وأولى الأمر فيها بخاصة، إعادة النظر فى وضع مراكز التطبيب والتمريض كالمستشفيات والمستوصفات ، وكذا دور العلم من مدارس وكليات وجامعات وكذا الأندية الاجتماعية والرياضية والكشفية ودور الصحافة والنشر ، ومحال بيع الكتب التى أقامها المبشرون وإبرائها من منحة التبشير وجعلها قاصرة على أعمالها الإنسانية والاجتماعية والعلمية والرياضية ، والتحقق من ذلك بإخضاعها مباشرة لإشراف أجهزة الدولة المختلفة .

والعمل على نشر الدعوة الإسلامية له ميدانان اثنان ، وتربتهما من أخصب

(١) الزمر آية (٩)

(٢) كتاب أوروبا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود .

(١) مجلة الأزهر ربيع الأول سنة (١٣٩١) مايو سنة (١٩٧١) الجزء الثالث الخاص بمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية السادس .

أنواع التربة لنمو الإسلام فى أى مكان على سطح الأرض وهذان الميدانان هما :

الميدان الأول :

نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين والذين لا دين لهم ، بل يعتنقون العادات والتقاليد ، وهؤلاء ينتشرون فى آسيا وأفريقيا واستراليا ، فإذا أمكن لمنظمات الدعوة الإسلامية أن تدرس طبيعة حياة هؤلاء الناس وأحوالهم وتقاليدهم ، ثم تتخذ الأسلوب المناسب لهدايتهم إلى نور الإسلام وإدخالهم حظيرة الإيمان ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والسلوك الحسن من قبل الداعية المسلم ، والمعاملة الرقيقة منه فضلا عن إخلاصه فى نشر دعوة الإسلام ، مع التعاون مع الغيورين من التجار والموظفين المسلمين المنتشرين فى كل مكان ، وإنشاء جمعية المؤلفة قلوبهم لسد حاجات ذوى الحاجة منهم ، وفتح المراكز الإسلامية وتدعيمها بالعيادات الطبية مع اهتمامها بالنواحى الثقافية والاجتماعية ، فإن ذلك سيأتى بأحسن النتائج الإيجابية ، وفى وقت قصير بدخول هؤلاء الوثنيين ومن لا دين له إلى حظيرة الإيمان بالله واعتناق الإسلام . لأن المتتبع لسير الدعوة الإسلامية فى أفريقيا وآسيا يجد أن انتشار الإسلام يرجع إلى التجار المسلمين الذين تجولوا فى المناطق التى يسكنها البدائيون من الوثنيين والذين لا دين لهم ، وبجهودهم الفردية أو بجهود المخلصين من أصحاب زوايا المتصوفين من السنوسيين فى حدود الصحراء شمالا ، وأتباع الحاج عمر بن قدية فى حدود الصحراء غربا وطلائع العلويين فى سواحل أفريقيا الشرقية والوراد المتعددين من الجلابة السودانيين المنتشرين فى جنوب السودان وأواسط أفريقيا ، والتجار الهنود والحضارمة العلويين ، وإليهم يرجع فضل انتشار الإسلام فى أندونيسيا والملايوتايالاند ، لأن المسلم مبشر بطبيعته ، فأينما حل ولأى سبب كانت رحلته ، لابد أن يقوم بمجهود كبير لإبلاغ الدعوة إلى أولئك الذين يتصل بهم فى المناطق غير المسلمة .

الميدان الثانى :

عرض الإسلام ودعوته على الأمم المسيحية فى أوروبا وأمريكا ، فإن تقدم العلوم وانتشار المعارف هناك لابد وأن يكشف ما يتميز به الإسلام من رقى فى

نظامه ، وسمو فى تعاليمه وتطور فى تشريعه ، فلو اتجه إليهم كبار العلماء المسلمين الواقفين على روح الإسلام وأسراره ومرونته وقاموا بتعريف أولئك القوم بالإسلام وبلغتهم ، لاستطاعوا رفع ما على أعينهم من غشاوة هى التى تحجب عنهم نور الهداية الإسلامية ، ولوجدوا أن هذا الدين يتمشى مع حضارتهم وقوتهم ، فهو لا يتنافى مع العلوم التى حذقوها ولا مع التشريعات والقوانين التى يسيرون عليها ، بل سيجدون عند اعتناقهم له علاجا شافيا لما يشعرون به من أمراض اجتماعية ، وارتباكات اقتصادية ، وظلمات مادية ، ومشاكل كثيرة مما يعرض فى هذه الحياة المتشابكة ، لأن الإسلام يقف فى الوسط بأحكامه ونظمه ، مما يتيح للنظم الاجتماعية المتناقضة أن تجد فى الدعوة الإسلامية منفذا لها من المادية التى تسيطر على القوتين التى تتنازعان العالم حاليا : مادية الشيوعية ومادية الرأسمالية ، والأولى تمثلها روسيا والصين ومن لف فى فلكهما ، والثانية تمثلها أمريكا ومن يجرى فى ركابها .

قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (١) .

ولا بأس أن نشير فى هذا المقام ، إلى شهادة الدكتور هارنن هاريمان ، أحد كبار المستشرقين الألمان إذ يقول : « وإذا قابلت ما أتوا به من العظائم فى هذا السبيل ، بإدخالهم فى دينهم الملايين ، من أمم شديدة الاعتزاز بقوميتها ، كثيرة التمسك بدياناتها بما قام به فى القرون الأخيرة دعاة الملل الأخرى على حذقهم فنون الدعوة ، واعتمادهم على الجاه والمال ، وتمرسهم بأساليب الأخذ والتأثير ، تعجب غاية العجب . ولا تجد تعليلا يقبله العقل ، إلا فى أن للإسلام سلطانا على العقول خارقا للعادة ، بحيث تدين له منقادة إليه متى عرض عليها فلا تجد بدًا من الإذعان له . وقد غاب عن هذا المستشرق الألمانى أن الدعوة الإسلامية إنما تخاطب الفطر السليمة ، والنفوس الصافية ، والعقول النيرة .

---

(١) البقرة آية (١٤٣)

ولا تعليق لنا على ذلك إلا بقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ الناس عليها لاَ تَبْدِيل لِخَلْقِ الله ذلك الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الناس لا يعلمون ﴾[2] .

بل إن الفيلسوف البريطانى المعاصر والمتوفى منذ سنين قليلة تنبأ بأن أوروبا جميعها ، ستدخل فى دين الإسلام أفواجا فى القرن التالى فتراه يقول :

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار المتأنى ، بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد ، الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس ، لقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون ، أمثال – كارلايل – وجوته – وجيبون – القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوروبا من الإسلام ، ولكن أوروبا فى القرن الراهن ، تقدمت فى هذا السبيل كثيراً ، فبدأت تعشق عقيدة محمد ، وفى القرن التالى ربما ذهبت إلى أكثر من ذلك – فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشكلاتها ، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوة محمد ، وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا دخلوا فى دين محمد حتى لا يمكن أن يقال إن تحول أوروبا إلى الإسلام بعيد » .

بقيت كلمة أخيرة فى تحصين الدعوة الإسلامية ، وذلك بإنشاء هيئة إسلامية علمية فى كل دولة إسلامية مع التنسيق فيما بينها وتكون مهمتها :

١ – إحصاء أغاليط وأضاليل المستشرقين ، وتصنيفها وجمعها فى سفر واحد يتضمنها ويتضمن الردود المقنعة التى كتبت عليها .

٢ – تعقب الكتب التى يصدرها المبشرون والمستشرقون أولا بأول والرد عليها .

٣ – إيجاد الحلول العملية لمشكلة إرسال البعوث العلمية التى ترسلها الجامعات العربية إلى مدارس الاستشراق فى أوروبا وأمريكا ، إذ يعود منها المبعوثون وهم

(٢) الآية ٣٠ من سورة الروم .

محملون بجملة من الآراء الضعيفة المشتملة على كثير من الفساد ، ومن هنا تتسرب نظريات المستشرقين المغرضة وأضاليلهم إلى قاعة الدرس فى الجامعات العربية ، وتندس فى مناهج الثقافة ، فتعمل على تحويل العقول والقلوب ، ولقد فطن الأزهر إلى خطر تلك البعثات المرسلة إلى الخارج ، فابتعد بمبعوثيه عن مدارس الاستشراق فى أوروبا وأمريكا ، اتقاء شرها وضررها . وياحبذا لو فطن باقى الجهات الإسلامية فى كل دولة عربية أو إسلامية لذلك أو على الأقل لا تقوم بإرسال هؤلاء المبعوثين إلا بعد أن يكونوا قد تمكنوا من إشباع عقولهم بالآراء السليمة ، والاطمئنان على عقيدتهم الدينية والوطنية حتى لا يكون هناك مجال لتسرب آراء المستشرقين الفاسدة إليهم ، بل يعملون على كشفها ونقدها أولا بأول .

كلمـــة ختـــامية

قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

[صدق الله العظيم]

---

(١) التوبة آية (٣٢ ـ ٣٣)

(٢) آل عمران (١٧٣ ـ ١٧٥)

بيان المراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ صحيح الإمام مسلم القشيرى ـ وصحيح الإمام محمد إسماعيل البخارى .
٣ ـ الكتاب المقدس : العهد القديم والجديد .
٤ ـ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للدكتور مصطفى خالد ، والدكتور عمر فروخ .
٥ ـ كتاب المسألة الشرقية تأليف الزعيم الوطنى مصطفى كامل .
٦ ـ كتاب الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة المرحوم الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .
٧ ـ كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر .
٨ ـ كتاب حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للمرحوم عباس محمود العقاد .
٩ ـ كتاب إظهار الحق للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن المهتدى .
١٠ ـ محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
١١ ـ مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ للدكتور أحمد شلبى .
١٢ ـ المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام للأستاذ الدكتور محمد البهى .
١٣ ـ كتاب محمد الرسالة والرسول للدكتور نظمى لوقا .
١٤ ـ كتاب عبقرية محمد للمرحوم عباس محمود العقاد .
١٥ ـ كتاب الغارة على العالم الإسلامى للمرحوم محى الدين الخطيب .
١٦ ـ كتاب تعدد الزوجات من النواحى الدينية والاجتماعية والقانونية تأليف الدكتور عبد الناصر توفيق العطار من سلسلة البحوث الإسلامية .
١٧ ـ كتاب أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية للأستاذ محمد عبد الواحد حجازى من سلسلة البحوث الإسلامية .

١٨ - كتاب محمد نبى الإسلام من التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف .
١٩ - الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية تأليف رتشارد ستيفنز عرض الدكتور محمود السمرة ، مجلة العربى يونية سنة ١٩٧٢ عدد ١٦٣ .
٢٠ - كتاب أوروبا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود .
٢١ - كتاب الاستعمار عدو الشعوب .
٢٢ - كتاب إبراهيم أبو الأنبياء للأستاذ عباس العقاد .
٢٣ - قيم حضارية فى القرآن الكريم للأستاذ توفيق محمد سبع .
٢٤ - وضع الربا فى بناء الاقتصاد القومى بحث الأستاذ عيسى عبده إبراهيم .
٢٥ - المستشرقون والإسلام بحث ملحق بمجلة الأزهر صفر سنة ١٣٩٠ إبريل سنة ١٩٧٠ للدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان .
٢٦ - كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية بحث الأستاذ أحمد حسن الزيات للموسم الثقافى الثالث ١٣٨٠ هجرية ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .
٢٧ - العربية لغة الإسلام والمسلمين للأستاذ على عبد العظيم بحث مجلة الأزهر ذو القعدة ١٣٩١ ديسمبر ١٩٧١ .
٢٨ - العربية لغة التنويع والتفريع للأستاذ على عبد العظيم بحث مجلة الأزهر صفر وربيع الأول ١٣٩٢ مارس وإبريل ١٩٧٢ .
٢٩ - مجلة الوعى الإسلامى العدد ٨٧ ربيع الأولى ١٣٩٢ .
٣٠ - عوامل انتشار الإسلام بحث لفضيلة الشيخ على عبد الرحمن الأمين عضو بمجمع البحوث الإسلامية مطبوع من مجموعة التوعية الاجتماعية فى الإسلام من بحوث مجمع البحوث الإسلامية الجزء الأول .
٣٣ - مجلة المجمع الكويتية العدد ١٩٠ - ١١ صفر سنة ١٣٩٤ ٥ مارس سنة ١٩٧٤ .
٣١ - مجلة الأزهر ربيع الأول ١٣٩١ مايو ١٩٧١ الجزء الثالث الخاص بمؤتمر البحوث الإسلامية السادس .
٣٢ - مجلة العربى فبراير سنة ١٩٧٢ .

الفهرس